تفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين
(٣٢٤ - ٣٩٩هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة
محمد بن مصطفى الكنز

المجلد الرابع
سبأ - الطلاق

الناشر
الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : تفسير القرآن العزيز

تأليف : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين

تحقيق : حسين بن عكاشه و محمد مصطفى الكنز

رقم الإيداع: ١٧٧٧٧/ ٢٠٠١

الترقيم الدولي: 977-5704-70-7

الطبعة : الأولى

سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

طباعة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر


تفسير
القرآن العزيز
لابن أبي زمنين

تفسير سورة سبأ وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿الحمدُ للَّه﴾ حمد نفسه، وهو أهل الحمْدِ ﴿الذي له ما في السمٰوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم﴾ في أمره أحْكم كل شيءٍ ﴿الخبير﴾ بخلْقه ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ من المطر ﴿وما يخرج منها﴾ من النبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من المطر وغير ذلك ﴿وما يعرج فيها﴾ أي: يصعَدُ يعني: ما تصعد به الملائكة ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ لمن آمن.

قال محمدٌ: يقال: عَرَج يعرُجُ إذا صَعِدَ، وعرِجَ - بالكسْر - يعرَجُ إذا صار أعْرجَ[1].

---

(١) يقال: عَرَج يعرُج عُرُوجًا إذا صعد، فهو عريج. ويقال: عرج يعرَج عَرَجًا وعَرَجانًا؛ أي: كان في رِجْله شيءٌ خِلْقةً فجعله يغمز بها، فهو أعرج. لسان العرب، المعجم الوسيط (عرج).

﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ القيامة ﴿قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب﴾ من قرأها بالرفع رجع إلى قوله: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ عالِمُ الغيب، ومن قرأها بالجر: (عالمِ الغيبِ) يقول: بلى وربي عالمِ الغيْب، وفيها تقديمٌ[(١)]، والغيبُ في تفسير الحسن في هذا الموضع: ما لم يكن ﴿لا يعزب عنه﴾ أي: لا يغيب ﴿مثقال ذرة﴾ أي: وزن ذرّةٍ يقول: ليعلم ابن آدم أن عمله الذي عليه الثواب والعقاب لا يغيبُ عن اللَّه منه مثقال ذرةٍ ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزقٌ كريمٌ﴾ يعني: الجنة ﴿والذين سعَوا﴾ عمِلوا ﴿في آياتنا معاجزين﴾ تفسير الحسن: مسابقين؛ أيْ: يظنون أنهم يسْبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم ونعذبهم.

قال محمدٌ: يقال: ما أنت بمعاجزي؛ أي: بمُسابقي، وما أنت بمعجزي؛ أي: بسابقي[(٢)].

﴿أولئك لهم عذابٌ من رجزٍ﴾ والرجز: العذاب؛ أي: لهم عذابٌ من عذابٍ ﴿أليم﴾ موجع.

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

---

(١) قرأها بالرفع: نافع وابن عامر، وقرأ بالجر: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وقرأ حمزة والكسائي ﴿علّام﴾ ينظر: السبعة (٥٢٦)، البحر (٧/ ٢٥٧ - ٢٥٨)، النشر (٢/ ٣٤٩).

(٢) لسان العرب (عجز).

وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴿٩﴾﴾

﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ يعني: المؤمنين ﴿الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ أي: يعلمون أنه هو الحق ﴿ويهدي﴾ أي: ويعلمون أن القرآن يهدي ﴿إلى صراط﴾ إلى طريق ﴿العزيز الحميد﴾ المستحمد إلى خلقه .

﴿وقال الذين كفروا﴾ قاله بعضهم لبعضٍ ﴿هل ندُلكم﴾ ألا ندلكم ﴿على رجلٍ﴾ يعنون: محمدًا ﴿ينبئكم﴾ يخبركم ﴿إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلقٍ جديد﴾ أي: إذا متم وتفرّقت عظامُكم وكانت رُفاتًا أنكم لمبعوثون خلقًا جديدًا - إنكارًا للبعث؟ قال اللَّه: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب﴾ في الآخرة ﴿والضلال﴾ في (الدين)[1] ﴿البعيد﴾ من الهدى ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم﴾ يعني: أمامهم ﴿وما خلفهم﴾ يعني: وراءهم ﴿من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء﴾ الكسف: القطعة[2] .

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾﴾

﴿ولقد آتينا داود منا فضلًا﴾ يعني: النبوة ﴿يا جبالُ أوّبي﴾ قلنا: يا جبال أوبي معه؛ أي: سبحي.

---

(١) في «ر»: الدنيا.

(٢) هكذا في الأصل و«ر». والصواب: الكِسْفة: القطعة. والجمع: كِسْف وكِسَف. لسان العرب (كسف).

قال محمدٌ: ذكر ابن قتيبة[١] أنَّ أصل الكلمة من التأويب في السَّفر. قال: وهو أن [يسير][٢] النهار كله وينزل ليلًا كأن المعنى: أَوِّبي النهار كله بالتسبيح[٣].

وذكر الزجاج: أن أصل الكلمة من آبَ يئوب؛ إذا رجع، كأنه أراد: سبحي معه ورَجِّعي التسبيح[٤]؛ فاللَّه أعلم ما أراد.

﴿والطير﴾ هو كقوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾[٥] أي: وسخرنا له الطير ﴿وألنا له الحديد﴾ ألانه اللَّه له؛ فكان يعمله بلا نارٍ ولا مطرقة بأصابعه الثلاثة ﴿أن اعمل سابغاتٍ﴾ وهي الدروع ﴿وقدر في السّرد﴾ تفسير مجاهد: لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة؛ فيسلس، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتنفصم الحلقة[٦].

قال محمدٌ: السابغ: الذي يغطي كل ما تحته حتى [يفضل وذكر][٧] (ل٢٧٦) لأنها تدل على الموصوف ومعنى السّرد: النّسْجُ، ويقال للحرز أيضًا: سرْدٌ، ويقال لصانع الدِّرع: سرّاد وزرّادٌ؛ تبدل من السين: الزاي[٨].

---

(١) هو عبد اللَّه بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) من أئمة الأدب واللغة، له أدب الكاتب، والمعارف، وعيون الأخبار وغير ذلك.
ينظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (٤/ ١٣٧).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر لسان العرب (أوب)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٥٥)، البحر (٧/ ٢٦٢).

(٤) لسان العرب (أوب)، البيان (٢/ ٢٧٥).

(٥) الأنبياء: ٧٩ .

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٢٢/ ٦٨) عن مجاهد.

(٧) في كشف المشكلات: (وحذف دروعًا؛ لأنها تدل على الموصوف) ينظر: كشف المشكلات (٢/ ١٠٩٣)، وينظر أيضًا: البحر المحيط (٧/ ٢٦٣)، وإعراب القرآن (٢/ ٦٥٨)، والبيان (٢/ ٢٧٦).

(٨) ينظر لسان العرب (سرد)، و(زرد).

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح ﴿غدُوها شهرٌ ورواحها شهرٌ﴾ قال الحسن: وكان سليمان إذا أراد أن يركب جاءت الريح فوضع سرير مملكته عليها، ووضع الكراسي والمجالس على الريح، وجلس وجوه أصحابه على منازلهم في الدِّين من الجن والإنس يومئذٍ، والجن يومئذ ظاهرة للإنس يَحُجُّون جميعًا ويصلون جميعًا، والطير ترفرف على رأسه ورءوسهم، والشياطين حَرسُه لا يتركون أحدًا يتقدَّم بين يديه ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ يعني: الصُّفر؛ في تفسير مجاهد سالت له مثل الماء ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ يعني: السُّخرة التي سخّرها اللَّه له ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ يعني: عن طاعة اللَّه وعبادته ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ في الآخرة ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ يعني: المساجد والقصور؛ في تفسير الكَلْبي.

قال محمدٌ: يقال لأشرف موضع في الدار أو في البيت: محراب[1].

---

(١) والجمع: محاريب. لسان العرب (حرب).

قوله: ﴿وتماثيل﴾ يعني: صورًا من نحاس.

قال الحسن: ولمْ تكن الصور يومئذٍ محرَّمة ﴿وجفانٍ كالجوابي[(١)]﴾ يعني: صحافًا كالحياض.

قال محمدٌ: الجوابي جمع: جابية.

﴿وقدور راسيات﴾ أي: ثابتاتٌ في الأرض عظام لا تحوَّل عن أماكنها ﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾ أي: توحيدًا. قال بعضهم: لما نزلت لم يزل إنسانٌ منهم قائمًا يصلي.

قال: ﴿وقليلٌ من عبادي الشكور﴾ أي: أقل الناس المؤمن ﴿فلما قضينا﴾ أنزلنا ﴿ عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾ وهي الأرضةُ؛ في تفسير مجاهد ﴿تأكل منساته﴾ أي: عصاه.

قال محمدٌ: وأصل الكلمة من قولك: نسأت الدّابة؛ إذا سُقْتَهَا، فقيل للعصاة: مِنْسَأَةٌ[(٢)].

وأنشد بعضهم:

إذا دببت على المنساة من كبر فقد تباعد منك اللّهْوُ والْغزلُ[(٣)]

وفيه لغةٌ أخرى ﴿تأكل منسأته﴾ مهموزة[(٤)].

---

(١) أثبت الياء وصلًا أبو عمرو وورش، وانفرد الحنبلي عن عيسى بن وردان بذلك، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب، النشر (٢/ ٣٥١).

(٢) يقال: منسأة بالهمزة وهي لغة تميم، و(منساة) بدون الهمز؛ وهي لغة الحجاز. ينظر لسان العرب (نسأ)، الدر المصون (٥/ ٤٣٥ - ٤٣٦).

(٣) البيت من بحر البسيط، ويروى: فقد تباعد عنك ...
ينظر: المحتسب (٢/ ١٨٧)، البحر المحيط (٧/ ٢٥٥)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٥٦).

(٤) قرأ بهمزة ساكنة ابن عامر في رواية عنه، وبألف محضة نافع وأبو عمرو، وبهمزة مفتوحة الباقون. ينظر: السبعة (٥٢٧)، البحر (٧/ ٢٦٧)، النشر (٢/ ٣٤٩ - ٣٥٠).

قال يحيى: مكث سليمان حولًا وهو متوكئ على عصاه لا يعلمون أنه مات. وذلك أن الشياطين كانت تزعم للإنس أنهم يعلمون الغيب، فكانوا يعملون له حولًا لا يعلمون أنه مات.

قال: ﴿فلما خرّ﴾ سليمان؛ أي: سقط ﴿تبيَّنتِ الجن﴾ للإنس ﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ يعني: الأعمال [التي][1] سخرهم فيها.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَٰزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾

﴿لقد كان لسبإٍ في مساكنهم[2] آيةٌ﴾ أي: لقد تبيّن لأهل سبإٍ؛ كقوله: ﴿واسأل القرية﴾[3] أي: أهل القرية.

قال محمدٌ: قد مضى القول في (سبإٍ) في تفسير سورة النمل، واختلاف القراءة فيه، والتأويل[4].

قال يحيى: ثم أخبر بتلك الآية؛ فقال: ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ جنة

---

(١) في الأصل: الذي. والمثبت من «ر».

(٢) وهي قراءة: نافع وعاصم وأبي عمرو، وابن كثير، وابن عامر. وقرأ حمزة وحفص: ﴿مسكَنهم﴾ بسكون السين وفتح الكاف على الإفراد، وقرأ الكسائي: ﴿مسكِنهم﴾ بسكون السين وكسر الكاف. ينظر: السبعة (٥٢٨)، البحر (٧/ ٢٦٩)، النشر (٢/ ٣٥٠).

(٣) يوسف: ٨٢ .

(٤) وذلك عند قوله تعالى: ﴿وجئتك من سبإٍ بنبإٍ يقين﴾ [النمل: ٢٢] وينظر: السبعة (٤٨٠ ، ٥٢٨)، النشر (٢/ ٣٣٧)، التيسير (١٦٧).

عن يمين، وجنةٌ عن شمال ﴿بلدةٌ طيبة ورب غفورٌ﴾ لمن آمن.

قال محمدٌ: ﴿جنتان﴾ بدلٌ من ﴿آية﴾ و ﴿ربٌ غفورٌ﴾ مرفوعٌ على معنى و اللَّهُ ربٌ غفورٌ.

﴿فأعرضوا﴾ عما جاءت به الرسُلُ ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ والعَرِمُ: الجسْرُ يُحبَسُ به الماء، وكان سدًا قد جعل في موضعٍ من الوادي [تجتمع][1] فيه المياه.

قال مجاهد: إن ذلك السَّيْل الذي أرسَلَ اللَّه عليهم من العرم ماء أحْمَر، أتى اللَّه به من حيث شاء، وهو شقّ السّدّ وهدَمَه. وحفر بطن الوادي عن الجنّتيْن؛ فارتفعتا وغارَ عنهما الماء فيبستا قال: ﴿وبدلناهم بجنتيْهم جنتيْن ذواتي أكل﴾ أي: ثمرة ﴿خمطٍ﴾ وهو الأَرَاك[2] ﴿وأثلٍ﴾.

قال محمدٌ: والأثل شبيه[3] بالطّرفاء، واختلف أهل اللغة في مد الطّرفاء وقصره، وأكثرهم على المد[4].

﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي﴾ أي: نعاقبُ ﴿إلا الكفور﴾.

قال محمدٌ: قيل معنى المجازاة ها هنا: أنه لا يغفر له، وإنما المغفرة لأهل الإيمان.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) أي: شجر المسواك. المعجم الوسيط (أرك).

(٣) في المعجم الوسيط (أثل): الأثل: شجر من الفصيلة الطرفاوية، طويل، مستقيم يعمَّر، كثير الأغصان، دقيق الورق. والواحدة أثلة. ينظر مادة (أثل).

(٤) ينظر ذلك من لسان العرب، القاموس المحيط (طرف).

فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿وجعلنا بينهم﴾ أي: وكنا جعلنا بينهم ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾ يعني: أرض الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ أي: متصلة؛ ينظر بعضها إلى بعض ﴿وقدرنا فيها السير﴾ (ل٢٧٧) تفسير الكلبي: يعني المقيل والمبيت ﴿سيروا فيها ليالي وأيامًا آمنين﴾ كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك بعضهم بعضًا، ولو لقي الرجلُ قاتِلَ أبيه لمْ يحركه ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ قال الحسن: ملوا النعمة؛ كما ملّت بنو إسرائيل المنَّ والسَّلوى. قال الله: ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بشركهمْ ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ لمَن بعدهم ﴿ومزّقناهم كل ممزقٍ﴾ أي: بدَّدْنا عظامهم وأوصالهم [فأكلهم][1] التُرابُ.

قال محمدٌ: وقد قيل في قوله: ﴿ومزّقناهم كلّ ممزّق﴾ أي: مزّقناهمْ في البلاد؛ لأنهم لما أذهب الله جنتيهم وغرق مكانهم تبدّدُوا في البلاد؛ فصارت العرب تتمثل بهم في الفرقة فتقول: تفرّقوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ؛ إذا أخذوا في وجوهٍ مختلفة[2].

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبّار﴾ على أمر الله ﴿شكورٍ﴾ لنعمة الله وهو المؤمن.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (سبأ).

حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ولقد صدق عليهم إبليسُ ظنّه﴾ يعني: جميع المشركين ﴿فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين﴾ قال بعضهم: قال إبليس: خُلِقتُ من نارٍ وخُلِقَ آدم من طينٍ، والنار تأكل الطين! فلذلك ظن أنه سيضل عامتهم[١].

قال محمدٌ: ومن قرأ: ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف[٢] نصبَ الظنَّ مصْدَرًا على معنى: صَدَقَ عليهم إبليسُ ظنًّا ظنَّه[٣]، وصدق في ظنه.

﴿وما كان له عليهم من سلطانٍ﴾ هو كقوله: ﴿فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين﴾ يقول: لستم بمضلي أحدٍ ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾[٤].

قوله: ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة﴾ وهذا علم الفعال ﴿ممن هو منها في شكٍ﴾ وإنما جحد المشركون الآخرة ظنًّا منهم وشكًّا ﴿وربك على كل شيءٍ حفيظ﴾ حتى يجازيهم في الآخرة.

﴿وما لهم فيهما﴾ يعني: السمٰوات والأرض ﴿من شرك﴾ أي: ما خلقوا شيئًا مما فيهما ﴿وما له منهم﴾ أي: وما للّه من أوثانهم ﴿من ظهير﴾ أي: عوين.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ

---

(١) هناك حاشية على الأصل قدر سطر من قول يحيى غير واضحة.

(٢) وهي قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن كثير، وابن عامر. ينظر: السبعة (٥٢٩)، البحر (٧/ ٢٧٣)، النشر (٢/ ٣٥٠).

(٣) ينظر إعراب القرآن (٢/ ٦٦٩)، البحر (٧/ ٢٧٣)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٠).

(٤) الصافات: ١٦١ - ١٦٣ .

رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ عند اللَّه ﴿إلا لمن أذن له﴾ أي: لا يشفع الشافعون إلا للمؤمنين.

﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم...﴾ الآية.

قال يحيى: إن أهل السمٰوات لم يسمعوا الوحْيَ فيما بين عيسى ومحمد؛ فلما بعث اللَّه جبريل بالوحي إلى محمدٍ سمع أهل السمٰوات صوتَ الوحي مثل جر السلاسِل على الصخور - أو الصَّفا - فصعق أهل السمٰوات مخافة أن تقوم الساعة، فلما فرغ من الوحي، وانحدر جبريل جعل كلما يمُرُّ بأهل سماء فزع عن قلوبهم - يعني: خُلي عنها - فسأل بعضهم بعضًا - يسأل أهل كل سماء الذين فوقهم إذا خُلي عن قلوبهم ماذا قال ربكم؟ فيقولون الحق؛ أي: هو الحق - يعنون: الوحي.

قال محمدٌ: وقيل: إن تأويل ﴿فزع عن قلوبهم﴾ أي: كشف اللَّه الفزع عن قلوبهم.

﴿وإنا أو إياكم لعلى هدًى أو في ضلالٍ مبين﴾ بيِّن، وهي كلمة عربية؛ يقول الرجل لصاحبه: إنَّ أحدنا لصادق - يعني: نفسه - وكقوله: إنّ أحدنا لكاذبٍ؛ يعني: صاحبه[1] - أي: نحن على الهدى وأنتم في ضلالٍ مبين، وكان هذا بمكة وأمْرُ المسلمين يومئذٍ ضعيفٌ.

﴿قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/ ٢٨٠)، الدر المصون (٥/ ٤٤٣).

يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿قل لا تُسألون عما أجرَمنا ولا نُسأل عما تعملون﴾ كقوله: ﴿قل إن افتريته فعليّ إجْرامي وأنا بريءٌ مما تجرمون﴾[1] ﴿ثم يفتح بيننا بالحق﴾ أي: يقضي ﴿وهو الفتاح﴾ القاضي ﴿العليم﴾ بخلقه.

﴿قل أروني الذين ألحقتم به شركاء﴾ أي: جعلتموهم شركاء؛ فعبدتموهم، يقول: أروني ما نفعوكم وأجابوكم به! كلَّا لستم بالذين تأتون بما نفعوكم وأجابوكم به إذ كنتم تدعونهم؛ أي: أنهم لم ينفعوكم ولم يجيبوكم، ثم استأنف الكلام؛ فقال: ﴿كلَّا بل هو اللَّه العزيز الحكيم﴾ أي: هو الذي لا شريك له ولا ينفع إلا هو .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ يعني: جماعة الإنس وإلى جماعة الجن ﴿بشيرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ومجازون.

---

(١) هود: ٣٥ .

﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن﴾ لن نصدق ﴿بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ يعنون: التوراة والإنجيل.

﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾ أي: المشركون ﴿موقوفون عند ربهم﴾ يوم القيامة ﴿يقول الذين استُضعفوا﴾ وهم السفلة (ل٢٧٨) ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الرؤساء.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿بل مكر الليل والنهار﴾ أي: بل قولكم لنا بالليل والنهار ﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا﴾ يعني: أوثانهم عدلوها بالله فعبدوها دونه ﴿وما أرسلنا في قريةٍ من نذيرٍ إلا قال مترفوها﴾ يعني: أهل السَّعة والنعْمة ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: يقتر ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿لا يعلمون﴾.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا

مُعَاجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ الزلفى: القربة[1] ﴿إلا من آمن﴾ أي: ليس القربة عندنا إلا لمن آمن وعمل صالحًا ﴿فأولئك لهم جزاءُ الضعف﴾ يعني: تضعيف الحسنات؛ كقوله: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾[2] ثم نزل بعد ذلك بالمدينة: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللَّه كمثل حبةٍ أنبتت سبع سنابل . . .﴾[3] الآية.

﴿والذين يسعون﴾ يعملون ﴿في آياتنا معاجزين﴾ أي: يظنون أنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم ﴿فأولئك في العذاب محضرون﴾ مُدْخَلُون ﴿وما أنفقتم من شيءٍ﴾ أي: في طاعة اللَّه ﴿فهو يخلفه﴾ تفسير السُّدي: ﴿فهو يخلفه﴾؛ يعني: في الآخرة؛ أي: يعوضهم به الجنة.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ويوم نحشرهم جميعًا﴾ يعني: المشركين وما عبدوا ﴿ثم نقول[4]

---

(١) وهي أيضًا القربى. لسان العرب (قرب).

(٢) الأنعام: ١٦٠ .

(٣) البقرة: ٢٦١ .

(٤) قرأ يعقوب وحفص ﴿يحشرهم ثم يقول﴾ بالياء فيهما، وقرأ الباقون ﴿نحشرهم ثم نقول﴾ بالنون فيهما. النشر (٢/ ٣٥١) إتحاف الفضلاء (٤٦١).

للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ يجمع اللَّه يوم القيامة بين الملائكة ومَنْ عبدها، فيقول للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ على الاستفهام وهو أعلم بذلك منهم ﴿قالوا﴾ قالت الملائكة: ﴿سبحانك﴾ ينزِّهون اللَّه عما قال المشركون.

﴿أنت ولينا من دونهم﴾ أي: أنا لمْ نكن نواليهم على عبادتهم إيانًا ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ الشياطين هي التي دعتهم إلى عبادتنا؛ فهم بطاعتهم الشياطين عابدون لهم ﴿بل أكثرهم﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿بهم﴾ أي: بالشياطين ﴿مؤمنون﴾ مصدقون بما وسوسوا إليهم بعبادة من عبدوا؛ فعبدوهم ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ وهم جميعًا قرناء في النار: الشياطين، ومن أضلوا؛ يلعن بعضُهم بعضًا، ويتبرأ بعضُهم من بعض .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وما آتيناهم من كتبٍ يدرسونها﴾ أي: يقرءونها بما هم عليه من الشرك ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ من قبل قومك يا محمد؛ يعني: من أَهلَك من الأمم السالفة.

﴿وما بلغوا معشار﴾ ما بلغ هؤلاء معشار؛ أي: عشر ﴿ما آتيناهم﴾ من الدنيا؛ يعني: الأمم السالفة.

﴿فكيف كان نكيري[1]﴾ عقابي؛ أي: كان شديدًا؛ يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم.

قال محمدٌ: (نكير) المعنى: نكيرى، وحُذِفت الياء؛ لأنه آخر آية[2].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ بـ (لا إله إلا اللَّه) يقوله للمشركين ﴿أن تقوموا للَّه مثنى وفرادى﴾ أي: واحدًا واحدًا، أو اثنين اثنين ﴿ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنةٍ﴾ أي: ما بمحمدٍ من جنون ﴿إن هو إلا نذيرٌ لكم بين يديْ عذابٍ شديد﴾.

قال محمدٌ: المعنى: ينذركم أنكم إن عصيتم لقيتم عذابًا شديدًا.

﴿قل ما سألتكم من أجرٍ﴾ أي: الذي سألتكم من أجرٍ ﴿فهو لكم إن أجرى﴾ ثوابي ﴿إلا على اللَّه﴾ ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ أي: ينزل الوحي ﴿علام الغيوب﴾ غيب السماء: ما ينزل منها من المطر وغيره، وغيب الأرض ما يخرج منها من النبات وغيره.

---

(١) أثبت الياء في الوصل ورش، وفي الحالين يعقوب. النشر (٢/ ٣٥١).

(٢) ورويت القراءة (نكيري) بإثبات الياء وصلًا عن ورش، وإثباتها وصلًا ووقفًا عن يعقوب. ينظر: إتحاف الفضلاء (٣٦٠)، التيسير (١٨٦)، النشر (٢/ ٣٥١).
وينظر التوجيه النحوي من: البحر (٧/ ٢٩٠)، البيان (٢/ ٢٨٢)، مجمع البيان (٤/ ٣٩٥).

قال محمدٌ: من قرأ ﴿علامُ الغيوب﴾ بالرفع[١]، فعلى معنى: هو علام الغيوب[٢].

﴿قل جاء الحق وما يبدئ الباطل﴾ [يعني: إبليس][٣] ﴿وما يعيد﴾ أي: ما يخلق أحدًا ولا يبعثه ﴿قل إن ضللتُ فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت...﴾ الآية؛ أي: أنكم أنتم الضالون، وأنا على الهدى.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾ تفسير الحسن: يعني النفخة الأولى التي يُهْلَكُ بها كفار آخر هذه الأمة ﴿فلا فوت﴾ أي: لا يفوت أحدٌ منهم دون أن يهلك بالعذاب ﴿وأُخِذُوا من مكان قريب﴾ يعني: النفخة الآخرة. قال الحسن: وأي شيء أقرب من أن [كانوا][٤] في بطن الأرض فإذا هم على ظهورها.

قال محمدٌ: قيل: من مكان قريب: قريب على الله يعني: القبور.

(ل٢٧٩) وهو معنى ما ذهب إليه الحسن ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ يعني: الآخرة، والتناوش: التناول، قال الحسن يعني: وأنى

---

(١) وهي قراءة العامّة، وروي عن زيد بن علي، وابن أبي عبلة، وأبي حيوة القراءة بنصبها. ينظر: البحر (٧/ ٢٩٢) جامع القرطبي (١٤/ ٣١٣) الإعراب للنحاس (٢/ ٦٨٠).

(٢) ينظر الدر المصون (٥/ ٤٥٣)، وفيه تفصيل نحوي واسع.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

لهم الإيمان.

قال محمد: المعنى: وأنى لهم تناول ما أرادوا من التوبة؛ أي: إدراكه من مكان بعيد من الموضع الذي تقبل فيه التوْبة، وهو معنى قول الحسن، والتناوش يُهْمزُ ولا يُهمزُ يقال: نشتُ ونَأَشْتُ[١].

﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ كذبوا [بالبعث][٢] وهو اليوم عندهم بعيد؛ لأنهم لا يقرون به .

﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ تفسير بعضهم: ما يشتهون من الإيمان، ولا يقبل منهم عند ذلك.

﴿كما فُعِل بأشياعهم من قبل﴾ يعني: من كان على دينهم - الشرك - لمّا كذبوا رسلهم جاءهم العذاب، فآمنوا عند ذلك؛ فلم يقبل منهم ﴿إنهم كانوا﴾ قبل أن يجيئهم العذاب ﴿في شكٍ مريب﴾ من الريبة؛ وذلك أنّ جحودهم بالقيامة، وبأن العذاب لا يأتيهم؛ إنما ذلك ظن منهم [وشك ليس][٢] عندهم فيه علمٌ.

* * *

---

(١) يقال: نَأَش يَنْأَشُ نأشًا، ويقال: تناءش وتناوش. لسان العرب (نأش).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

تفسير سورة الملائكة[1]
وهي مكيةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾

قوله: ﴿الحمد للَّه﴾ حمد نفسه، وهو أهل الحمد ﴿فاطر﴾ خالق ﴿السمٰوات والأرض جاعل الملائكة رسلًا﴾ جعل من شاء منهم لرسالته إلى الأنبياء ﴿أولي﴾ ذوي ﴿أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ تفسير قتادة: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة.

قال محمد: (وثلاث ورباع) في موضع خفض، وكذلك (مثنى) إلا أنه فتح ثلاث ورباع؛ لأنه لا ينصرف لعلّتين: إحداهما: أنه معدول عن ثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، واثنين اثنين، فهذه علّةٌ، والثانية: أن عدْله وقع في حال النكرة[2].

﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ تفسير الحسن: يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء ﴿ما يفتح اللَّه للناس﴾ تفسير الكلبي: ما يقسِمُ اللَّه للناس ﴿من رحمة﴾ من الخير والرزق ﴿فلا مُمسك لها﴾ أي: لا أحدَ يستطيع أن يمسك ما يقسم من

---

(١) أي: سورة فاطر.

(٢) ينظر التفصيل في ذلك من البحر (٧/ ٢٩٨)، إعراب القرآن (٢/ ٦٨٣)، البيان (٢/ ٢٨٥).

رحمة ﴿وما يمسك فلا مرسلَ له من بعده﴾ يعني: نفسه، تبارك اسْمُه.

قال محمدٌ: ﴿يفتح﴾ في موضع جزْم على معنى الشرط والجزاء، وجواب الجزاء ﴿فلا ممسك لها﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾

﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة اللَّه عليكم هل من خالقٍ غير اللَّه يرزقكم من السماء والأرض﴾ يعني: ما ينزل من السماء من المطر، وما ينبت في الأرض من النبات ﴿لا إله إلا هو﴾ يقوله للمشركين يحتج به عليهم، وهو استفهام؛ أي: لا خالق ولا رازق غيره، وأنتم تقرون بذلك وتعبدون من دونه الآلهة!

قال محمدٌ: تقرأ ﴿غير﴾ بالرفع والكسْر؛ فمن قرأ بالرفع فعلى معنى: هل خالقٌ غيرُ اللَّه وتكون ﴿من﴾ مؤكدة، ومن كسر جعله صفة للخالق[2].

﴿فأنى تؤفكون﴾ يقول: فكيف تُصرف عقولكم فتعبدون غير اللَّه؟! ﴿وإن يكذبوك فقد كُذبت رسلٌ من قبلك﴾ يعزيه بذلك، ويأمُره بالصَّبْرِ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ

---

(١) ينظر الدر المصون (٥/٤٥٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالجر، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: البحر (٧/ ٣٠٠)، التيسير (١٨٢)، النشر (٢/ ٣٥١) وينظر التوجيه النحوي من البحر (٧/ ٣٠٠)، الدر المصون (٥/ ٤٥٨ - ٤٥٩).

كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق﴾ يعني: ما وعد من الثواب والعقاب ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ الشيطان ﴿إنما يدعو حزبهُ﴾ يعني: الذين أضلّ ووسوس إليهم بعبادة الأوثان ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾ والسعير اسم من أسماء جهنَّم ﴿أفمن زُين له سوء عمله فرآه حسنًا﴾ كمن آمن وعمل صالحًا؛ أي: لا يستويان، وفيه إضمارٌ ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ يقول: لا تتحسر عليهم إذ لم يؤمنوا .

﴿وَاللَّهُ الَّذِىٓ أَرْسَلَ الرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه﴾ يعني: سقنا الماء في السحاب ﴿إلى بلد ميت﴾ أي: إلى أرض ليس فيها نبات.

ولمّا قال: ﴿إلى بلدٍ﴾ قال: ﴿ميتٍ﴾؛ لأن البلد مذكّرٌ، والمعنى على الأرض[1] ﴿كذلك النشور﴾ أي: (هكذا)[2] تحيَوْن بعد الموت بالماء يوم

(١) أي: أن التذكير محمول على اللفظ لا على المعنى. ينظر الدر المصون (٥/ ٤٦٠).
(٢) في «ر»: كذلك.

القيامة كما تحيا الأرض بالماء فتنبت، يرسل الله مطرًا منيًا كمني الرجال؛ فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما تُنبِتُ الأرض من الثرى يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، فينطلق كل روح (ل٢٨٠) إلى جسده حتى يدخل فيه، فيجيبوا إجابة رجل واحد سراعًا إلى صاحب الصور إلى بيت المقدس ﴿من كان يريد العزة فللَّه العزة جميعًا﴾ تفسير قتادة يقول: من كان يريد العزة؛ فليتعزّزْ بطاعة اللَّه ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ هو التوحيد ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ التوحيد؛ لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أي: يعملونها ﴿ومكر أولئك﴾ أي: عمل أولئك ﴿هو يبور﴾ أي: يفسد عند اللَّه؛ لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا من المؤمن ﴿واللَّه خلقكم من ترابٍ﴾ يعني: خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ يعني: نسْل آدم ﴿ثم جعلكم أزواجًا﴾ يعني: ذكرًا وأنثى؛ والواحد: زوج ﴿وما يُعمر من معمَرٍ ولا ينقص من عمره﴾ تفسير الحسن: وما يعمر من معمرٍ؛ حتى يبلغ أرذل العمر، ولا ينقص من آخر عمر المعمر فيموت قبل أن يبلغ أرذل العمر ﴿إلا في كتابٍ إن ذلك على اللَّه يسير﴾ هيِّن.

قال سعيد بن جبير: كُتِب في أول الصَّحيفة أجله، ثم كُتب أسْفل من ذلك ذهب يوْم كذا، وذهب يوم كذا حتى يأتي على أجَله.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ

﴿تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾

﴿وما يستوي البحران هذا عذبٌ فراتٌ﴾ أي: حلو ﴿سائغ شرابه﴾ ﴿وهذا ملحٌ أجاج﴾ أي: مالحٌ [(١)] مرٌّ ﴿ومن كل﴾ يعني: من العَذْب والمالح ﴿تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ يعني: اللؤلؤَ.

قال محمدٌ: وإنما تستخرج الحليةُ من الملح دون العذب، إلا أنهما لما كانا مختلطيْن جاز أن يقال: تستخرجون الحلية منهما؛ كقوله ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾[(٢)].

﴿وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله﴾[(٣)] يعني: طلب التجارة في السفن ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ هو أخذ أحدهما من الآخر ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجلٍ مسمى﴾ لا يعدوه، قال السُّدي: وهو مطالع الشمس والقمر إلى غاية لا يجاوزانها في شتاءٍ ولا صيف ﴿والذين تدعون من دونه﴾ يقوله للمشركين يعني: أوثانهم ﴿ما يملكون من قطمير﴾ قال مجاهد: القِطْمير: لفافة النّواة[(٤)].

قال محمدٌ: يقال: لِفَافةٌ وفُوفَة، والفُوفَة أفصح[(٥)].

---

(١) الأفصح: ملح . أما (مالح) فهي لغة رديئة. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (ملح) وفي «ر»: أجاج .

(٢) الرحمن: ٢٢ . قلت: هذا الذي قاله المؤلف رحمه الله قاله جماعة من المفسرين، وخالفهم غيرهم، فقالوا: إن الحلية تستخرج من البحرين جميعًا، وسيأتي نقل بعض أقوالهم عند تفسير هذه الآية من سورة الرحمن - إن شاء الله تعالى..

(٣) فاطر: ١٢ .

(٤) ويُطْلق القطمير على الشيء الحقير الهين. لسان العرب (قطمر).

(٥) وتجمع (لفافة) على لفائف، وتجمع (فُوفه) على (فُوف). ينظر لسان العرب (فوف، لفف).

﴿إن تدعوهم﴾ يعني: تنادوهم ﴿لا يسمعوا دعاءكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ يعني: بعبادتكم إياهم ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ يعني: نفسه تبارك وتعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿إن يشأ يذهبكم﴾ بعذاب الاستئصال ﴿ويأتي بخلق جديد﴾ هو أطوعُ[1] له منكم ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي: لا يشق عليه.

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي: لا تحمل حاملةٌ ذنب نفس أخرى ﴿وإن تدع مثقلةٌ﴾ أي: من الذنوب ﴿إلى حملها لا يحمل منه شيءٌ ولو كان ذا قربى﴾ أي: لا يحمل قريبٌ عن قريبه شيئًا من ذنوبه.

قال محمدٌ: المعنى ولو كان المدْعُو ذا قربى.

﴿إنما تنذر﴾ أي: إنما يقبل نذارتك ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ في السر حيث لا يطلع عليهم أحدٌ ﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿ومن تزكى﴾ أي: عمل صالحًا ﴿فإنما يتزكى لنفسه﴾ أي: يجد ثوابه.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى

---

(١) أي: منقادون له طائعون. لسان العرب (طوع).

ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ وهذا تبعٌ لقوله: ﴿وما يستوي البحران﴾[١]، ﴿ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ هذا كله مثل المؤمن والكافر؛ أي: كما لا يستوي ما ذكر؛ فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر.

قال محمدٌ: الحرُور: (استيقاد)[٢] الحر ولفحه بالليل والنهار[٣].

﴿إن اللَّه يُسمع من يشاء﴾ أي: يهديه للإيمان ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ أي: وما أنت بمسمع الكفار سمع قبول؛ كما أن الذين في القبور لا يسمعون.

﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ أي: من أمة ممَّن أهلكها إلا خلا فيها نذير، يحذر المشركين أن ينزل بهم ما نزل بهم إن كذبوا النبي عليه السلام ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ قال السُّدي: يعني الآيات (ل٢٨١) التي كانت تجيء بها الأنبياء ﴿وبالزبر﴾ يعني أحاديث [الكتاب][٤] ما كان [من قبلهم][٥] من المواعظ ﴿وبالكتاب المنير﴾ البيِّن، يعني: الكتاب الذي يجيء به النبي منهم إلى قومه ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: كان شديدًا.

---

(١) فاطر: ١٢.
(٢) سقط من «ر».
(٣) ويجمع على: حرائر. لسان العرب (حرر).
(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٥) في الأصل: لهم، والمثبت من «ر».

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿ألَمْ تر أن اللَّه أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها﴾ [وطعمها في الإضمار][(١)] ﴿ومن الجبال جُدَدٌ بيض﴾ أي: [طرائق][(٢)] بيض ﴿وحمْرٌ مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾ والغربيب: الشديد السّواد.

قال محمدٌ: قالوا: أسْوَدُ غِرْبيبٌ يؤكدون السواد[(٣)]، والجُدَد واحدها: جُدّة[(٤)].

﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألوانُه كذلك﴾ أي: كما اختلفت ألوان ما ذكر من الثمار والجبال ثم انقطع الكلام، ثم استأنف فقال: ﴿إنما يخشى اللَّه من عباده العلماء﴾ وهم المؤمنون.

قال ابن عباس: يعلمون أن اللَّه على كل شيءٍ قدير ﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية﴾ السِّر: التطوع؛ والعلانية:

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل وأثبته من الدر المصون (٥/ ٤٦٦) وفي «ر»: طريق.
(٣) ينظر لسان العرب (غرب).
(٤) وهو جزء الشيء يخالف لونه لون سائره. وقيل: هي الطريقة. لسان العرب (جدد).

الزكاة المفروضة، يستحبُّ أن تُعْطى الزكاة المفروضة علانية، والتطوُّع سرًّا ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ أي: تفسد ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ يعني: ثوابهم في الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يضاعف لهم الثواب .

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾

﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا﴾ اخترنا ﴿من عبادنا فمنهم ظالمٌ لنفسه ...﴾ إلى قوله: ﴿يدخلونها﴾.

يحيى: عن النَّضر بن بلال، عن أبان بن أبي عياش، عن جعفر بن زيد وذكر حديثًا فيه: أن أبا الدَّرداء قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا...﴾ إلى قوله: ﴿جنات عدن يدخلونها...﴾ إلى آخر الآية، قال: فيجيء هذا السابقُ بالخيرات فيدخل الجنة بلا حساب، ويجيء هذا المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا ثم يتجاوز الله عنه، ويجيء هذا الظالم لنفسه فيُوقفُ ويعيّر ويوبّخ ويُعَرَّف ذُنوبَه، ثم يدخله الله الجنة بفضل رحمته، فهم الذين قالوا: ﴿الحمدُ لله الذي أذهب عنا الحزن إنّ ربنا لغفور شكورٌ﴾[1] غفر الذنب الكبير، وشكر العمل اليسير»[2].

(١) فاطر: ٣٤.
(٢) لم أقف عليه من هذا الطريق ولا من الطريق الآتي بعد أثر عمر ﷺ.
وروى الإمام أحمد (٥/ ١٩٤، ١٩٨، ٦/ ٤٤٤) والطبري في تفسيره (٢٢/ ١٣٧) والحاكم (٢/ ٤٢٦) والبيهقي في البعث (٥٨) والبغوي في تفسيره (٦/ ٤٢١) عن أبي الدرداء نحوه. وفيه اختلاف ذكره البخاري في الكنى (١٧ - ١٨) وأشار الحاكم إلى بعضه .

يحيى: عن أبي أميّة، عن ميمون بن سِيَاه، عن شهر بن حَوْشب؛ أن عمر ابن الخطاب قال: «سابقُنا سابقٌ، ومقتصدُنا ناجٍ، وظالمنا مغفورٌ له»(١).

ومن حديث يحيى بن محمد، عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي الدرداء قال: «قرأ رسول الله هذه الآية، فقال: أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يحاسب حسابًا يسيرًا، وأما الظالم لنفسه فيحبس في طول المحشر، ثم يتجاوز اللهُ عنه».

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ

---

(١) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ١٢٠ رقم ٢٣٠٨) ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور كما في تخريج الكشاف (٣/ ١٥٣) - عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله عمن سمع عمر رضي الله عنه به.
وقد اختلف في إسناد حديث ميمون بن سياه عليه.
فرواه حفص بن خالد عن ميمون بن سياه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا.
خرجه البيهقي في البعث والنشور - كما في تخريج الكشاف (٣/ ١٥٣) - والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٣/ ٣٣١).
وقال البيهقي: فيه إرسال بين ميمون وعمر.
وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٣٩): وهذا منقطع.
ورواه الفضل بين عميرة الطفاوي - من طريق عمرو بن الحصين عنه - عن ميمون بن سياه عن أبي عثمان النهدي عن عمر رضي الله عنه.
خرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٤٣) - والإسماعيلي - كما في مسند الفاروق لابن كثير (٢/ ٦٠٣) - وابن مردويه في تفسيره، والواحدي في الوسيط والثعلبي - كما في تخريج الكشاف (٣/ ١٥٣) - والبغوي في تفسيره (٦/ ٤٢١).
وقال العقيلي: الفضل بن عميرة الطفاوي عن ميمون بن سياه، ولا يُتابع على حديثه.
ثم روى الحديث، وقال: وهذا يُروى من غير هذا الوجه بنحو هذا اللفظ بإسنادٍ أصلح من هذا.
وقال ابن كثير عن عمرو بن الحصين: وهو متروك.
وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٣٩): فيه الفضل بن عميرة، وهو ضعيف.

﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا﴾ ليس من أهل الجنة أحدٌ إلا وفي يديه ثلاثة أَسْورة: سوار من ذهب، وسوارٌ من فضة، وسوارٌ من لؤلؤ. وقال ها هنا: ﴿من أساور من ذهب ولؤلؤًا﴾ وقال في آية أخرى ﴿وحلّوا أساور من فضّة﴾(١).

قال محمدٌ: من قرأ: (ولؤلوءًا)(٢) فعلى معنى: (يحلّوْن لؤلؤًا)(٣) وأساور جمع: أسورة، واحدها: سِوَارٌ(٤).

﴿ولباسهم فيها حرير﴾.

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن أبي المهزم، عن أبي هريرة قال: «دارُ المؤمن دُرَّةٌ مُجَوَّفة في وسطها شجرة تُنْبِت الحُلَل، ويأخذ بأصبعه - أو قال:

---

(١) الإنسان: ٢١ .

(٢) قد سبق التعليق على هذه القراءة . ينظر (الحج: ٢٣).

(٣) ينظر: البحر (٧/ ٣١٤)، إعراب القرآن (٢/ ٩٩٨).

(٤) ويقال: سوار بضم السين وكسرها؛ وهو حِلْيةٌ من الذهب مستديرة كالحلْقة تلبس في المعصم أو الزند. لسان العرب، المعجم الوسيط (سور).

بأصابعه - سبعين حُلَّةً منظَّمة باللؤلؤ والمرجان»(١).

﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصبٌ ولا يمسنا فيها لغوب﴾ إعْيَاء.

قال محمدٌ: المُقَامة والإِقَامة واحدٌ(٢).

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا﴾.

قال محمدٌ: من قرأ (فيموتوا)(٣) يجعله جواب الفاء للنفي في أوله(٤).

﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل﴾ أي: ارْدُدْنا في الدنيا نعملْ صالحًا! قال الله: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ يعني: النبي ﷺ. [قال قتادة](٥) (ل٢٨٢) نزلت هذه الآية وفيها ابن ثماني عشرة .

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد - زوائد نعيم بن حماد (٧٤ رقم ٢٦٢) عن حماد بن سلمة به ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ١٢٩ رقم ١٥٨٨٧) وهناد في الزهد (١٢٥) وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ٥٠ رقم ٢٠٥) من طريق حماد به.
وأبو المهزم اسمه يزيد بن سفيان متروك الحديث، ترجمته في التهذيب (٣٤/ ٣٢٧ - ٣٢٩) وقال ابن عدي في الكامل (٩/ ١٤٩): وقد روى حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة أحاديث كلها غير محفوظة.

(٢) وكذلك المُقَام؛ كلُّه بمعنى موضع الإقامة. لسان العرب (قوم).

(٣) وهي قراءة العامَّة، وروي عن الحسن وعيسى الثقفي: ﴿فيموتون﴾ ينظر: البحر (٧/ ٣١٦)، المحتسب (٢/ ٢٠١) جامع القرطبي (١٤/ ٣٥٢).

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٦٩٩ - ٧٠٠)، البحر (٧/ ٣١٦) البيان (٢/ ٢٨٩).

(٥) طمس في الأصل والمثبت من «ر» وقال السيوطي في الدر (٥/ ٢٧٦): أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: «اعلموا أن طول العمر حجة؛ فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر، قال: نزلت وإن فيهم لابن ثمان عشرة سنة».

عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي: خلفًا بعد خلف ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ قال السُّدّي: يعني: في الأرض ﴿أم لهم شرك في السمٰوات﴾ أي: لم يخلقوا منها مع اللَّه شيئًا ﴿أم آتيناهم كتابًا﴾ بما هم عليه من الشرك ﴿فهم على بينات[1] منه﴾ أي: لم يفعل ﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضًا إلا غرورًا﴾ يعني: الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأوثان، والمشركين الذين دعا بعضهم بعضًا إلى ذلك.

قال محمدٌ: (الغرور) الأباطيل التي تغرُّ[2]، ومعنى (إن يعد): ما يعد و(بعضهم) بدلٌ من (الظالمين)[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ

---

(١) بينات بالجمع، وهي قراءة شعبة عن عاصم، وابن عامر، ونافع والكسائي. وفي «ر»: ﴿بينة﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحمزة وحفص. ينظر: السبعة (٥٣٥)، البحر (٧/ ٣١٨)، التيسير (١٨٢)، النشر (٢/ ٣٥٢).

(٢) أي: بضم الغين، أما الغرور - بفتحها - فهو كل ما يغرُّ الإنسان من مالٍ أو جاهٍ أو شهوةٍ أو شيطانٍ أو غير ذلك. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (غرر).

(٣) وينظر في دلالة (إن) المخفّفة - على النفي -: مغني اللبيب (١/ ٣٠) وقد سبق مثل هذا.

لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿إن اللَّه يمسك السمٰوات والأرض أن تزولا﴾ [يعني: لئلا تزولا][1] ﴿ولئن زالتا إن أمسكهما من أحدٍ من بعده﴾ وهذه صفةٌ؛ يقول: إن زالتا، ولن تزولا ﴿وأقسموا باللَّه جهد أيمانهم لئن جاءهم نذيرٌ﴾ نبيٌّ ﴿ليكونُن أهدى من إحدى الأمم﴾ كقوله: ﴿وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرًا من الأولين لكنا عباد اللَّه المخلصين﴾[2].

قال اللَّه: ﴿فلما جاءهم نذيرٌ﴾ محمد ﴿ما زادهم﴾ ذلك ﴿إلا نفورًا﴾ عن الإيمان ﴿استكبارًا في الأرض﴾ عن عبادة اللَّه ﴿ومكر السيئ﴾ يعني: الشرك وما يمكرون برسول اللَّه وبدينه ﴿ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله﴾ وهذا وعيدٌ لهم.

قال محمدٌ: (استكبارًا) منصوبٌ مفعولٌ له؛ المعنى: ما زادهم إلا نفورًا للاستكبارِ[3].

﴿فهل ينظرون﴾ ينتظرون ﴿إلا سنة الأوّلين﴾ أي: سُنَّة اللَّه في الأوّلين أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم ﴿فلن تجد لسنة اللَّه تبديلًا﴾ لا يبدل اللَّه بها غيرها ﴿ولن تجد لسنة اللَّه تحويلًا﴾ أي: لا تُحَوَّل؛ وأخَّر عذاب كفَّار آخر هذه الأمّة إلى النفخة الأولى بالاستئصال؛ بها يكون هلاكهم، وقد عذب أوائل مشركي هذه الأمة بالسيف يوم بدر.

---

(١) من «ر».
(٢) الصافات: ١٦٧ - ١٦٩ .
(٣) أي: مفعول لأجله، وفيه أقوال أخرى. ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٧٠٣) البيان (٢/ ٢٨٩)، البحر (٧/ ٣١٩ - ٣٢٠).

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿أو لَمْ يسيروا في الأرض﴾ أي: بلى قد ساروا ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ كان عاقبتُهم أن دمَّر اللَّه عليهم ثم صيرهم إلى النار؛ يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم ﴿وما كان اللَّه ليعجزه﴾ ليسبقه ﴿من شيءٍ في السمٰوات ولا في الأرض﴾ حتى لا يقدر عليه ﴿ولو يؤاخذ اللَّه الناس بما كسبوا﴾ بما عملوا ﴿ما ترك على ظهرها من دابّةٍ﴾ يقول: لَحَبَسَ عنهم القَطْر فهلك ما في الأرض من دابّة ﴿ولكن يؤخرهم﴾ يعني: المشركين ﴿إلى أجل مسمى﴾ الساعة بها يكون هلاكُ كفَّار آخر هذه الأمة ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ الساعة ﴿فإن اللَّه كان بعباده بصيرًا﴾.

❊ ❊ ❊

تفسير سورة يس وهي مكيّةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾

قوله: ﴿يس﴾ تفسير قتادة: يا إنسان، يقوله للنبي عليه السلام.

قال محمدٌ: قيل: إنها بلغة طَيِّئ[1].

﴿والقرآن الحكيم﴾ المحكَم ﴿إنك لمن المرسلين على صراطٍ مستقيم﴾ أقسم للنبي بالقرآن أنه من المرسلين على دينٍ مستقيم ﴿تنزيل﴾ أي: هو تنزيلٌ، يعني: القرآن ﴿العزيز الرحيم﴾ ﴿لتنذر قومًا﴾ يعني: قريشًا ﴿ما أُنذر آباؤهم﴾ قال بعضهم: يعني: الذي أَنْذَرَ آباءهم ﴿فهم غافلون﴾ يعني: في غفلةٍ من البعث ﴿لقد حق القول﴾ سبق ﴿على أكثرهم﴾ يعني: من لا يؤمن منهم ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ [مغلولون][2] يقول: هم فيما ندعوهم إليه من الهدى بمنزلة الذي في عُنقه

(١) وكذلك فسَّرها الكلبي، وروى ذلك عن ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة. وقال سعيد بن جبير: هو كذلك في لغة الحبشة. ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٩٧)، تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٨)، الدر المصون (٥/ ٤٧٤).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

الغُلّ[١]، فهو لا يستطيع أن يبسط يده، أي: أنهم لا يقبلون الهدى و(المُقْمَح) في تفسير الحسن: الطّامح ببصره الذي لا يبصر حيث يطأ بقدمه؛ أي: أنهم لا يبصرون الهُدَى.

قال محمدٌ: قوله: ﴿فهي إلى الأذقان﴾ (فهي) كناية عن الأيدي لا عن الأعناق؛ لأن الغلّ يجعل اليد تلي الذّقن والعُنق[٢]. والمُقْمَح في كلام العرب: الرافع رأسه الغاضُّ بصره. وقيل: (. . .)[٣] أقماح؛ لأن الإبل إذا وردت الماء ترفعُ رءوسها لشدّة برودته[٤].

قال الشاعر - يذكُر سفينة -:

[ونحن على جوانبها قعود][٥] نغض الطرف كالإبل القماح

واحد القماح: قامح (ل٢٨٣) ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا﴾ هو كقوله: ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾[٦] [قال: كان ناسٌ من المشركين من قريش يقول بعضهم: لو قد رأيتُ محمدًا لقد فعلتُ كذا وكذا! ويقول بعضهُم: لو قد رأيتُه لفعلتُ به كذا وكذا! فأتاهم النبي ﷺ في حَلْقة من المسجد، فوقف عليهم فقرأ عليهم: ﴿يس والقرآن

---

(١) بضم الغين أي: القيد في العنق أو اليد. ينظر: لسان العرب (غلل).

(٢) أي: أن الضمير في (فهى) يعود على الأيدى، وقيل: يعود على الأغلال. انظر تفصيل ذلك من البحر المحيط (٧/ ٣٢٤)، الدر المصون (٥/ ٤٧٥ - ٤٧٦).

(٣) كلمتان غير واضحتين في الأصل و«ر» وانظرلسان العرب (قمح)، البحر المحيط (٧/ ٣٢٤)، الدر المصون (٥/ ٤٧٦).

(٤) ينظر المراجع السابقة.

(٥) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل، وأثبته من «ر» والبيت من بحر الوافر، وهو لبشر بن أبي خازم. ينظر - بالإضافة إلى المراجع السابقة - ديوانه (٤٨)، مجاز القرآن (٢/ ١٥٧).

(٦) الجاثية: ٢٣ . وفي الأصل: (وختم على سمعهم). وهو ليس بآية أو جزء منها. إنما الآية ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم. . .﴾ [البقرة: ٧].

الحكيم...﴾ حتى بلغ: ﴿فهم لا يبصرون﴾ ثم أخذ ترابًا؛ فجعل يذروه على رءوسهم، فما رفع رجل إليه طرفه ولا تكلّم كلمة. ثم جاوز النبي ﷺ فجعلوا ينفضُون التراب عن رءوسهم ولحاهم وهم يقولون: واللَّهِ ما سمعنا، وما أبصرنا، وما عقلنا!][(١)].

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لَمْ تنذرهم﴾ يعني: الذين لا يؤمنون ﴿إنما تنذر﴾ إنما يقبل نذارَتَك ﴿من اتبع الذكر﴾ القرآن ﴿إنا نحن نحي الموتى﴾ يعني: البعث ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أي: ما عملوا من خير أو شر ﴿وآثارهم﴾ تفسير قتادة: يعني الخُطَا، لو كان اللَّه مُغْفِلًا شيئًا من شأنك يا ابن آدم لا تُخصيه لأغفلَ هذه الآثارَ التي [تعفوها][(٢)] الرياح ﴿وكل شيءٍ أحصيناه في إمام مبين﴾ بيِّن؛ يعني: اللوح المحفوظ.

قال محمدٌ: (كلّ) نُصِب على معنى: أحصينا كلَّ شيءٍ أحصيناه[(٣)] ﴿واضرب لهم مثلًا أصحاب القرية﴾ وهي أَنْطاكية ﴿إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث﴾ أي: قوَّيناهما بثالثٍ.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ

---

(١) سقط من الأصل، وأثبته من «ر».

(٢) في الأصل (تعفرها) بالراء، وهو تحريف. والمراد بـ (تعفوها الرياح): تمحو آثارها. لسان العرب (عفو).

(٣) ينظر: الدر المصون (٥/ ٤٧٧).

أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

قال محمدٌ: معنى قوله: ﴿واضربْ لهم مثلًا﴾ أي: اذكر لهم مثلًا و(أصحاب القرية) بَدَلٌ من قوله: (مثلًا)[١] وقوله: (فعززنا) يقال: منه عَزَّز من قلبه؛ أي: قوَّى[٢]، وتعزّز لحم الناقة إذا صَلُبَ[٣].

وفي تفسير مجاهد: أنه أُرسِلَ إليهم نبيَّان قبل الثالث فقتلوهما ثم أرسل اللَّه الثالث قال: فقالوا: يعني: الأولين قبل الثالث، والثالث بعدهما: ﴿إنا إليكم مرسلون﴾.

﴿قالوا إنا تطيرنا بكم﴾ أي: تشاءمنا ﴿لئن لمْ تنتهوا لنرجمنكم﴾ لنقتلنكم ﴿قالوا﴾ قالت لهم رسلُهم ﴿طائركم معكم﴾ [أي عملكم معكم.

قال محمد: شؤمكم معكم أي عملكم به تصابون][٤] ﴿أئن ذكرتم﴾ يعني: ذكّرناكم باللَّه تطيَّرْتمْ بنا.

قال محمدٌ: قراءة نافع (أين) بهمزة بعدها ياء. واختلف عليه في المد[٥].

---

(١) ينظر: الدر المصون (٥/ ٤٧٧). وتقدَّم مِثْل هذا مرارًا.

(٢) في الأصل (قو) بدون الياء، وليس له معنًى.

(٣) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (عزز).

(٤) طمس بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) لم أرَ من نسب هذه القراءة إلى نافع إلا ها هنا، وإنما تُنسب قراءة (أين) إلى عيسى بن عمر، والحسن البصرى وقتادة والأعمش وغيرهم. وأما قراءة نافع التي رويت عنه فهى (أئن) بتسهيل الهمزة الثانية بلا فصل، وقرأها أيضًا (إنْ)، وقرأها أيضًا (آنْ).
ينظر: البحر (٧/ ٣٥٧)، السبعة (٥٤٠)، جامع القرطبي (١٥/ ١٧) الإعراب للنحاس (٢/ ٧١٤).

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ أنطاكية ﴿رجلٌ يسعى﴾ يسرع، وهو حبيب النَّجّار.

تفسير مجاهد قال: كان [رجلًا][(١)] من قوم يونُسَ وكان به جذامٌ[(٢)]، فكان يطيف بآلهتهم يدعوها فلم يُغن ذلك عنه شيئًا، فبينما هو يومًا إذ هو بجماعة فدنا منهم؛ فإذا نبي يدعوهم إلى الله وقد قتلوا قبله اثنين، فدنا منه، فلما سمع كلام النبي قال: يا عبدَ الله، إن معي ذهبًا، فهل أنت آخذه مني وأتبعك وتدعو الله لي؟ قال: لا أريد ذهبك ولكن اتبعني فلما رأى الذي به دعا الله له فبرأ[(٣)]، فلما رأى ما صُنِع به قال: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرًا﴾ لما كان عرض عليه من الذهب فلم يقبله منه ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني . . .﴾ إلى قوله: ﴿فاسمعون﴾ أي: فاسمعوا مني قولي، دعاهم إلى الإيمان فلما سمعوه قتلوه، فقيل له: ادخل الجنة. قال مجاهد: أي:

---

(١) في الأصل و «ر» (رجلٌ) بالرفع؛ وهو خلاف الجادة.
(٢) داءٌ يصيب الجلد والأعصاب الطرفية، يسبب فقدًا بقعيًا، وقد تتساقط منه الأطراف. المعجم الوسيط (جذم).
(٣) بَرَأ بَرْءًا؛ أي: شُفِيَ، وغير أهل الحجاز يقولون: بَرِئَ بُرْءًا؛ أي: شُفِي. ينظر لسان العرب (برئ).

وجبت لك الجنةُ ﴿قال يا ليت قومي يعلمون ...﴾ الآية .

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قال اللَّه: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جندٍ من السماء﴾ يعني: رسالة - في تفسير مجاهد -؛ أي: انقطع عنهم الوحيُ؛ فاستوجبوا العذابَ ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة﴾ والصَّيْحَةُ عند الحسن: العذاب ﴿فإذا هم خامدون﴾ قد هَلَكوا ﴿يا حسرة على العباد﴾ أخبر اللَّه أن تكذيبهم الرسلَ حسرةٌ عليهم.

قال محمدٌ: من قرأ: (إلا صيحةً واحدةً) بالنصب[1]، فالمعنى: ما كانت عقوبتُهم إلا صيحةً واحدةً[2].

والحسرةُ: أن يركب الإنسان من شدّة النّدم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبُه حسيرًا.

يقال منه: حَسِرَ الرجل، وتحسَّر[3].

﴿ألم يروا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾ أي: لا يرجعون إلى الدنيا؛ يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم

(١) وهي قراءة العامة، ورويت قراءة الرفع عن أبي جعفر، وشيبة، والأعرج. ينظر: البحر (٧/ ٣٣٢)، جامع القرطبي (١٥/ ٢١)، النشر (٢/ ٣٥٣).
(٢) ينظر: البحر (٧/ ٣٣٢)، الدر المصون (٥/ ٤٨٠).
(٣) بمعنى أَسِفَ وحزن، فهو حَسْرَان، وهي حَسْرَى. لسان العرب (حسر).

﴿وإن كل لما جميعٌ لدينا محضرون﴾ يوم القيامة.

قال محمدٌ: من قرأ (لَمَا) بالتخفيف[١] ف «ما» زائدة مؤكَّدة؛ المعنى: وما كُلٌّ إلا جميعٌ[٢].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿وآية لهم الأرض الميتة﴾ يعني: التي لا نبات فيها أحييناها بالنبات؛ أي: فالذي أحياها بعد موتها قادرٌ على أن يحيي الموتى.

قال محمدٌ: ﴿آية﴾ رفع بالابتداء، وخبرها ﴿الأرض الميتة﴾[٣] ومعنى آية: علامة[٤].

﴿ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم﴾ أي: لمْ تعمله أيديهم ﴿سبحان الذي

---

(١) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي. ينظر: التيسير (١٢٦) البحر (٧/ ٣٣٤)؛ النشر (٢/ ٢٩١).

(٢) وينظر: الدر المصون (٥/ ٤٨٣) وتقدم مثله في (هود ١١١).

(٣) ينظر الدر المصون (٥/ ٤٨٣).

(٤) والجمع: آي وآيات. المعجم الوسيط (أيي).

خلق الأزواج كلها﴾ يعني: الأصناف ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم﴾ يعني: الذكر والأنثى ﴿ومما لا يعلمون﴾ مما خَلَقَ في البرّ والبحر ﴿وآية لهم الليل نسلخ منه النهار﴾ (ل٢٨٤) أي: نُذْهِب منه النهار ﴿والشمس تجري لمستقر لها﴾ لا تجاوزه، وهذا بعد مسيرها، ثم ترجع منازلَها إلى يوم القيامة حيث تُكوَّرُ ويذهبُ ضوْؤُها ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ أي: يجري على منازله؛ يَزِيدُ وينقُص ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ كعِذْق النخلة اليابس؛ يعني: إذا كان هِلَالًا.

قال محمدٌ: من قرأ (والقمر) بالرفع[1]، فعلى معنى: وآيةٌ لهم القمرُ[2].

﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ تفسير الحسن: لا الشمس ينبغي لها أن تدركَ القمرَ ليلةَ الهلال خاصة لا يجتمعان في السماء، وقد يُرَيَان جميعًا ويجتمعان في غير ليلة الهلال، وهو كقوله: ﴿والقمر إذا تلاها﴾[3] إذا تبعها ليلة الهلال خاصة ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أي: يأتي عليه النهارُ، كقوله: ﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا﴾[4].

﴿وكلٌّ في فلك يسبحون﴾ يعني: الشمس والقمر.

قال الحسن: الفَلَكُ: طاحونةٌ مستديرةٌ كفَلْكَةِ المِغْزَل بين السماء والأرض تجري فيها الشمسُ والقمر والنجوم، وليست بملتصقةٍ بالسماء، ولو كانت ملتصقةً ما جرتْ .

---

(١) وهي قراءة: نافع وابن كثير، وأبي عمرو. وقرأ باقي السبعة بالنصب. ينظر: السبعة (٥٤٠)، التيسير (١٨٤)، البحر (٧/ ٣٣٦).
(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٧٢١)، البحر (٧/ ٣٣٦) البيان (٢/ ٢٩٥).
(٣) الشمس: ٢ .
(٤) الأعراف: ٥٤ .

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾

﴿وآية لهم أنا حملنا (ذرياتهم)[1] في الفلك المشحون﴾ يعني: نوحًا وبنيه الثلاثة: سام وحام ويافث، منهم ذُرِئ[2] الخلق بعد ما غَرِقَ قومُ نوح؛ والمشحونُ: المُوقَر، يعني: مما حمل نوح معه في السفينة ﴿وخلقنا لهم من مثله﴾ من مثل الفلك ﴿ما يركبون﴾ يعني: الإبل ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾ أي: فلا مُغِيث لهم ﴿ولا هم يُنقذون﴾ من العذاب ﴿إلا رحمةً منا ومتاعًا إلى حين﴾ فبرحمتنا نمتّعهم إلى يوم القيامة، ولم نهلكهم بعذاب الاستئصال، وسيهلك كفّار آخر هذه الأمّة بالنفخة الأولى ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ تفسير الكلبي: ﴿ما بين أيديكم﴾ من أَمْر الآخرة اتقوها واعملوا لها، ﴿وما خلفكم﴾ يعني: الدنيا إذا كنتم في الآخرة فلا تغترُّوا بالدنيا؛ فإنكم تأتون الآخرة ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم اللَّه﴾ وهذا تطوُّع ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء اللَّه أطعمه﴾ فإذا لَمْ يشأ اللَّه أن يطعمه لِمَ نطعمه؟! ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ يقوله المشركون للمؤمنين.

---

(١) ﴿ذرياتهم﴾ بالجمع، وهي قراءة نافع، وابن عامر. ينظر: السبعة (٥٤٠)، البحر (٧/ ٣٣٨)، النشر (٢/ ٢٧٣).

(٢) أي: خُلِق. لسان العرب (ذرأ).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ أي: هذا العذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ يكذبون به. قال اللَّه ﴿ما ينظرون﴾ أي: ما ينتظر كفار آخر هذه الأمة الدَّائنين بدين أبي جَهْلٍ وأصحابه (إلا صيحة واحدة﴾ يعني: النفخة الأولى من إسرافيل بها يكون هلاكُهم ﴿تأخذهم وهم يخصِّمون﴾ أي: يختصمون في أسواقهم وحوائجهم ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ أن يوصُوا ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ من أسواقهم وحيث كانوا ﴿ونفخ في الصور﴾ هذه النفخةُ الآخرة، والصُّور: قرنٌ تُجْعل الأرواحُ فيه، ثم يَنْفُخ فيه صاحبُ الصُّور، فيذهبُ كلُّ روحٍ إلى جسده ﴿فإذا هم من الأجداث﴾ القبور ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ أي: يخرجون سِرَاعًا ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال قتادة: تكلّم بأوّل هذه الآية أهلُ الضلالة، وبآخرها أهلُ الإيمان. قال أهلُ الضلالة: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال المؤمنون: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾.

وقولهم: ﴿من مرقدنا﴾ هو ما بين النفختيْن لا يُعذَّبون في قبورهم ما بين النفختين، ويقال: إنها أربعون سنة، الأولى يميتُ اللَّه بها كلَّ حي، والأخرى يحيي اللَّه بها كلَّ ميت ﴿إن كانت﴾ يعني: ما كانت ﴿إلا صيحةً واحدة﴾ يعني: النفخة الثانية ﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ المؤمنون والكافرون.

قال محمدٌ: من قرأ: (صيحةً) بالنصْب[١]، فعلى معنى: إن كانت تلك إلا صيحةً[٢].

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٥٩﴾

﴿إن أصحاب الجنة اليوم﴾ يعني: في الآخرة ﴿في شغل﴾ قال قتادة في: افتضاض العذارى ﴿فاكهون﴾ أي: مسرورون؛ في تفسير الحسن (ل٢٨٥) ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك﴾ يعني: السُّرُر في الحجال.

يحيى: عن خالدٍ، عن الحسن قال: قال رسولُ اللَّه عليه السلام: «إنَّ أهل الجنة يدخلونها كلهم نساؤُهمْ ورجالهم من عند آخرهم أبناء ثلاثٍ وثلاثين سنة، على طول آدم؛ طوله ستون ذراعًا - اللَّه أعلم بأي ذراعٍ - جُرْدًا[٣] مُرْدًا مُكَحَّلين يأكلون ويشربون، ولا يبولون ولا يتغوَّطون ولا يَمْتَخِطُون، والنساء عُرُبًا أترابًا لا يَحِضْن، ولا يَلِدْن ولا يَمْتَخِطْن ولا يَبُلْن ولا يقضين حاجةً»[٤].

﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾ أي: يشتهون قال: يكون في فم أحدهم الطعامُ، فيخطُر على باله آخرُ؛ فيتحوَّل ذلك الطعامُ في فيه، يأكلُ من ناحيةِ البسْرةَ بُسرًا[٥]، ثم يأكل من الناحية الأخرى عنبًا إلى عشرةِ ألوان، وما شاء

---

(١) وهي قراءة العامَّة، وقرأ أبو جعفر بالرفع. ينظر: الكشاف (٣/ ٣٢٦)، النشر (٢/ ٣٥٣).
(٢) تقدم مثل هذا.
(٣) واحده: أجرد؛ وهو الذي خلا جسمه من الشعر. لسان العرب (جرد).
(٤) لم أقف عليه، وانظر صفة الجنة لأبي نعيم (٢/ ٧٨ - ١٠٩).
(٥) كذا في الأصل، وفي «ر»: من ناحية من اليسرة يسرا!!

اللَّه من ذلك. وتصفُّ الطيرُ بين يديه؛ فإذا اشتهى الطائر منها اضطرب ثم صار بين يديه نَضِيجًا بعْضُه شواءً وبعْضُه قَدِيدًا[١]، وكلُّ ما اشتهت أنفسهم وجدوه .

﴿سلامٌ قولًا من رب رحيم﴾ يأتي المَلَكُ من عند اللَّه إلى أحدهم فلا يدخل عليه، حتى يستأذن عليه يطلب الإذْنَ من البوّاب الأول؛ فيذكره للبواب الثاني، ثم كذلك حتى ينتهي إلى البواب الذي يليه، فيقول البواب له: ملكٌ على الباب يستأذنُ! فيقول: ائذن له فيدخل بثلاثة أشياء: بالسلام من اللَّه، والتحيَّة، وبأنَّ اللَّه عنه راضٍ.

قال محمدٌ: قوله: ﴿سلامٌ قولًا﴾ منصوبٌ على معنى: لهم سلامٌ يقوله اللَّه قولًا[٢].

﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ المشركون؛ أي: تميزوا عن أهل الجنَّة إلى النار.

قال محمدٌ: المعنى انقطعوا عن المؤمنين، يقال: مِزْتُ الشيء عن الشيء إذا عزلته عنه، فانمازَ وامتاز وميّزته فتميّز[٣].

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾

---

(١) القَدِيدُ: هو الذي يُقطَّع ويُملَّح، ويُجفَّفُ في الهواء والشمس. ينظر: المعجم الوسيط (قدد).

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٧٢٩)، البحر (٧/ ٣٤٣)، مجمع البيان (٤/ ٤٣٩).

(٣) ينظر لسان العرب (ميز).

ﭐلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾

﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألّا تعبدوا الشيطان﴾ لأنهم عبدوا الأوثان بما وسوس إليهم الشيطان؛ فأمرهم بعبادتهم فإنما عبدوا الشيطان ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي: دينٌ ﴿ولقد أضل منكم جبلًا كثيرًا﴾ أي: خلقًا كثيرًا ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ في الدنيا أَنْ لَمْ تؤمنوا ﴿اليوم نختم على أفواههم [وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾ تفسير بعضهم: لما قالوا: واللَّه ربنا ما كنا مشركين. ختم اللَّه على أفواههم][(١)] ثم قال للجوارح: انطقي فأوّل ما يتكلم من أحدهم فَخِذُه. قال الحسن: وهذا آخر مواطن يوم القيامة، إذا ختمت أفواههم لم يكن بعد ذلك إلا دخول النار .

﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ يعني: المشركين ﴿فاستبقوا الصراط﴾ الطريق ﴿فأنى يبصرون﴾ فكيف يبصرون إذا أعميناهم؟!

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ أي: لأقعدناهم على أرجلهم ﴿فما استطاعوا مضيًا ولا يرجعون﴾ أي: إذا فعلنا ذلك بهم لَمْ يستطيعوا أن يتقدّموا ولا يتأخّروا ﴿ومن نعمره﴾ أي: إلى أَرْذَل العمر ﴿ننكسه في الخلق﴾ فيكون

---

(١) لحق غير واضح بالأصل، والمثبت من «ر».

بمنزلة الصبي الذي لا يَعْقِلُ ﴿أفلا يعقلون﴾ يعني: المشركين، أي: فالذي خلقكم ثم جعلكم شبابًا ثم جعلكم شيوخًا ثم نكَّسكم في الخلق فردكم بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئًا - قادرٌ على أن يبعثكم يوم القيامة ﴿وما علمناه الشعر﴾ يعني: النبي عليه السلام ﴿وما ينبغي له﴾ أن يكون شاعرًا ولا يروي الشعر، هذا لقولهم في النبي أنه شاعرٌ.

قال قتادة: وقالت عائشة: «لم يتكلَّم رسول اللَّه ببيت شعرٍ قط؛ غير أنه أراد مرة أن يتمثَّل ببيت شعرٍ فلم يُقِمْه» وقال بعضهم إن رسول اللَّه ﷺ قال: «قاتل اللَّه طرفة[1] حيثُ يقول:

سَتُبْدِي لك الأيَّامُ ما كُنْتَ جاهلًا ويَأْتِيكَ مَنْ لم تُزَوِّدِ بالأَخْبَارِ

قيل له: إنه قال:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود[2]

فقال: سواء»[3].

---

(١) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. (٨٦ - ٦٠ ق هـ) تنظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (٣/ ٢٢٥).

(٢) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان طرفة (٦٦)، تفسير ابن كثير (٦/ ٥٧٥).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٥ - ١٤٦) والطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٧) من طريق معمر عن قتادة.
وروواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٥٩٧) - من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٩١) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.
وقد ورد أن النبي ﷺ تمثل بعجز هذا البيت لطرفة.
فروى الإمام أحمد (٦/ ٣١، ١٣٨، ١٤٦، ١٥٦، ٢٢٢) والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٢ رقم ٨٦٧) والترمذي (٥/ ١٢٨ رقم ٢٨٤٨) والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٤٧ رقم ١٠٨٣٣)، =

﴿إن هو إلا ذكرٌ وقرآن مبين﴾ تفسير بعضهم: إن هو إلا تفكّرٌ في ذات الله[1] ﴿وقرآن مبين﴾ بيِّن ﴿لتنذر﴾ يا محمدُ ﴿من كان حيًّا﴾ أي: مؤمنًا هو الذي يقبلُ نذارَتك ﴿ويحق القول﴾ الغضب ﴿على الكافرين﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ (ل٢٨٦) أي: قوتنا في تفسير الحسن كقوله: ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾[2] [أي: بقوة][3] ﴿وذللناها لهم فمنها ركوبهم﴾ أي: ما يركبون.

قال محمدٌ: (الرَّكُوب) بفتح الراء اسْمُ ما يركب، والرُّكوب المصدرُ، ويقال: مكانٌ رَكُوب، يريدون الاسم[4].

= ١٠٨٣٤) وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٨٩٨ رقم ١٥٨٢) والطحاوي في شرح المعاني (٤/ ٢٩٧) وفي شرح المشكل (٨/ ٣٧٤ - ٣٧٦ رقم ٣٣١٩، ٣٣٢٠) والبغوي في تفسيره (٧/ ٢٦) وغيرهم من طرق عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا استراث الخبر تمثل بيت طرفة: ويأتيك بالأخبار من لم تزود».

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(١) في «ر»: كتاب الله.

(٢) الذاريات: ٧٤ .

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) لسان العرب (ركب).

﴿ولهم فيها منافع﴾ في أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، ولحومها ﴿ومشارب﴾ يشربون من ألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ أي: فليشكروا ﴿واتخذوا من دون اللَّه آلهة لعلهم ينصرون﴾ يمنعون ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ لا تستطيع آلهتهم التي يعبدون نصْرهم ﴿وهم لهم جندٌ محضرون﴾ معهم في النار؛ في تفسير قتادة ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ أنك ساحر، وأنك شاعرٌ [وأنك كاهن][1] وأنك مجنون، وأنك كاذب ﴿إنا نعلم ما يسرون﴾ من عداوتهم لك ﴿وما يعلنون﴾ فيعصمك اللَّه منهم ويذلهم لك، ففعل اللَّه ذلك به.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه﴾ أي: وقد علم أنا خلقناه؛ أي: فكما خلقناه كذلك نعيده ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ أي: رُفات.

قال محمدٌ: يقال: رمّ العظمُ فهو رَمِيم ورِمَامٌ[2].

قال مجاهد: «أتى أُبيُّ بن خلف إلى النبي ﷺ بعظمِ نَخِرٍ ففتَّه بيده؛ فقال: يا محمدُ، أيحيي اللَّه هذا وهو رميم؟!»[3].

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب (رمم).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٣٠).

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٩٣) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم.

قال يَحْيَى: فبلغني أن النبي ﷺ قال له: «نعم يحييك اللَّه بعد موتك، ثم يدخلك النار»[١]؟ فأنزل اللَّه ﴿قل يحييها الذي أنشأها﴾ خلقها ﴿أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾.

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا﴾ يعني: كُلّ عودٍ تزند[٢] منه النار، فهو من شجرة خضراء ﴿الذي بيده ملكوت﴾ (أي: ملك)[٣] ﴿كل شيءٍ وإليه ترجعون﴾ يوم القيامة.

❊ ❊ ❊

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٦) والطبري في تفسيره (٢٣/ ٣٠) عن قتادة مرسلًا.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٩٣): لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.
(٢) في الأصل: (تزيد)، وهو تحريف عن الصواب. واللَّه أعلم.
(٣) سقط من «ر».

تفسير سورة والصافات وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

قوله: ﴿والصافات صفًّا﴾ قال قتادة: يعني: صفوف الملائكة.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أطّتِ[1] السماءُ وحُقَّ لها أن تئطَّ، ليس فيها موضعُ شبْرٍ إلا وعليها مَلَكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ»[2].

قال محمدٌ: الأَطِيطُ: الصوت.

﴿فالزاجرات زجرًا﴾ يعني: الملائكة، ومنهم الرعد الملك الذي يزجُر السحاب؛ وقال في آية أخرى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾[3] يعني: النفخة

(١) أي: صَوَّتت. لسان العرب (أطط).

(٢) لم أقف عليه من هذا الطريق المرسل، ورواه الإمام أحمد أحمد (٥/ ١٧٣) والترمذي (٤/ ٤٨١ - ٤٨٢ رقم ٢٣١٢) وابن ماجه (٢/ ١٤٠٢ رقم ٤١٩٠) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٠ - ٥١١، ٤/ ٥٤٤) وغيرهم عن أبي ذر رضي الله عنه.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٣) الصافات: ١٩، والنازعات: ١٣.

الآخرة ينفخها صاحبُ الصُّور ﴿فالتاليات ذكرًا﴾ الملائكة تتلوا الوحي الذي تأتي به الأنبياء؛ أقسم بهذا كلّه ﴿إنّ إلهكم لواحد رب السمٰوات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ تفسير قتادة قال: هي ثلاثمائة وستون مَشْرِقًا، وثلاثمائة وستون مَغْرِبًا.

﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظًا﴾ أي: وجعلناها يعني: الكواكب حِفْظًا للسماء ﴿من كل شيطانٍ ماردٍ﴾ أي: مجترئ على المعصية ﴿لا يسمعون﴾ أي: لئلا يسمعون[1] ﴿إلى الملأ الأعلى﴾ يعني: الملائكة في السماء، وكانوا يسمعون قبل أن يُبْعث النبي عليه السلام أخبارًا من أخبار السماء، فأما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يسمعوه ﴿ويُقذفون﴾ أي: يُرْمَوْن ﴿من كل جانب دحورًا﴾ أي: طَرْدًا ﴿ولهم عذابٌ واصب﴾ أي: دائم ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه﴾ أي: لحقه ﴿شهابٌ ثاقب﴾ مضيء، رجع إلى أول الكلام ﴿وحفظًا من كل شيطانٍ ماردٍ لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾.

﴿إلا من خطف الخطفة﴾ يعني: استمع الاستماعة.

قال ابن عباسٍ: إذا رأيتم الكوكب قد رُمِيَ به فتوارى؛ فإنه يَحْرق ما أصاب ولا يقتل.

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ

(١) هكذا في الأصل (يسمعون) بإثبات النون؛ وهو أحد الأوجه النحوية في إعراب هذا الفعل، حيث يذهبون إلى أن قوله تعالى: (لا يسّمعون﴾ أصله (لئلا يسمعون) وحذفت اللام، وارتفع الفعل. ولا يخفى مما في هذا الرأي من تعسُّفٍ. ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/٤٩٦).

مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿فاستفتهم﴾ يعني: المشركين، أي: فاسألهم على الاستفهام؛ يُحاجُّهم بذلك ﴿أهم أشد خلقًا أم من خلقنا﴾ أم السماء أي: أنها أشد خلقًا منهم ﴿إنا خلقناهم من طينٍ لازبٍ﴾ واللازبُ: الذي يلصقُ باليد؛ يعني: خلق آدم.

قال محمدٌ: يقال: لازبٌ ولازمٌ، بمعنى واحد(١).

﴿بل عجبت﴾ يا محمدُ أن أعطيت هذا القرآن ﴿ويسخرون﴾ يعني: المشركين ﴿وإذا ذكروا﴾ بالقرآن ﴿لا يذكرون﴾ (ل٢٨٧) ﴿وإذا رأوا آية﴾ إذا تليت عليهم آية ﴿يستسخرون﴾ من السُّخْرية ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ أي: صاغرون ﴿فإنما هي زجرةٌ واحدة﴾ النفخة الآخرة ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أي: خرجوا من قبورهم [ينظرون](٢).

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ

---

(١) لسان العرب (لزب).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿احشروا﴾ أي: سوقوا ﴿الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿وأزواجهم﴾ قال الحسن: يعني: الشياطين الذين دَعَوْا إلى عبادة الأوثان.

قال محمدٌ: تقول العرب: زوّجْتُ إبلي إذا قرنت واحدًا بآخر[1].

﴿فاهدوهم﴾ أي: ادْعوهم ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿الجحيم﴾ والجحيم اسم من أسماء جهنّم ﴿وقفوهم﴾ أي: احبسوهم، وهذا قبل أن يدخلوا النار ﴿إنهم مسئولون﴾ عن لا إله إلا الله.

قال محمدٌ: يقال: وقفت الدابة وَقْفًا ووقُوفًا، ومن هذا المعنى قوله: ﴿وقِفُوهم﴾ ويقال: أوقفتُ الرجل على الأمر إيقافًا[2].

﴿ما لكم لا تناصرون﴾ يقال لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا؟! قال الله: ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ أي: استسلموا ﴿وأقبل بعضهم على بعضٍ

---

(١) لسان العرب (زوج).

(٢) ينظر: لسان العرب (وقف).

يتساءلون﴾ يعني: الكفّار والشياطين ﴿قالوا﴾ قال الكفار للشياطين: ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ قال مجاهد: أي: من قبل الدِّين؛ فصددتمونا عنه ﴿قالوا﴾ يعني: الشياطين للمشركين من الإنس ﴿بل لم تكونوا مؤمنين﴾.

﴿وما كان لنا عليكم من سلطانٍ﴾ نقهركم به على الشرك ﴿بل كنتم قومًا طاغين﴾ أي: ضالين ﴿فحق علينا قول ربنا﴾ الشياطين تقول هذا، قال الله: ﴿فإنهم يومئذٍ في العذاب مشتركون﴾ يُقْرَنُ كل واحدٍ منهم هو وشيطانُه في سلسلةٍ واحدة ﴿ويقولون﴾ يعني: المشركين إذا دعاهم النبي إلى الإيمان ﴿أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون﴾ يعنون: النبي عليه السلام، أي: لا نفعل. قال الله ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ قبله ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثنى المؤمنين ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ الجنة.

﴿على سرر متقابلين﴾ لا ينظر بعضُهم إلى قَفَا بعضٍ.

تفسير بعضهم: وهذا في الزيارة إذا تزاوروا ﴿يُطَاف عليهم بكأسٍ﴾ وهي الخَمْرُ.

قال محمدٌ: الكأس اسْمٌ يقع لكل إناءٍ مع شرابه[(١)].

﴿من معين﴾ والمعين: الجاري الظاهر[(٢)] ﴿لا فيها غولٌ ولا هم عنها ينزفون﴾ أي: إذا شربوها لا يَسْكرون؛ فتذهب عقولُهم.

قال محمدٌ: يقال: الخمْر غَوْلٌ للحلْم، والحربُ غَوْلٌ للنفوس؛ أي: تذهب بها[(٣)]. وذكر أبو عبيد أن قراءة نافع (ينزَفون) بفتح الزاي في هذه، وفي

---

(١) وهي مؤنّثة، وقد تُطْلق على الشَّراب الذي في الإناء. والجمع: كئوس، وأكؤس. لسان العرب (كأس).

(٢) والجمع: (مُعُن). ينظر: المعجم الوسيط (عين، معن).

(٣) لسان العرب (غول).

التي في الواقعة[١].

قال محمدٌ: ويقال للسكران: نَزِيفٌ ومَنْزُوفٌ[٢].

ومن قرأ ﴿يُنْزِفون﴾ بكسر الزاي[٣] فهو من: أنزفَ القومُ إذا حان منهم النَّزفُ وهو السُّكْر؛ كما يقال: أحصد الزَّرعُ إذا حان حصادُه، وأقطف الكرمُ إذا حان قِطَافُه.

قوله: ﴿قاصرات الطرف﴾ يعني: الأزواج قَصْرن طرْفَهُنّ على أزواجهنّ لا يُرِدْن غيْرهم. ﴿عين﴾ عظام العيون، الواحدة منهن: عَيْناء[٤].

﴿كأنهن بيضٌ مكنون﴾ تفسير بعضهم يعني بالبيض: اللؤلؤ، كقوله: ﴿وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ﴾[٥] مكنونٌ في أصدافه.

﴿فأقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون﴾ يعني: أهل الجنة.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي. ينظر: البحر (٧/ ٣٦٠) السبعة (٥٤٧)، النشر (٢/ ٣٥٧)، التيسير (١٨٦). والآية التي في الواقعة هي قوله تعالى: ﴿لا يصدعون عنها ولا ينزفون﴾ [الواقعة: ١٩].

(٢) لسان العرب (نزف).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٤) ويقال: هو أَعْيَن، وهي عَيْناء، لمن اتَّسعت عينه وحسُنت. لسان العرب (عين).

(٥) الواقعة: ٢٢ .

﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ صاحبٌ في الدنيا .

﴿يقول أئنك لمن المصدقين﴾ على الاستفهام ﴿أئنا لمدينون﴾ لمحاسبون؛ أي: لا نُبْعَثُ ولا نُحَاسب.

قال يحيى: وهما اللذان في سورة الكهف في قوله: ﴿واضرب لهم مثلًا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين . . .﴾[(١)] إلى آخر قصتهما.

﴿قال﴾ المؤمن منهما: ﴿هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ يعني: في وسط الجحيم ﴿قال تاللَّه إن كـدت لتردين﴾ أي: تباعدني من اللَّه.

قال محمدٌ: يقال: رَدِيَ الرجُل يَرْدَى رَدًى؛ إذا هلك، وأَرْدَيْتُه: أهلكته[(٢)].

﴿ولولا نعمة ربي﴾ يعني: الإسلام ﴿لكنت من المحضرين﴾ معك في النار ﴿أفما نحن بميتين إلا مَوْتتنا الأولى﴾ وليس هي إلا موتة واحدة التي كانت في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على الاستفهام، وهذا استفهام على سرور (ل٢٨٨)، قد أمن ذلك، ثم [قال]:[(٣)] ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ

---

(١) الكهف: ٣٢ - ٤٤ .
(٢) فهو رَدٍ؛ أي: هالك. لسان العرب (ردى).
(٣) طمس في الأصل. والمثبت من «ر».

ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾

قال اللَّه: ﴿لمثل هذا﴾ يعني: ما [وصف فيه][1] أهل الجنة ﴿فليعمل العاملون﴾ ثم قال: ﴿أذلك خيرٌ نزلًا أم شجرة الزقوم﴾ أي: أنه خير نزلًا. ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ للمشركين.

قال قتادة: لما نزلت هذه الآية، جاء أبو جهل بتمر وزبد، وقال: تزقَّموا فما نعلم الزقوم إلا هذا، فأنزل اللَّه ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾.

قال يحيى: [بلغني][1] أنها في الباب السادس، وأنها تجيء بلهب النار؛ كما تجيء الشجرة ببرد الماء، فلابد لأهل النار من أن ينحدروا إليها، أعني: من كان فوقها؛ فيأكلوا منها.

قوله: ﴿طلعها﴾ يعني: ثمرتها ﴿كأنه رءوس الشياطين﴾ يقبحها بذلك.

قال محمدٌ: الشيء إذا استقبح يقال: كأنه وجهُ شيطان، وكأنه رأس شيطان، والشيطان لا يُرَى، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء لو نظر إليه، وهذا كقول امرئ القيس[2]:

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي ... وَسُمْر القَنَا حَوْلي كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ[3]

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق (ت ٨٠ ق. هـ). ترجمته ومصادرها في الأعلام (٢/ ١١).

(٣) البيت من بحر الطويل. ويروى: . . . ومسنونة زرق كأنياب أغوال. ينظر ديوانه (٣٣)، معاهد التنصيص (١/ ١٣٤)، الكامل (٣/ ٩٦).

ولم يَرَ الغُولَ ولا نَابَهَا.

﴿ثم إن لهم عليها لشوبًا من حميم﴾ أي: لمزاجًا من حميم، وهو الماء الذي لا يُسْتَطَاعُ من حَرِّه.

قال محمدٌ: (الشَّوبُ) المصدرُ، و(الشُّوبُ) الاسم؛ المعنى: إن لهم على أكلها لخلْطًا ومزاجًا من حميم .

﴿فهم على آثارهم يهرعون﴾ يُسْرِعُون.

قال محمدٌ: يقال: هُرِعَ الرّجل وأُهْرِعَ إذا اسْتُحِثَّ وأَسْرع[1].

﴿ولقد أرسلنا فيهم﴾ في الذين قبلهم ﴿منذرين﴾ يعني: الرسل ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أي: كان عاقبتهم أن دمّر اللَّه عليهم ثم صَيَّرهم إلى النار .

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ولقد نادانا نوحٌ﴾ يعني: حيث دعا على قومه ﴿فلنعم المجيبون﴾ له

(١) ويقال: هُرِعَ الرجل وأُهرِعَ؛ إذا مشى في اضطراب وسرعة. لسان العرب (هرع).

أجبْناه فأهلكناهم ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ يعني: الغَرَق.

﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ فالناس كلهم ولد سام وحام ويافث ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يعني: أبقينا له الثناءَ الحسن ﴿سلامٌ على نوح في العالمين﴾ يعني: ما كان بعد نوحٍ.

﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ تفسير مجاهد: على منهاجه وسُنَّته ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ من الشرك ﴿أئفكًا﴾ كذبًا ﴿آلهة دون اللَّه تريدون﴾ على الاستفهام أي: قد فعلتم؛ فعبدتموهم دونه ﴿فما ظنكم برب العالمين﴾ أي: أنه معذِّبكم ﴿فنظر نظرةً في النجوم﴾ في الكواكب ﴿فقال إني سقيم﴾ أي: مَطْعُون ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ إلى عيدهم؛ وذلك أنهم استتبعوه لعيدهم - في تفسير الكلبي - فعصب رأسه، وقال: إني رأيتُ الليلة في النجوم أني سأطعن غدًا! وكانوا ينظرون في النجوم، فقال لهم هذا كراهيةً منه للذهاب معهم، ولما أراد أن يفعل بآلهتهم كادَهم بذلك ﴿فراغ عليهم﴾ أي: مال على آلهتهم ﴿ضربًا باليمين﴾ فكسرها إلا كبيرهم، وقد مضى تفسيره في سورة الأنبياء[1] ﴿فأقبلوا إليه﴾ إلى إبراهيم ﴿يزفون﴾ أي: يبتدرونه.

قال محمدٌ: من قرأ (يَزِفُّون) بفتح الياء وتشديد الفاء[2] فالمعنى: يسرعون وأصله من: زَفِيفِ النَّعَام، يقال: زفَّت النعامُ تَزِفُّ زفيفًا، وفيه لغةٌ أخرى: أزفَّت زفافًا[3].

---

(١) الأنبياء: ٥٧ - ٦٧.

(٢) وهي قراءة السبعة إلا حمزة، فقد قرأ ﴿يُزِفُّون﴾ ينظر: السبعة (٥٤٨)، البحر (٧/٣٦٦)، النشر (٢/٣٥٧).

(٣) يقال: زفَّت النعام تَزِفُّ زُفوفًا وزَفيفًا. ينظر: لسان العرب (زفف).

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ قَالُوا ٱبْنُوا لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ۝٩٧ فَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٩٨ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٠٢﴾

﴿قال﴾ لهم إبراهيم ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ يعني: أصنامهم ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أي: خلقكم وخلق ذلك الذي تنحتون بأيديكم ﴿قالوا ابنوا له بنيانًا﴾ يقوله بعضهم لبعضٍ ﴿فألقوه في الجحيم﴾ أي: في النار؛ فجمعوا الحطب زمانًا، ثم جاءوا بإبراهيم، فألقوه في تلك النار ﴿فأرادوا به كيدًا﴾ بحرقهم إياه ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ في النار ﴿وقال إني ذاهبٌ إلى ربي سيهدين﴾ يعني: سيهديني[1] الطريق، هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام [﴿رب هب لي من الصالحين﴾ يريد: ولدًا تقيًا صالحًا ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ يريد إسماعيل][2] ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ [يريد العمل لله - تعالى - وهو الاحتلام][2]، تفسير الحسن يعني: سعي العمل وقيام الحجة[3].

[﴿قال﴾ إسماعيل ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ يريد ما أوحى إليك ربك ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على بلاء الله.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ

---

(١) في «ر»: يريد: سيرشدني.
(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».
(٣) أي: التكليف.

نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾

﴿فلما أسلما﴾ يريد إبراهيم وإسماعيل، يريد: أسلم إبراهيم طوعًا للَّه - تبارك وتعالى - أن يذبح ابنه وبكره وواحده؛ وكذلك هو في التوراة: (جادلني)[1] بكره وواحده. وأسلم إسماعيل نفسه للَّه][2]؛ أي: استسلما لأمر اللَّه، رضي إبراهيم بذبح ابنه، ورضي ابنه بأن يذبحه أبوه ﴿وتله للجبين﴾ (ل٢٨٩) أي: أضجعه؛ ليذبحه وأخذ الشفرة وعليه قميص أبيض قال: يا أبت إني ليس لي ثوبٌ تكفنني فيه [غير هذا][2] فاخلعه حتى تكفنني فيه. [﴿وتله للجبين﴾ يريد: أضجعه على جنبه إلى الأرض][2].

﴿وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ .

قال يحيى: ناداه به الملك من عند اللَّه [﴿أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ بوحي من اللَّه - عز وجل - ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد: هكذا نجزي الموحِّدين][2] ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ [يريد الذي ابتليتك به عظيم أن تذبح لي بكرك وواحدك][2] يعني: النعمة البيِّنة عليك من اللَّه؛ إذ لم تذبح ابنك.

قال محمدٌ: (وناديناه) ذكر بعض العلماء أنه جواب ﴿فلما أسلما وتله للجبين﴾ والواو زائدة[3]. واللَّه أعلم.

---

(١) كذا في «ر».
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) ينظر الدر المصون (٥/ ٥١٠)، البحر (٧/ ٣٧٠).

قال: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [يريد الكبش الذي تقرب به هابيل ابن آدم إلى اللَّه، فتقبله، وكان في الجنة يرعى حتى فدى اللَّه - جل ذِكْره - إسماعيل][١] قال مجاهد: أي متقبّل. قال ابن عباس: فالتفت إبراهيم؛ فإذا هو بكبش أبيض أقرن فذبحه.

قال يحيى: وابنه الذي أراد ذبحه: قال الحسن: هو إسحاق[٢].

﴿وتركنا عليه﴾ أبقينا عليه ﴿في الآخرين﴾ الثناء الحَسَن؛ [يريد الذكر الحسن لإكرامه لإسماعيل، ألا يذكر من بعده إلا بخير إلى يوم القيامة وذلك أن إبراهيم ﷺ قال في سورة باخع[٣] ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ يقول: لا أذكر في جميع الأمم من بعدي إلا بذكرٍ حسن.

﴿سلام على إبراهيم﴾ في العالمين ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد الموحدين ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ يريد: المصدقين الموحّدين ﴿وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين﴾ يريد: من صالح الأنبياء ﴿وباركنا عليه وعلى

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وهذا القول يخالف ظاهر القرآن؛ فإن اللَّه بعد أن ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه للَّه - تعالى - وإقدام إبراهيم على ذبحه وفرغ من قصته قال بعدها: ﴿وبشرناه بإسحاق نبيًا من الصالحين﴾ فشكر اللَّه - تعالى - له استسلامه لأمره وبذله ولده له وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه إسحاق، فنجى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق.

وقد بيَّن العلامة ابن القيم أن القول بأن الذبيح إسحاق من تحريف أهل الكتاب لكتبهم، وأظهر بطلانه من عشرة أوجه، انظرها في إغاثة اللهفان (٢/ ٣٢٣ - ٣٢٥).

وقال ابن القيم في زاد المعاد (١/ ٧١): وأما القول بأنه إسحاق فباطل من أكثر من عشرين وجهًا، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس اللَّه روحه - يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم. اهـ. وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ١٧ - ١٩) وتفسير البغوي (٧/ ٤٦ - ٤٧) وأضواء البيان (٦/ ٦٩١ - ٦٩٣).

(٣) يريد سورة الشعراء: الآية ٨٤ .

إسحاق﴾ يريد: على إبراهيم وإسحاق][1] ﴿ومن ذريتهما﴾ [يريد: ذرية إبراهيم وإسحاق][1] ﴿محسن﴾ [يريد: موحدًا، يعني:][1] مؤمن ﴿وظالم لنفسه﴾ مشرك [﴿مبين﴾ بين الشرك.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ يريد أعطينا موسى وهارون ﴿ونجيناهما وقومهما﴾ يريد بني إسرائيل الاثنى عشر سبطًا ﴿من الكرب العظيم﴾ يريد: الظلم العظيم ﴿ونصرناهم فكانوا هم الغالبين﴾ يريد: لفرعون ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ يريد: التوراة وما فيها من الأحكام ﴿وهديناهما﴾ يريد: أرشدناهما ﴿الصراط المستقيم﴾ يريد: الدين القويم الواضح ﴿وتركنا عليهما في الآخرين﴾ يريد: الثناء الحسن ﴿سلام على موسى وهارون﴾.

﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد: الموحّدين ﴿إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ يريد المصدقين بتوحيد الله.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

﴿وإن إلياس لمن المرسلين][1] إذ قال لقومه ألا تتقون﴾ [يريد: ألا تخافون][1] ﴿أتدعون بعلًا﴾ يريد صنمًا ما كان لهم أن يعبدوه، يقال له: البعل السيد.

تفسير الحسن: كان اسم صنمهم: بَعْلًا ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ .

﴿اللَّه ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ من قرأها بالرفع؛ فهو كلام مستقبل، ومن قرأها بالنصب؛ فالمعنى وتذرون أحسن الخالقين اللَّه ربّكم وربّ آبائكم الأولين[2] .

[﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ يريد أنهم لمبعوثون ﴿إلا عباد اللَّه المخلصين﴾ يريد: الذين صدقوا وأخلصوا للَّه بالتوحيد ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يريد: الثناء الحسن][1] ﴿سلام على إل ياسين﴾ [يريد: إلياس ومن آمن معه][1]، من قرأها موصولة يقول هو اسمه: آل ياسين، وإلياس، ومقرأ الحسن: الياسين قال: يعنيه ومن آمن من أمته[3] .

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) قرأ بالرفع: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ونافع، وابن عامر. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنصب. ينظر: السبعة (٥٤٩)، البحر (٧/ ٣٧٣)، النشر (٢/ ٣٦٠)، التيسير (١٨٧).

وينظر في توجيه هاتين القراءتين نحويًا: إعراب القرآن (٢/ ٧٦٥) البحر (٧/ ٣٧٣)، البيان (٢/ ٣٠٧).

(٣) وممّن قرأها موصولة أيضًا: أبو رجاء وابن محيصن. وقرأ نافع وابن عامر: (آلِ ياسين) وقرأ باقي السّبعة (إلْ ياسين). وفيها قراءات أخرى غير ذلك . ينظر: البحر (٧/ ٣٧٣)، السبعة (٥٤٩)، جامع القرطبي (١٥/ ١١٨)، المحتسب (٢/ ٢٢٥)، مختصر شواذ القراءات (١٢٨) وينظر في توجيه هذه القراءات ومعانيها الدر المصون .

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿وإن لوطًا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين﴾ يريد بأهله: بناته أجمعين][1] ﴿إلا عجوزًا في الغابرين﴾ يعني: الباقين في عذاب الله [يريد: امرأته، ﴿في الغابرين﴾ يريد: الفانين، يريد: بقيت حتى أهلكتها فيمن أهلكت ولم أنجها ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾ يريد: دمرت على من بقي، ودمرت عليها معهم][1] ﴿وإنكم﴾ [يا معشر المشركين][1] ﴿لتمرون عليهم﴾ [على منازلهم][1] ﴿مصبحين﴾ أي: نهارًا [يريد: في النهار إلى الشام في ذهابكم إلى الشام، وإقبالكم بالتجارة، وترون ما صنعت بهم][1] ﴿وبالليل﴾ [يريد: تمرون بهم أيضًا][1] ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين، يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق﴾ أي: فرَّ من قومه ﴿إلى الفلك المشحون﴾ يعني: المُوقَر.

قال يحيى: بلغنا - والله أعلم - أن يونس دعا قومه إلى الله، فلما طال ذلك عليه وأبوا أوحى الله إليه أن العذاب يأتيهم يوم كذا وكذا، فلما دنا الوقت تنحى عنهم، فلما كان قبل الوقت بيوم جاء فجعل يطوف بالمدينة وهو يبكي ويقول: غدًا يأتيكم العذاب! فسمعه رجلٌ منهم، فانطلق إلى الملك

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

فأخبره أنه سمع يونس يبكي. ويقول: يأتيكم العذاب غدًا، فلما سمع ذلك الملك دعا قومه، فأخبرهم بذلك، وقال: إن كان هذا حقًّا فسيأتيكم العذاب غدًا، فاجتمعوا حتى ننظر في أمرنا، فاجتمعوا فخرجوا من المدينة من الغد، فنظروا فإذا بِظُلمةٍ وريحٍ شديدة قد أقبلت نحوهم، فعلموا أنه الحقُّ، ففرّقوا بين الصبيان وأمهاتهم وبين البهائم وبين أمهاتها، ولبسوا الشَّعر وجعلوا الرماد والتراب على رءوسهم تواضُعًا للَّه، وتضرَّعوا إليه وبكوا وآمنوا، فصرف اللَّه عنهم العذابَ، واشترط بعضُهم على بعضٍ ألا يكذب أحدُهم كذبة إلا قطعوا لسانه، فجاء يونس من الغد فنظر فإذا المدينة على حالها، وإذا الناس داخلون وخارجون؛ فقال: أمرني ربي أن أخبر قومي أن العذاب يأتيهم غدًا فلم يأتهم، فكيف ألقاهم؟! فانطلق حتى أتى ساحل البحر؛ فإذا بسفينة في البحر؛ فأشار إليهم فأتوه فحملوه ولا يعرفونه، فانطلق إلى ناحية من السفينة فتقنَّع ورقد، فما مضوا إلا قليلًا حتى جاءتهم ريحٌ كادت السفينةُ تغرق، فاجتمع أهلُ السفينة ودعوا اللَّه ثم قالوا: أيقظوا الرجل يدعو معنا! ففعلوا فدفع اللَّه عنهم تلك الريح، ثم انطلق إلى مكانه فرقد، فجاءت ريحٌ كادت السفينة تغرق، فأيقظوه ودعوا اللَّه فارتفعت الريح، فتفكر العبد الصالح فقال: هذا من خطيئتي! أو كما قال، فقال لأهل السفينة (شُدوني)[1] وثاقًا وألقوني في البحر، فقالوا: ما كنّا لنفعل وحالُك حالُك، ولكنا نقترع فمن أصابته القرعةُ ألقيناه في البحر، فاقترعوا فأصابته القرعة، فقال: قد أخبرتكم. فقالوا: ما كنا لنفعل ولكن اقترعوا، فاقترعوا الثانية فأصابته القرعة، ثم اقترعوا الثالثة؛ فأصابته القرعة وهو قول اللَّه: ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾ [يريد: المسهومين][2] أي: وقع السهم عليه.

---

(١) هكذا في الأصل و«ر» والمراد: شدُّوا عليَّ، واللَّه أعلم.

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(ل٢٩٠) قال محمدٌ: المعنى: فقورع فكان من المقروعين وهو الذي أراد يحيى، وأصل الكلمة من قولهم: أدحض اللّه حُجَّته فدحضتْ؛ أي: أزالها فزالت[١].

قال يحيى: فانطلق إلى صدر السفينة ليلقي بنفْسه في البحر؛ فإذا هو بحوتٍ فاتحِ فاه، فانطلق إلى ذَنَب السفينة؛ فإذا هو بالحوت فاتحًا فاه ثمّ جاء إلى جانب السفينة؛ فإذا هو بالحوت فاتحًا فاه، ثم جاء إلى الجانب الآخر؛ فإذا هو بالحوت فاتحًا فاه، فلما رأى ذلك ألقى نفسه، فالتقمه الحوتُ، وهو قول اللّه: ﴿فالتقمه الحوت وهو مليمٌ﴾ [يريد: أن اللّه كان له لائمًا حيث أبق][٢].

قال محمدٌ: يقال: قد ألام الرجلُ إلامةً فهو مليمٌ، إذا أتى ما يجب أن يُلَام عليه[٣].

قال يحيى: فأوحى اللّه إلى الحوت ألا يأكل عليه ولا يشرب، وقال: إني لم أجعلْه لك رزقًا، ولكني جعلت بطنك له سِجْنًا. فمكث في بطْن الحوت أربعين ليلة ﴿فنادى في الظلمات﴾ كما قال اللّه: ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[٤] والظلمات: ظلمةُ الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، قال اللّه: ﴿فاستجبنا له...﴾[٥] الآية، وقال: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين...﴾ الآية [يريد: في بطن الحوت][٢] قال الحسن: أما واللّه

---

(١) لسان العرب (دحض).
(٢) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) لسان العرب (لوم).
(٤) الأنبياء: ٨٧ .
(٥) الأنبياء: ٨٨ .

ما هو بالتسبيح قبل ذلك، ولكنه لما التقمه الحوتُ جعل يقول: سبحان اللَّه، سبحان اللَّه . . . ويدعو اللَّه.

قال يحيى[١]: فأوحى اللَّه إلى الحوت أن يلقيه إلى البر، وهو قوله: ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾ [يريد على ساحل قرية من قرى الموصل يقال لها: بَلَد[٢] ﴿بالعراء﴾ عريان قد بلي لحمه، وكل شيء منه، مثل الصبي المولود ﴿وهو سقيم﴾ يريد الصبي المولود][٣].

قال محمدٌ: العَرَاء ممدودٌ وهو المكان الخالي، وإنما قيل له: عراءٌ؛ لأنه لا شجر فيه ولا شيءَ يغطيه، وكأنه من: عَرِيَ الشيءُ، والعَرَى - مقصورٌ -: الناحية[٤].

قال يحيى: فأصابته حرارةُ الشمس؛ فأنبت اللَّه عليه شجرة من يقطين - وهي القرع [تظله بورقها، ويشرب من لبنها][٣] فأظلته، فنام فاستيقظ [وقام من نومه][٣] وقد يبست فحزن عليها، فأوحَى اللَّه إليه: أحزنت على هذه الشجرة وأردت أن أهلك مائة ألف من خلقي [كما قال اللَّه - عز وجل -: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ يريد أكثر من مائة ألف، اللَّه أعلم الأكثرين منهم][٣] ﴿أو يزيدون﴾ أي: بل يزيدون.

قال محمدٌ: قيل: المعنى: ويزيدون، الألِفُ صلةٌ زائدة[٥].

---

(١) وفي «ر»: قال الحسن.

(٢) وربما قيل لها: بلط بالطاء، وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل، بينهما سبعة فراسخ. معجم البلدان (١/ ٥٧٠).

(٣) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) ويُجمع العَرَاء على: أَعْرَاء. لسان العرب (عري).

(٥) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٧٧٣)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٣)، البحر (٧/ ٣٧٦)، البيان (٢/ ٣٠٨).

قال يحيى: وبلغنا أنهم كانوا عشرين ومائة ألف، فعلم عند ذلك أنه قد ابْتُلِي فانطلق، فإذا هو بذود[1] من غنمٍ فقال للراعي: اسقني لبنًا. فقال: ليس ها هنا شاةٌ لها لبنٌ، فأخذ شاة منها، فمسح بيده على ضرعها فدرَّت فشرب من لبنها؛ فقال له الراعي: من أنت يا عبد اللَّه؟! قال: أنا يونس؛ فانطلق الراعي إلى قومه فبشرهم به فأخذوه وجاءوا معه إلى موضع الغنم، فلم يجدوا يونس؛ فقالوا: إنا شرطنا ألا يكذب أحدٌ إلا قطعنا لسانه؛ فتكلمت الشاة بإذن اللَّه؛ فقالت: قد شرب من لبني . وقالت شجرة - كان استظل تحتها -: قد استظلّ بظلي. فطلبوه فأصابوه فرجع إليهم، فكان فيهم حتى قبضه اللَّه، وكانوا بمدينة يقال لها: نينوى، من أرض الموصل، وهي على دجلة.

قوله: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال الحسن: فأعاد اللَّه له الرسالة، فآمنوا [يريد: صدقوا][2] كلهم قال اللَّه: ﴿فمتعناهم إلى حين﴾ يعني: إلى آجالهم، ولم يهلكهم.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾.

﴿فاستفتهم﴾ [يا محمد، أهل مكة][2] - يعني: المشركين - يقول: فاسألهم ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾ وذلك لقولهم أن الملائكة بنات اللَّه [يقول اللَّه سبحانه: أنى يكون له ولد، وقال][2] ﴿أم خلقنا الملائكة إناثًا﴾

---

(١) هو القطيع من الإبل أو الغنم بين الثلاث إلى العشر؛ وهو مؤنث. لسان العرب، المعجم الوسيط (ذود).

(٢) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

[يريد تسألهم يا محمد: أخلقنا الملائكة إناثًا][١]؟! ﴿وهم شاهدون﴾ لخَلْقهم [كما قال في الزخرف: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾[٢]][١].

﴿ألا إنهم من إفكهم﴾ كذبهم ﴿ليقولون ولد اللَّه﴾ أي: ولد البنات؛ يعنون: الملائكة ﴿أصطفى﴾ أختار ﴿البنات على البنين﴾ أي: لمْ يفعل.

قال محمدٌ: تفسير يحيى يدل على أن قراءته (أصطفى) مهموز، وفي هذا الحرف اختلاف بين القراء[٣].

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

[﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ يريد: هكذا تحكمون؟! تجعلون لأنفسكم البنين، وتجعلون للَّه البنات ﴿أفلا تذكرون﴾ يريد: تتعظون][١] ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ حجّةٌ بينة.

---

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) الزخرف: ١٩ .

(٣) قرأ حمزة ونافع بوصل الهمزة في الوصل، وقرأ حمزة أيضًا والكسائي بالإمالة وقفًا، ورويت القراءة بالتقليل وقفًا عن الأزرق وورش، ورويت القراءة (آصطفى) بالمد غير منسوبة. وقرأ باقي السبعة (أصطفى). ينظر: البحر (٧/ ٣٧٧)، السبعة (٥٤٩) إتحاف الفضلاء (٣٧١)، الإملاء (٢/ ١١٢).

﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه حجتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن الملائكة بنات الله؛ أي: ليس لكم بذلك حجة ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا﴾ تفسير بعضهم: يقول: قال مشركو العرب: إنه صاهر إلى الجن، والجن صنف من الملائكة، فكانت له منهم بنات ﴿ولقد علمت الجنَّة إنهم لمحضرون﴾ [يريد: لمعذبهم على هذا][(١)]؛ أي: مدخلون في النار ﴿سبحان الله﴾ ينزِّه نفْسه ﴿عما يصفون﴾ [عما يقولون من الكذب][(١)] ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ وهذا من مقاديم الكلام ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين، سبحان الله عما يصفون [﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يريد: الموحدين، يريد: أصحاب النبي ﷺ ومن آمن مثلهم][(٢)].

﴿فإنكم وما تعبدون...﴾ (ل٢٩١) الآية، يقول: ﴿فإنكم﴾ يعني: المشركين ﴿وما تعبدون﴾ يعني: ما عبدوا [يريد: فإنكم وآلهتكم التي تعبدون من دون الله][(١)] ﴿ما أنتم عليه﴾ على ما تعبدون [﴿بفاتنين﴾ يريد: ما تقدرون لا أنتم، ولا من تعبدون أن تضلوا أحدًا من عبادي إلا من كان في سابق علمي وقضائي وقدرتي][(١)] ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ [يريد: أنه قد كان في سابق علمي أنه يصلى الجحيم][(٢)].

قال محمدٌ: القراءة في (صال الجحيم) بكسر اللام على معنى: صالي - بالياء - والياء محذوفة في المصحف[(٣)].

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في الأصل: إلا من قدر له أن يصلى الجحيم. والمثبت من «ر».

(٣) قرأ العامّة (صالِ). وقرأ الحسن وابن أبي عبلة (صالُ)، وروي عنهما أيضًا (صالوا) وقرأ يعقوب (صالي) وقفًا. ينظر: الإتحاف (٣٧١)، البحر (٧/ ٣٧٩)، الإملاء (٢/ ١١٢)النشر (٢/ ١٣٨). وينظر في التوجيه النحوي واللغوي: البحر (٧/ ٣٧٩).

﴿وما منا إلا له مقامٌ معلوم﴾ [يريد: منذ خلقوا إلى النفخة الأولى، يسبحون اللَّه ويهللونه، ويحمدونه، ويسجدون له، لا يعرفون من يداني عبادتهم وقالت الملائكة: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾][(١)] أي: إلا له مكان يعبد اللَّه فيه. هذا قول الملائكة؛ أي: ينزهون اللَّه، حيث جعلوا بينه وبين الجِنَّة نسبًا [﴿وإنا لنحن الصافون﴾ في التسبيح والتهليل والتكبير ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾ يريد: أصحاب التسبيح][(١)] ﴿وإن كانوا ليقولون﴾ يعني [وإن كان أهل مكة ليقولون قبل أن يبعث محمدٌ ﷺ][(٢)] ﴿لو أن عندنا ذكرًا من الأولين﴾ [يريد: قرآنًا من لدن إبراهيم وإسماعيل][(١)] أي: كتابًا مثل كتاب موسى وعيسى ﴿لكنا عباد اللَّه المخلصين﴾ المؤمنين [يريد: التوحيد][(١)] قال اللَّه: ﴿فكفروا به﴾ بالقرآن؛ [يريد: بما جاء محمد ﷺ][(١)] ﴿فسوف يعلمون﴾ [تهديدًا][(١)].

قال محمدٌ: ذكر قطرب أن بعض القراء قرأ (مخلِصين) كل ما في القرآن بكسر اللام. قال: وقرأ بعضهم كل ما في القرآن ﴿مخلَصين﴾ ﴿إنه كان مخلَصًا﴾ كل ذلك بالفتح[(٣)] إلا ﴿مخلِصين له الدين﴾[(٤)] حيث [وقع][(١)] فإنه مكسورٌ.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) كلمة غير واضحة في الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: التيسير (١٢٨)، النشر (٢/ ٢٩٥)، جامع القرطبي (١٥/ ٧٦، ١١٨).
(٤) الأعراف: ٢٩، يونس: ٢٢، العنكبوت: ٦٥، لقمان: ٣٢، غافر: ١٤، ٦٥، البينة: ٥ .

سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾ في الدنيا، وبالحجة في الآخرة. تفسير الحسن: لمْ يُقْتَلْ من الرسل من أصحاب الشرائع أحدٌ قط.

[﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ يريد: حزبه، مثلما قال في (قد سمع اللَّه): ﴿أولئك حزب اللَّه ألا إن حزب اللَّه هم المفلحون﴾(١)](٢).

﴿فتولَّ عنهم حتى حين﴾ نسختها آية القتال(٣) [يريد: القتل ببدرٍ، وهو منسوخ بآية السيف](٢) ﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾ أي: فسوف يرون العذاب [أيضًا يقولوا: أنتظر بهم](٢) ﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ [أي: نزل بدارهم](٢) ﴿فساء صباح المنذرين﴾ [يريد: قريظة والنضير](٢) تفسير الحسن: يعني: النفخة الأولى؛ بها يهلك اللَّه كفار آخر هذه الأمة ﴿وتولّ عنهم﴾ [يا محمد](٢) ﴿حتى حين﴾ إلى آجالهم؛ [يريد: يوم بدر](٢)، وهذا منسوخٌ نسخه القتال(٤) ﴿وأبصرْ﴾ انتظر ﴿فسوف يبصرون﴾ [وعيدًا من اللَّه وتهديدًا، أي: فسوف](٢) يرون العذاب .

﴿سبحان ربك﴾ ينزِّه نفسه ﴿رب العزة عما يصفون﴾ يكذبون يا محمد، إنه سيعزك وأصحابك [يريد: من اتخاذ البنات والنساء](٢) ﴿وسلامٌ على

(١) المجادلة: ٢٢ .
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٣) ينظر الناسخ والمنسوخ (٧٦).
(٤) أي: آية القتال، التوبة: ٢٩ .

المرسلين﴾ [الذين يبلغون رسالتي وقاموا بديني وحجتي][(١)] ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ [يريد: والحمد لله، وأنا رب العالمين، يريد الأولين والآخرين][(١)].

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن أبي هارون العبدي قال: «سألت أبا سعيد الخدري: بم كان رسول الله ﷺ يختم صلاته؟ فقال: بهذه الآية: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾»[(٢)].

* * *

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٣٠٣) وفي مسنده - كما في المطالب العالية (١/ ٢٣٠ رقم ٥٥١/ ٢) وعبد بن حميد (٢٩٦ - ٢٩٧ رقم ٩٥٤، ٩٥٦) والحارث بن أبي أسامة - كما في زوائده (٦٦ - ٦٧ رقم ١٨٥) - وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٣٦٣ رقم ١١١٨) من طريق أبي هارون العبدي به.
قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥): إسناده ضعيف.
وقال ابن حجر في المطالب العالية (١/ ٢٣٠): تفرد به أبو هارون العبدي، وهو ضعيف.
وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢/ ٢٢٥): قلت: مدار حديث أبي سعيد الخدري على أبي هارون، وهو ضعيف، واسمه عمارة بن جوين.

تفسير سورة ص وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ البيان، أقسم بالقرآن [﴿ذي الذكر﴾ ذي الشرف، مثل قوله: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم﴾[١] ويقال: فيه ذكر ما قبله من الكتب][٢] ﴿بل الذين كفروا في عزةٍ وشقاق﴾ يعني: في حمية وفراق للنبي؛ هذا تفسير السُّدي.

قال محمدٌ: ذكر قطرب أن الحسن كان يقرأ (صادِ) بالخفضِ[٣] من المصاداة وهي المعارضة؛ المعنى: صادِ القرآن بعملك؛ أيْ: عارضْه به، قال: وتقول العرب: صاديتك بمعنى عارضتك، وتصدّيتُ لك؛ أي: تعرّضت[٤].

---

(١) الأنبياء: ١٠ .

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) وقرأها غير الحسن بالخفض أُبيّ، وابن أبي إسحاق وابن أبي علبة، وأبو السمال وغيرهم. وروى عن الحسن أنه قرأها: (صادُ) بالرفع. ينظر: البحر (٧/ ٣٨٣)، جامع القرطبي (١٥/ ١٤٢)، المحتسب (٢/ ٢٣٠).

(٤) لسان العرب (صدى).

[﴿شقاق﴾ يريد عداوة ومباعدة][(١)].

﴿كم أهلكنا من قبلهم﴾ من قبل قومك يا محمدُ ﴿فنادوا﴾ بالتوبة ﴿ولات حين مناص﴾ أي: ليس حين فرار، ولا حين تقبل التوبة فيه، [﴿ولات حين مناص﴾ يريد لا حين مهرب، والنوص: التأخر في كلام العرب، والبوص: التقدم[(٢)] قال امرؤ القيس:

أَمِنْ ذِكْرِ ليلى إذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ ... وتَقْصُر عَنها خَطوةً وتَبُوصُ[(٣)]

قال ابن عباس: ليس حين نزوٍ ولا فرار][(١)].

﴿وعجبوا﴾ رجع إلى قوله: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ﴾ أخبر كيف أهلكهم، ثم قال: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم﴾ يعني: محمدًا، ينذر من النار ومن عذاب اللَّه في الدنيا ﴿وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذاب﴾ يعنون: محمدًا ﴿أجعل الآلهة﴾ على الاستفهام منهم ﴿إلهًا واحدًا﴾ أي: قد فعل حين دعاهم إلى عبادة اللَّه وحده ﴿إنّ هذا لشيءٌ عجاب﴾ عجب [عجاب وعجيب واحد، مثل طوال وطويل، وعراض وعريض، وكبار وكبير][(١)].

﴿وانطلق الملأ منهم...﴾ الآية وذلك أن رهطًا من أشراف قريش مشوا إلى أبي طالب؛ فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وسيدنا، وقد رأيت ما فَعَلَتْ هذه السفهةُ - يعنون: المؤمنين - وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك! فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال: هؤلاء قومك يسألونك السواء[(٤)]؛ فلا تمل

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ينظر لسان العرب (نوص ، بوص).

(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ١٢٠) ولسان العرب (نوص).

(٤) السَّوَاء والسُّوَى: العَدْل. لسان العرب (سوى).

كل الميل على قومك، فقال رسول اللَّه: ماذا تسألونني؟ فقالوا له: ارفضنا من ذكرك وارفض آلهتنا، وندعك وإلهك، فقال رسول اللَّه: أمُعْطيّ أنتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم؟ فقال أبو جهل: للَّه أبوك نعَمْ، وعشرًا معها. فقال رسول اللَّه: قولوا: لا إله إلا اللَّه. فنفروا منها وقاموا وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيءٌ عجاب﴾. وانطلقوا وهم يقولون: [من علم أن نبيًا يخرج في زماننا هذا][1] ﴿أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيءٌ يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ تفسير الحسن يقولوا: ما كان عندنا [من هذا من علم أن][2] يخرج (ل٢٩٢) في زماننا هذا ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ أي: كذبٌ اختلقه محمد ﴿أأنزل عليه الذكر﴾ يعنون: القرآن على الاستفهام ﴿من بيننا﴾ أي: لمْ ينزل عليه، قال اللَّه: ﴿بل هم في شكٍّ من ذكري﴾ من القرآن ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ أي: لم يأتهم عذابي بعد، وقد أخر عذاب كفار آخر هذه الأمة إلى النفخة الأولى، وقد أهلك أوائلهم بالسيف يوم بدر.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) طمس في الأصل.

﴿أم أعندهم خزائن رحمة ربك﴾ قال السُّدي: يعني: مفاتح النبوة، فيعطوا النبوة من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا؛ أي: ليس ذلك عندهم.

﴿أم لهم ملك السمٰوات والأرض وما بينهما﴾ على الاستفهام؛ أي: ليس لهم من ذلك شيء ﴿فليرتقوا﴾ فليصعدوا ﴿في الأسباب﴾ قال السُّدي: يعني: في الأبواب؛ أبواب السمٰوات إن كانوا يقدرون على ذلك؛ أي: لا يقدرون عليه.

قال محمدٌ: المعنى إذا ادّعوا شيئًا من هذه الأشياء التي لا يملكها إلا اللَّه فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء.

﴿جندٌ ما هنالك﴾ أي: جندٌ هنالك، و«ما» صلة زائدة[1] ﴿مهزومٌ من الأحزاب﴾ يُخبر بأنّ محمدًا ﷺ سيهزمهم يوم بدر ﴿كذّبت قبلهم قوم نوحٍ وعادٌ وفرعون ذو الأوتاد﴾ تفسير قتادة: كان إذا غضب على أحدٍ أوتد له أربعة أوتاد على يديه ورجليه ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ يعني: قوم شعيب، والأيكة: الغيضة ﴿أولئك الأحزاب﴾ يعني به كفار من ذكر تحزّبوا على أنبيائهم ﴿إن كلٌّ﴾ يعني: من أَهْلَكَ ممن (مضى)[2] من الأمم السالفة.

﴿إلا كذّب الرسل فحق عقاب﴾ يعني: عقوبته إياهم بالعذاب ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ يعني: كفار آخر هذه الأمة ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يعني: النفخة الأولى بها يكون هلاكهم ﴿ما لها من فواق﴾ قال الكلبي: يعني ما لها من نظرة؛ أي: من تأخير.

قال محمدٌ: تُقرأ (فُواق) بضم الفاء وفتحها[3] وهو ما بين حلبتي الناقة،

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٧٨٦)، البحر (٧/ ٣٨٦)، البيان (٢/ ٣١٣).

(٢) في «ر»: قضى.

(٣) قرأ بضم الفاء حمزة والكسائي، وقرأ باقي السبعة بفتحها. ينظر البحر (٧/ ٣٨٩)، التيسير (١٨٧)، السبعة (٥٥٢)، النشر (٢/ ٣٦٢).

وذلك أن تُحلَب وتترك ساعة؛ حتى ينزل شيء من اللبن، ثم تحلب فما بين الحلبتين فُواق؛ فاستُعير الفُواق في موضع الانتظار[١].

﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾ تفسير الكلبي: قالوا ذلك حين ذكر الله في كتابه: (فمن أوتي كتابه بيمينه، ومن أوتي كتابه بشماله)[٢] والقِطُّ: الصحيفة المكتوبة[٣]؛ أي: عجل لنا كتابنا الذي يقول محمدٌ حتى نعلم أبأيماننا نأخذ كتبنا أم بشمائلنا - إنكارًا لذلك واستهزاءً.

قال محمدٌ: وجمع القط: قطوط.

﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿اصبر على ما يقولون﴾ يأمر نبيه بذلك ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيْد﴾ يعني: ذا القوة في أمر الله؛ في تفسير قتادة ﴿إنه أوَّابٌ﴾ أي: رجَّاع منيبٌ ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ قال الحسن: كان الله قد سخّر مع داود جميع جبال الدنيا تسبح معه وكان يفقه تسبيحها ﴿والطير محشورة﴾ أي: تحشر بالغداة والعشي تسبح معه.

قال محمدٌ: الإشراق: طلوعُ الشمس وإضاءتها، يقال: شرقت الشمس إذا

---

(١) وهو بضم الفاء وفتحها، يقال: فُواق، وفَوَاق. لسان العرب (فوق).

(٢) هما آيتان:

﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه﴾ [الحاقة: ١٩].

وقوله: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ [الحاقة: ٢٥].

(٣) والجمع: قِطَاط وقِطَطة. لسان العرب (قطط).

طلعت، وأشرقت إذا أضاءت؛ هذا الاختيار عند أهل اللغة[١].

﴿كلٌّ له أواب﴾ أي: مطيع.

قال محمد: وقيل المعنى كل يُرَجِّعُ التسبيح مع داود؛ أي: يجيبه كلما سبّح سبّحتْ؛ يعني: الجبال والطير ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة﴾ يعني النبوة ﴿وفصل الخطاب﴾ قال الحسن: يعني: العدل في القضاء.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وهل أتاك نبأُ الخصْم﴾ خبر الخصم أي: أنك لم تعلَمْه؛ حتى أعلمتك ﴿إذ تسوّروا المحراب. . .﴾ المسجد إلى قوله: ﴿وأناب﴾ تفسير الحسن: أن داود جمع عُبَّاد بني إسرائيل؛ فقال: أيكم كان يمتنع من الشيطان يومًا لو وكله اللَّه إلى نفسه؟ فقالوا: لا أحد إلا أنبياء اللَّه؛ فكأنّه عرض في الهم بشيء فبينما هو يصلي إذا بطائر حسن قد وقع على شُرفة من شرفِ[٢] المحراب.

---

(١) لسان العرب (شرق) وقد سبق شرح هذا المعنى.

(٢) هو الموضع العالي يُشْرف على ما حوله. المعجم الوسيط (شرف).

قال يحيى: سمعت بعضهم يقول: طائر جؤجؤه[١] من ذهب، وجناحاه ديباجٌ، ورأسه ياقوته حمراء فأعجبه - وكان له بني يحبه - فلما أعجبه حُسْنه وقع في نفسه أن يأخذه ويعطيه ابنه. قال الحسن: فلما انصرف إليه (ل٢٩٣)، فجعل يطيرُ من شُرْفةٍ إلى شُرْفةٍ ولا يؤيسه؛ حتى ظهر فوق المحراب، وخلف المحراب حائط تغتسل فيه النساء الحُيّض إذا طهُرن لا يشرف على ذلك الحائض أحدٌ إلا من صعد فوق المحراب. لا يصْعَدُه أحدٌ من الناس قال: فصعد داودُ خلف ذلك الطائر ففاجأته امرأة جاره لم يعرفها تغتسل، فرآها فجأة ثم غضّ بصره عنها وأعجبته؛ فأتى بابها، فسأل عنها وعن زوجها قالوا: زوجها في أجناد داود فلم يلبث إلا يسيرًا حتى بعثه عامله بريدًا إلى داود فأتى داود بكتبه ثم انطلق إلى أهله فأخبر أنّ نبي اللّه داود أتى بابه فسأل عنه وعن أهله، فلم يصل الرجل إلى أهله حتى رجع إلى داود مخافة أن يكون حدث من اللّه في أهله أمرٌ فأتى داود وقد فرغ من كتبه، وكتب إلى عامل ذلك الجند أن يجعله على مقدمة القوم؛ فأراد أن يقتل الرجل شهيدًا ويتزوج امرأته حلالًا، إلا أن النيّة كانت مدْخولة، فجعله على مقدّمة القوم فقتل ذلك الرجل قال: فبينما داود في محرابه والحرس حوله إذ تسوّر عليه المحرابُ ملكان في صورة آدميين، ففزع منهما فقالا : ﴿لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعضٍ فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أي: لا تَجُرْ ﴿واهْدنا﴾ أرشدنا ﴿إلى سواء الصراط﴾ أيْ: إلى قصْد الطريق؛ فقال: قُصّا قصّتكما، فقال أحدهما: ﴿إن هذا أخي﴾ يعني: صاحبي ﴿له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة فقال أكْفلْنيها﴾ أي: ضمها إليّ ﴿وعزّني﴾ قهرني ﴿في الخطاب﴾ في الخصومة

---

(١) هو مجتمع رءوس عظام الصدر، والجمع: جآجئ. ينظر المعجم الوسيط (جأجأ).

﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾[١].

قال محمدٌ: المعنى: مضمومة إلى نعاجه؛ فاختصر مضمومة[٢] وإنما سُمِّيت: نعجة؛ لأنَّها رخوةٌ، النعجُ في اللغة اللين، والنعجُ أيضًا الفتونُ في العَيْن[٣].

﴿وظن داود﴾ أي: علم.

قال محمد: معنى ﴿ظن﴾ أيقن، إلا أنه ليس بيقين عيان؛ فأما العيان فلا يقال فيه إلا: علم[٤].

﴿أنما فتناه﴾ ابتليناه ﴿فاستغفر ربه وخرّ راكعًا﴾ أي: ساجدًا أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا لصلاةٍ مكتوبة يقيمها أو لحاجة لابُدّ له منها أو لطعام يتبلَّغ به،

---

(١) هذه القصص من الإسرائيليات المنكرة، قال القاضي عياض في «الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى»: لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله المفسرون، ولم ينص اللَّه - تعالى - على شيء من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص عليه في قصة داود ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت. اهـ.
وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١٢): وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصًا وأخبارًا أكثرها إسرائيليات، ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصدًا؛ اكتفاءً واقتصارًا على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم، واللَّه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. اهـ.
وقال نحوه في تفسيره (٤/ ٣١) وزاد: ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه. اهـ
وقال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان (٧/ ٢٤): واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة مما لا يليق بمنصب داود - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - كله راجع إلى الإسرائيليات؛ فلا ثقة به ولا معول عليه، وما جاء منه مرفوعًا إلى النبي ﷺ لا يصح منه شيء. اهـ.
(٢) ينظر: البحر (٧/ ٣٩٣)، مجمع البيان (٤/ ٤٧٠)، الدر المصون (٥/ ٥٣١ - ٥٣٢).
(٣) لسان العرب (نعج).
(٤) لسان العرب (ظن، علم).

فأتاه ملكٌ من عند اللَّه فقال: يا داود، ارفع رأسك؛ فقد غفر اللَّه لك. فعلم أنّ اللَّه قد غفر له، ثم أراد أن يعلم كيف يغفر له؛ فقال: أيْ رب، كيف تغفر لي وقد قتلته - يعني: بالنيّة؟! فقال: أستوهبه نفسَهُ فيهبها لي فأغفرها لك. فقال: أي رب، قد علمت أنك قد غفرت لي. قال اللَّه: ﴿فغفرنا له ذلك وإنّ له عندنا لزلفى﴾ يعني: لقربةً في المنزلة ﴿وحسن مآب﴾ مرجع ﴿يا داود إنا جعلناك خليفةً في الأرض. . . ﴾ إلى قوله: ﴿فيضلك عن سبيل اللَّه﴾ يعني: فيستزلّك الهوى عن طاعة اللَّه في الحكم، وذلك من غير كُفْرٍ ﴿إن الذين يضلون عن سبيل اللَّه لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب﴾ أي: تركوه ولم يؤمنوا به .

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلًا﴾ أي: ما خلقناهما إلا للبعث والحساب، والجنة والنار، وكان المشركون يقولون: إن اللَّه خلق هذه الأشياء لغير بعثٍ. قال: ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ أنهم لا يبعثون وأنّ اللَّه خالق هذه الأشياء باطلًا ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ كالمشركين في الآخرة أي: لا نفعل.

﴿كتابٌ﴾ أي: هذا كتابٌ، يعني: القرآن ﴿أنزلناه إليك﴾ .

﴿أولو الألباب﴾ أي: ذوو العقول وهم المؤمنون .

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ

فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾

﴿الصافنات الجياد﴾ يعني: الخيل السراع الواحد منها: جواد[١]، والصافن في تفسير مجاهد: الفرس إذا رفع إحْدَى رجليه؛ حتى تكون على طرف الحافر[٢]. عُرِضتْ على سليمان فجعلتْ تجري بين يديه فلا يستبين منها قليلًا ولا كثيرًا من سرعتها وجعل يقول: ردُّوها عليّ؛ ليستبين منها شيئًا ﴿حتى توارت﴾ غابت؛ يعني: الشمس ﴿بالحجاب﴾ ففاتته صلاة العصر قال الحسن: فقال سليمان في آخر ذلك (ل٢٩٤) ﴿ردوها عليّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق﴾ فضرب أعناقها وعراقيبها أنها شغلته عن اللَّه.

قال محمدٌ: معنى (فطفق) أي: أقبل[٣]، والسوق جمع ساق[٤]، والصافنُ من الخيل: القائم الذي لا يثني إحدى يديه أو إحدى رجليه حين يقف بها على سُنْبُكِه[٥] وهُوَ طرف الحافر.

﴿إني أحببت حبّ الخير﴾ يعني: الخيل، وكذلك في قراءة ابن مسعود: (إني أحببت حبّ الخيل)[٦].

قال محمدٌ: معنى أحببت: آثرت.

---

(١) لسان العرب (جود) ويجمع جواد أيضًا على أَجْوَاد وأَجَاوِيد.
(٢) لسان العرب (صفن).
(٣) وجعل. لسان العرب (طفق).
(٤) ويجمع الساق أيضًا على: سِيقان، وأَسْوُق. لسان العرب (سوق).
(٥) هو طرف الحافر، ويجمع على: سنابك. لسان العرب (سنبك).
(٦) لم أجد هذه القراءة. وكل ما وجدته أن معنى (الخير) في الآية: الخيل عند الأكثرين. ينظر: مجمع البيان (٤/ ٤٧٥)، البحر (٧/ ٣٩٦)، مجاز القرآن (٢/ ١٨٢)، القرطبي (١٥/ ١٩٤)، كشف المشكلات (٢/ ١١٤٦).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي: ابتلينا ﴿وألقينا على كرسيه جسدًا﴾ يعني: الشيطان الذي خلفه في ملكه؛ تلك الأربعين ليلة، قال بعضهم: كان اسْمُه صخرًا. قال سليمان عليه السلام - قال للشيطان الذي خلفه -: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه شده في البحر، فساح سليمان. قال الكلبي: كانت له امرأة من أكرم نسائه عليه وأحبهنّ إليه، فقالت: إن بين أبي وبين رجلٍ خصومة فزيّنت حُجّة أبيها فلما جاءا يختصمان إليه جعل يحب أن تكون الحجّة لختنه، فابتلاه اللَّه بما كان من أمر الشيطان الذي خلفه وأذهب ملك سليمان، وذلك [أنه][1] كان إذا أراد أن يدخل الخلاء دفع الخاتم إلى امرأةٍ من نسائه كان يثق بها فدفعه إليها يومًا ثم دخل الخلاء، فجاءها ذلك الشيطان في صورته فأخذ الخاتم منها، فلما خرج سليمان طلب الخاتم منها فقالت: قد أعطيتكه، وذهب الخبيث وجلس على كرسي سليمان وأُلقي عليه شَبَهُ سليمان وبهجته وهيئته، فخرج سليمان فإذا هو بالشيطان على كرسيه، فذهب في الأرض وذهب ملكه.

قال يحيى: في تفسير الحسن: إن الشيطان قعد على كرسي سليمان - وهو سرير ملكه - لا يأكل ولا يشرب ولا يأمر ولا ينهى وأذهب اللَّه ذلك من

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

أذهان الناس؛ فلا يرون إلا أن سليمان في مكانه يصلي بهم ويقضي بينهم.

قال يحيى: وفي تفسير مجاهد: أن الشيطان مُنِعَ نساء سليمان أن يقربهن.

قال الكلبي: فلما انقضت أيام الشيطان ونزلت الرحمة من الله لسليمان عمد الشيطان إلى الخاتم؛ فألقاه في البحر فأخذه حوتٌ، وكان سليمان يؤاجر نفسه من أصحاب السفن ينقل السمك من السفن إلى البر على سمكتيْن كل يوم، فأخذ في أجْره يومًا سمكتيْن فباع إحداهما برغيفين، وأمّا الأخرى فشقّ بطنَها وجعل يغسلها؛ فإذا هو بالخاتم فأخذه فعرفه الناس، واستبشروا به وأخبرهم أنه إنما فعله به الشيطان، فاستغفر سليمان ربه ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكًا . . .﴾ الآية، ﴿فسخرنا له الريح﴾.

﴿والشياطين﴾ وسُخر لهُ الشيطان الذي فعل به الفعْل، فأخذه سليمان فجعله في نحْتٍ من رخام ثم أطبق عليه وشدّ عليه بالنحاس ثم ألقاه في عُرض البحر، فمكث سليمان في ملكه راضيًا مطمئنًا؛ حتى قبضه الله إليه[1].

---

(١) هذا من الإسرائيليات المنكرة جدًا؛ قال القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ٨٣٦): ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه؛ لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا، وقد عُصم الأنبياء من مثله. اهـ.

وقال القرطبي في تفسيره (١٥/ ٢٠١): وقد ضعف هذا القول من حيث إن الشيطان لا يتصور بصورة الأنبياء، ثم من المحال أن يلتبس على أهل مملكة سليمان الشيطان بسليمان حتى يظنوا أنهم مع نبيهم في حق، وهم مع الشيطان في باطل. اهـ

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٤): ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثارًا كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها - أو كلها - متلقاة من الإسرائيليات، وفي كثير منها نكارة شديدة قد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير، واقتصرنا ههنا على مجرد التلاوة . اهـ.

وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦).

وقال الشيخ الشنقيطي (٧/ ٣٤ - ٣٥): قد قدمنا الكلام على هذه الآية وعلى ما يذكره المفسرون فيها من الروايات التي لا يخفى سقوطها، وأنها لا تليق بمنصب النبوة، في سورة=

قوله: ﴿تجري بأمره رخاءً﴾ قال الحسن: ليست بالعاصف التي تؤذيه، ولا بالبطيئة التي تقصرُ به دون حاجته.

قال محمدٌ: معنى رخاءً في اللغة: لينة، ويقال: ريحٌ رِخوةٌ، بكسر الراء وفتحها، والكسْر أفْصَح(١).

= الكهف في الكلام على قوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يشاء الله﴾ وما رُوي عن السلف من جملة تلك الروايات أن الشيطان أخذ خاتم سليمان وجلس على كرسيه وطرد سليمان إلى آخره يوضح بطلانه قوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ واعتراف الشيطان بذلك في قوله: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾. اهـ.

وانظر أضواء البيان (٤/ ٨٤ - ٨٥) وفيه بعد أن ذكر حديث الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «قال سليمان بن داود - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام -: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية: تسعين امرأة، وفي رواية: مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلامًا يقاتل في سبيل الله. فقيل له - وفي رواية قال له الملك -: قل: إن شاء الله! فلم يقل، فطاف عليهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة: نصف إنسان، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لو قال إن شاء الله لم يحنث، وكان دركًا لحاجته - وفي رواية: ولقاتلوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون».

قال الشنقيطي: فإذا علمت هذا فاعلم أن هذا الحديث الصحيح بين معنى قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدًا . . .﴾ الآية وأن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله «إن شاء الله» وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقي على كرسيه بعد موته في قوله تعالى ﴿وألقينا على كرسيه جسدًا. . .﴾ الآية، فما يذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان . . .﴾ الآية؛ من قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسي سليمان وطرد سليمان عن ملكه، حتى وجد الخاتم في بطن السمكة التي أعطاها من كان يعمل عنده بأجر مطرود عن ملكه. . . إلى آخر القصة، لا يخفى أنه باطل لا أصل له، وأنه لا يليق بمقام النبوة؛ فهو من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة.

والظاهر في معنى الآية هو ما ذكرنا، وقد دلت السنة الصحيحة عليه في الجملة، واختاره بعض المحققين، والعلم عند الله - تعالى.

(١) ويقال أيضًا: رُخوة - بضم الراء - لغة ثالثة فيه. ينظر: لسان العرب (رخو).

﴿حيث أصاب﴾ قال قتادة: يعني: حيث أراد، وهي بلسان هَجر[1] ﴿والشياطين كل بناءٍ وغواص﴾ يغوصون في البحر يستخرجون له اللؤلؤ ﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ في السلاسل، ولم يكن يُسَخِّر منهم ويستعمل في هذه الأشياء ولا يصفِّد إلا الكفار؛ فإذا آمنوا حلَّهم من تلك الأصفاد ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ تفسير بعضهم: فامْنُنْ فأعط من شئت أو أمسك عمَّن شئت بغير حساب (ل٢٩٥) أي: فلا حساب عليك في ذلك ولا حرج ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ يعني: القربة في المنزلة ﴿وحسن مآب﴾ أي: وحسن مرجع؛ يعني: الجنة .

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه ...﴾ الآية، قال الحسن: إن إبليس قال: يا رب هل من عبيدك عبدٌ إن سلَّطتني عليه امتنع مني؟ قال: نعم؛ عبدي أيوب. فسلطه اللَّه عليه؛ ليجهد جهده ويضِله، فجعل يأتيه بوساوسه وحبائله وهو يراه عيانًا؛ فلا يقدر منه على شيءٍ، فلما امتنع منه قال الشيطان: أي رب، إنه قد امتنع مني؛ فسلطني على ماله! فسلطه اللَّه على ماله فجعل يهلك ماله صنفًا صنفًا، فجعل يأتيه وهو يراه عيانًا فيقول: يا أيوب، هلك مالك في كذا وكذا! فيقول: الحمد للَّه اللَّهم أنت أعطيْتنيه وأنت أخذتهُ مني، إن تبق لي نفسي أحمدك على بلائك. ففعل ذلك حتى أهلك ما له كله، فقال إبليس: يا رب، إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على جسده! فسلطه اللَّه عليه، فمكث سبع سنين وأشهرًا حتى وقعت الأكلة في جسده.

---

(١) وقيل: بلسان حمير. ينظر: الدر المصون (٥/ ٥٣٦)، لسان العرب (صوب).

قال يحيى: وبلغني أنِ الدودة كانت تقع من جسده فيردّها مكانها، ويقول: كلي مما رزقك اللّه.

قال الحسن: فدعا ربّه ﴿أني مسني الشيطان بنصبٍ وعذاب﴾ يعني: في جسده، وقال في الآية الأخرى: ﴿أني مسّني الضرّ وأنت أرحم الراحمين﴾[(١)].

قال محمدٌ: النُّصْبُ والنَّصَبُ واحدٌ مثل حُزْن وحَزَن، وهو العياء والتَّعَب[(٢)].

قال الحسن: فأوحى اللّه إليه أن اركض برجلك، فركض برجْله ركضة وهو لا يستطيع القيام؛ فإذا عينٌ فاغتسل منها، فأذهب اللّه ظاهر دائه ثم مشى على رجليْه أربعين ذراعًا، ثم قيل له: اركض برجلك أيضًا، فركض ركضةً أخرى، فإذا عينٌ فشرب منها، فأذهب اللّه باطن دائه وردّ عليه أهله وولده وأمواله من البقر والغنم والحيوان وكل شيءٍ هلك بعينه، ثم أبقاه اللّه فيها حتى وهب له من نسولها أمثالها، فهو قوله: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منا﴾ وكانوا ماتوا غير الموت الذي أتى على آجالهم تسليطًا من اللّه للشيطان؛ فأحياهم اللّه فوفَّاهم آجالهم.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾

---

(١) الأنبياء: ٨٣.
(٢) لسان العرب (نصب).

﴿وخذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنث﴾ قال الحسن: إن امرأة أيوب [كانت][1] قاربت الشيطان في بعض الأمر، ودعت أيوب إلى مُقَاربته؛ فحلف باللَّه لئن اللَّه عافاه أن يجلدها مائة جلدةً، ولمْ تكن له نية بأي شيءٍ يجلدُها، فمكث في ذلك البلاء حتى أذن اللَّه له في الدعاء، وتمَّتْ له النعْمة من اللَّه والأجْر، فأتاه الوحي من اللَّه، وكانت امرأتُه مسلمة قد أحسنت القيامَ عليه، وكانت لها عند اللَّه منزلة، فأوحى اللَّه إليه أن يأخذ بيده ضغثًا - والضِّغْثُ: أن يأخذ قبضةً، قال بعضهم: من (السُّنْبل وكانت مائة سُنبلة)[2] وقال بعضهم: من الأَسَل، والأسل: السَّمَارُ[3] - فيضربها به ضربة واحدة ففعل.

قال محمدٌ: روي أن امرأة أيوب قالت له: لو تقرَّبْتَ إلى الشيطان فذبحت له عناقًا[4]. فقال: ولا كفًّا من تراب، فلهذا حلف أن يجلدها إن عُوفي.

﴿واذكر عبادنا﴾ يقوله للنبي عليه السلام ﴿أولي الأيدي﴾ يعني: القوة في أمر اللَّه ﴿والأبصار﴾ في كتاب اللَّه.

قال محمدٌ: (الأيدي) بالياء وهو الاختيار في القراءة[5].

﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ يعني: الدار الآخرة، والذكرى: الجنة.

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

(٣) وهو نبات من الفصيلة الأسَلية، ينبت في المناقع والأراضي الرطبة، ويستعمل في صناعة الحصر والسِّلَال. المعجم الوسيط (أسل، سمر).

(٤) الأنثى من أولاد المعز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول. والجمع: أعْنُق، وعُنُق، وعُنُوق. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (عنق).
قلت: وهذه الحكاية من الإسرائيليات المنكرة، واللَّه أعلم.

(٥) وهي قراءة العامَّة. وقرأ الحسن وعبد اللَّه بن مسعود، والأعمش وغيرهم (الأيد) بدون الياء. ينظر: البحر (٧/ ٤٠٢)، جامع القرطبي (١٥/ ٢١٧ - ٢١٨)، المحتسب (٢/ ٢٣٣).

قال محمدٌ: الاختيار في القراءة (بخالصة) غير منونة[١] وعلى هذه القراءة فسَّر يحيى الآية.

﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ يعني: المختارين، اختارهم اللَّه للنبوة.

﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ قال مجاهد: إن ذا الكفل كان رجلًا صالحًا وليس بنبي تكفّل لنبي بأن يكفل له أمر قومه، ويقضي بينهم بالعدل.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

(ل٢٩٦) ﴿هذا ذكرٌ﴾ يعني: القرآن ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ مرجع ﴿جناتُ عدن مفتحة لهم الأبواب﴾.

قال محمدٌ: (جنات عدن) بدل من (حسن مآب)[٢] ومعنى (مفتحة لهم الأبواب): أي منها[٣].

﴿متكئين فيها﴾ أي: على السرر فيها إضمار[٤] ﴿وعندهم قاصراتُ الطرف﴾ يقصرن طرفَهُن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ﴿أتراب﴾ على سنٍّ واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿هذا ما توعدون﴾ يعني: ما وُصِفَ في الجنة ﴿ما له من نفاد﴾ انقطاعٌ .

---

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ باقي السبعة بالجر والتنوين. ينظر: السبعة (٥٥٤) البحر (٧/ ٤٠٢) النشر (٢/ ٣٦١).

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٧٨٠)، البحر (٧/ ٤٠٥) معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٠٨)، مجمع البيان (٤/ ٤٨٠).

(٣) أي: من الجنة.

(٤) أي: حذف ذكر السرر للعلم به، واللَّه أعلم.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾﴾

﴿هذا وإن للطاغين﴾ (للمشركين)[1] ﴿لشر مآب﴾ أي: مرجع ﴿هذا فليذوقوه حميمٌ وغساق﴾ فيها تقديمٌ: هذا حميمٌ وغساقٌ فليذوقوه «الحميم: الحارُ الذي لا يُسْتَطاع من حرِّه، قال عبدُ اللَّه بن عمرو: والغَسَّاق: القيْح الغليظ لو أن جَرَّة[2] منه تُهراق[3] في المغرب لأنتنت أهْلَ المشرق، ولو أن تهراق في المشرق لأنتنت أهل المغرب ﴿وآخر﴾ يعني: الزمهرير[4] ﴿من شكله﴾ من نحوه؛ أي: من نَحْو الحميم ﴿أزواجٌ﴾ ألوان.

﴿هذا فوجٌ مقتحمٌ معكم . . .﴾ إلى قوله: ﴿فبئس القرار﴾ تفسير بعضهم يقول: جاءت الملائكة بفوج إلى النار فقالت للفوج الأول الذين دخلوا قبلهم: هذا فوجٌ مقتحم معكم! قال الفوج الأول: ﴿لا مرحبًا بهم إنهم صالوا النار﴾ قال الفوج الآخر: ﴿بل أنتم لا مرحبًا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار﴾ قال اللَّه: ﴿قالوا ربنا من قدّمَ لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا في النار﴾.

قال محمدٌ: قوله: ﴿من قدّم لنا هذا﴾ أي: من سَنَّهُ وشرعه.

---

(١) سقط من «ر».

(٢) هو الإناء من الخزف. والجمع: جَرٌّ، وجِرَار. لسان العرب، المعجم الوسيط (جرر). وَفي «ر»: جرعة.

(٣) أي: تراق. ويقال: أراق، وهَرَق، وأهْرَق وهَرَاق وأهراق. لغات فيه. لسان العرب (ريق، هرق).

(٤) هو شدة البرد. لسان العرب (زمهر).

وقوله: ﴿فزده عذابًا ضعفًا﴾ أي: زده على عذابه عذابًا آخر.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالًا﴾ لما دخلوا النار لمْ يَرَوهم معهم فيها فقالوا: ﴿ما لنا لا نرى رجالًا كنا نعدهم من الأشرار﴾ في الدنيا ﴿اتخذناهم سخريًا﴾ فأخطأنا ﴿أمْ زاغتْ عنهم الأبصار﴾ أي: أم هم فيها ولا نراهُم؟ هذا تفسير مجاهد. قال: علموا بعد أنهم ليسوا معهم فيها.

قال محمدٌ: تقرأ (سخريًا) بضم السين وكسرها بمعنى واحدٍ من الهُزْء[1]. وقد قيل: من ضمَّ أوله جعله من السُّخرة، ومن كسر جعله من الهُزْءِ[2]. وقرأ نافع ﴿أتخذناهم﴾ بألف الاستفهام[3] قال اللَّه: ﴿إنّ ذلك لحقّ تخاصُمُ أهل النار﴾ يعني: قول بعضهم لبعضٍ في الآية الأولى ﴿قل إنما أنا منذرٌ﴾ من النار ﴿وما من إله إلا اللَّه الواحد القهارُ﴾ قهر العباد بالموت، وبما شاء من أمره

---

(١) قرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: السبعة (٥٥٦)، البحر (٧/ ٤٧)، جامع القرطبي (١٥/ ٢٢٥) النشر (٢/ ٣٢٩).

(٢) ينظر: الألوسي (٢٣/ ٢١٨). وقد تقدم التعليق على مثل ذلك عند قوله تعالى: ﴿فاتخذتموهم سخريًا﴾ [المؤمنون: ١١٠].

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن عامر وعاصم. وقرأ باقي السبعة (اتخذناهم) موصولة الألف. ينظر: البحر (٧/ ٤٠٧)، التيسير (١٨٨)، النشر (٢/ ٣٦١ - ٣٦٢).

﴿رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ لمن آمن(١).

﴿قل هو نبأ عظيم﴾ يعني: القرآن ﴿أنتم عنه معرضون﴾ يعني: المشركين ﴿ما كان لي من علم بالملإ الأعلى﴾ يعني: الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ تفسير الحسن: اختصموا في خلق آدم؛ قالوا فيما بينهم: ما اللّه خالقٌ خلقًا هو أكرم عليه منا.

قوله: ﴿إن يوحى إليّ إلا أنما أنا نذيرٌ مبينٌ﴾ كقوله: ﴿إنما أنت منذرٌ ولكل قومٍ هاد﴾(٢) النبي المنذر، واللّه الهادي.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشرًا من طين...﴾ إلى قوله: ﴿وكان من الكافرين﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة(٣) ﴿قال يا إبليس ما منعك أن

---

(١) في «ر»: لمن تاب.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) البقرة: ٣٠ - ٣٨.

تسجد لما خلقتُ بيديّ﴾ قال قتادة: إن كعبًا قال: إن اللَّه لم يخلق بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده ﴿أستكبرت﴾ يعني: تكبّرت.

قال محمدٌ: الاختيار في القراءة (أستكبرت) بفتح الألف على الاستفهام(١).

﴿فاخرج منها﴾ من السماء ﴿فإنك رجيم﴾ أي: ملعونٌ (رُجم باللعنة)(٢) ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ وأبدًا في ملعونٌ ﴿قال رب فأنظرني﴾ أي: أخرني ﴿إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين﴾.

قال محمدٌ: ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ يعني: النفخة الأولى، وأراد عدو اللَّه أن يؤخر إلى النفخة الآخرة.

﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾.

قال محمدٌ: من قرأ (المخلصين﴾ بكسر اللام أراد: الذين أخلصوا دينهم للَّه، ومن قرأ بالفتح؛ فالمعنى: الذين أخلصهم اللَّه لعبادته(٣).

﴿قال فالحقّ والحقَّ أقولُ﴾ تفسير الحسن هذا قسمٌ؛ يقول: (ل٢٩٧) حقًّا حقًّا لأملأن جهنّم.

وقرأ الحكم بن عتيبة(٤): ﴿قال فالحقُّ والحقّ أقول﴾ بمعنى: اللَّه الحقّ،

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير؛ فقد قرأ ﴿استكبرت﴾ بألف الوصل. ينظر: السبعة (٥٥٦)، البحر (٧/ ٤١٠)، جامع القرطبي (١٥/ ٢٢٨).

(٢) سقط من «ر».

(٣) وقد تقدم التعليق على هذه القراءة، وبيان وجوهها. ينظر (يوسف: ٢٤)، و(الصافات: ٤٠).

(٤) هو أبو محمد الكندي الكوفي. ثقة ثبت فقيه من الخامسة. مات سنة (٢٣ هـ) أو ما بعدها، وله نيف وستون. ينظر: تقريب التهذيب (ص١٧٥). وفي «ر»: عتيبة.

ويقول الحقَّ وهو قسمٌ أيضًا[١].

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾

﴿قل ما أسألكم عليه﴾ على القرآن ﴿من أجر وما أنا من المتكلفين إن هو﴾ أي: القرآن ﴿إلا ذكرٌ﴾ أي: تفكُّر ﴿للعالمين﴾ يعني الغافلين ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (أي ذلك يوم القيامة)[٢].

* * *

(١) ينظر: البحر (٧/ ٤١١)، جامع القرطبي (١٥/ ٢٢٩)، إتحاف الفضلاء (٢/ ٨٠٦)، الكشاف (٣/ ٣٨٤).

(٢) في «ر»: بعد الموت.

سورة الزمر وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾

قوله: ﴿تنزيل الكتاب من اللَّه العزيز الحكيم﴾ يعني: القرآن أنزله مع جبريل على محمدٍ عليه السلام.

قال محمدٌ: يجوزُ الرفع في ﴿تنزيل﴾ على معنى: هذا تنزيل[1].

﴿فاعبد اللَّه مخلصًا له الدين﴾ أي: لا تشرك به شيئًا ﴿ألا للَّه الدين الخالص﴾ يعني: الإسلام ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي: يتخذونهم آلهة يعبدونهم من دون اللَّه ﴿ما نعبدهم﴾ أي: قالوا ما نعبدهم، فيها إضمار ﴿إلا ليقربونا إلى اللَّه زلفى﴾ قربى؛ زعموا أنهم يتقربون إلى اللَّه بعبادة الأوثان لكي يصلح لهم معايشهم في الدنيا، وليس يقرون بالآخرة.

قال مجاهد: قريش يقولونه للأوثان، ومن قبلهم يقولونه للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعُزَير.

﴿إن اللَّه يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾ يحكم بين المؤمنين

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر: البحر (٧/ ٤١٤)، الدر المصون (٦/ ٣).

والمشركين يوم القيامة، فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفارٌ﴾ يعني: من يموت على كفره .

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾

﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى﴾ لاختار ﴿مما يخلق ما يشاء سبحانه﴾ ينزّه نفسه أن يكون له ولد ﴿الواحد القهار﴾ قهر العباد بالموت وبما شاء من أمره.

﴿خلق السمٰوات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ يعني: أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿وسخر الشمس والقمر كلٌ يجري لأجل مسمى﴾ يعني: إلى يوم القيامة ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾ لمن آمن .

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿خلقكم من نفسٍ واحدةٍ﴾ آدم ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ حوّاء؛ من ضلعٍ

من أضلاعه القُصيري من جنبه الأيسر ﴿وأنزل لكم﴾ أي: وخلق لكم ﴿من الأنعام ثمانية أزواج﴾ أصناف الواحد منها زوجٌ، هي الأزواج الثمانية التي ذكر في سورة الأنعام[1] ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق﴾ يعني: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم يُكسي العظام اللحم ثم الشعر ثم ينفخ فيه الروح ﴿في ظلمات ثلاث﴾ يعني: البطن والمشيمة والرحم ﴿فأنى تصرفون﴾ أيْ: أين يُذْهَبُ بكُمْ فتعبدون غيره وأنتم تعلمون أنه خلقكم وخلق هذه الأشياء؟! ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم﴾ أي: عن عبادتكم ﴿ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا﴾ تؤمنوا ﴿يرضَهُ لكم﴾.

﴿ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى﴾ يعني: لا يحمل أحدٌ ذَنْبَ أحدٍ ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ يعني: بما في الصدور.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿وإذا مسّ الإنسان ضرٌّ﴾ يعني: مرضًا ﴿دعا ربه منيبًا إليه﴾ أي: دعاه بالإخلاص أن يكشف عنه ﴿ثم إذا خوله نعمة منه﴾ أي: عافاه من ذلك المرض ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ هو كقوله: ﴿مرّ كأن لم يدعنا إلى

---

(١) الأنعام: ١٤٣ .

ضر مسّه﴾[1].

قال محمدٌ: كل شيءٍ أُعطيته فقد خُوِّلْتَه[2] ومن هذا قول زهير:

هنالك إن يستخولوا المال يُخولوا وإن يسألوا يعطوا وإن يَيْسِرُوا يُغْلوا[3]

ويقال: فلان يخول أهله إذا رعى غنمهم، أوما أشبه ذلك.

﴿وجعل للَّه أندادًا﴾ يعني: الأوثان؛ النِّدُّ في اللغة: العِدْلُ[4] ﴿ليُضل عن سبيله﴾ أي: يتبعه على ذلك غيره ﴿قل﴾ يا محمدُ للمشرك: ﴿تمتع﴾ في الدنيا ﴿بكفرك قليلًا﴾ أي أن بقاءك في الدنيا قليل ﴿إنك من أصحاب النار﴾.

﴿أمَّن هو قانت﴾ يعني (مُصَلٍّ)[5] ﴿آناء الليل﴾ يعني: ساعات الليل ﴿ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة﴾ أي: يخاف عذابها ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ يعني: الجنة يقول: ﴿أمَّن هو قانت . . .﴾ إلى آخر الآية، كالذي جعل للَّه أندادًا فعبد الأوثان دوني، ليس مثله.

قال محمدٌ: أصل القنوت الطاعة، وقرأ نافع (أمن) بالتخفيف[6].

(ل٢٩٨) ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ أي: هل يستوي هذا المؤمن الذي يعلم أنه ملاقٍ ربه، وهذا المشرك الذي جعل للَّه

---

(١) يونس: ١٢.

(٢) أي كل شيء أُعطيته من غير مقتضٍ، ولا يستعمل في الجزاء، بل في ابتداء العطية. لسان العرب (خول).

(٣) ينظر ديوانه (١١٢)، مجاز القرآن (٢/ ١٨٨)، القرطبي (١٥/ ٢٣٧) اللسان (خول).

(٤) العِدْل بكسر العين: المثل والنظير، وهو أيضًا النَّدِيد. لسان العرب (عدل، ندد).

(٥) سقط من «ر».

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وحمزة. ينظر: السبعة (٥٦١)، البحر (٧/ ٤١٨)، التيسير (١٨٩)، النشر (٢/ ٣٦٢).

الأنداد؛ أي: أنهما لا يستويان ﴿إنما يتذكر﴾ إنما (يقبل)[1] التذكرة ﴿أولو الألباب﴾ أصحاب العقول؛ وهم المؤمنون .

﴿للذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ أي: في الآخرة؛ وهي الجنة ﴿وأرض الله واسعة﴾ هو كقوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾[2] في الأرض التي أمركم أن تهاجروا إليها؛ يعني: المدينة ﴿إنما يُوفى الصابرون﴾ يعني: الذين صبروا على طاعة الله ﴿أجرهم﴾ الجنة ﴿بغير حساب﴾ يقول: لا حساب عليهم في الجنة، كقوله: ﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾[3] .

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾

﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ من هذه الأمّة.

﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بمتابعتكم على ما تدعونني إليه من عبادة الأوثان ﴿عذاب يوم عظيم﴾ يعني: جهنم ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ وهذا وعيد؛ أي: أنكم إن عبدتم من دونه عذّبكم ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم...﴾ الآية، جعل الله لكل أحدٍ منزلًا في الجنة وأهلًا؛ فمن عمل

---

(١) في «ر»: يتقبل.
(٢) العنكبوت: ٥٦ .
(٣) غافر: ٤٠ .

بطاعة اللَّه كان له ذلك المنزل والأهل، ومن عمل بمعصية اللَّه صيَّره اللَّه إلى النار، وكان ذلك المنزل والأهل ميراثًا لمن عمل بطاعة اللَّه إلى منازلهم وأهليهم التي جعل اللَّه لهم، فصار جميع ذلك لهم.

﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظللٌ﴾ كقوله: ﴿لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ﴾[1].

﴿ذلك﴾ الذي ﴿يخوف اللَّه به عباده يا عباد فاتقون﴾.

قال محمدٌ: قوله: ﴿ذلك يخوف اللَّه به عباده﴾ موضع (ذلك) رفعٌ بالابتداء المعنى ذلك الذي ذكرنا من العذاب يخوف اللَّه به عباده، وقوله (يا عبادِ) قراءة نافع بحذف الياء؛ وهو الاختيار عند أهل العربية[2].

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ (يعني: الشياطين)[3] ﴿أن يعبدوها﴾ وذلك أن الذين يعبدون الأوثان إنما يعبدون الشياطين؛ لأنهم هم دعوهم إلى عبادتها

---

(١) الأعراف: ٤١.

(٢) وهي أيضًا قراءة: حمزة وعاصم والكسائي وابن عامر. ينظر: السبعة (٥٦١)، النشر (٢/ ٣٦٤)، التيسير (٦٧، ١٨٩).

(٣) سقط من «ر».

﴿وأنابوا إلى اللَّه﴾ أقبلوا مخلصين إليه ﴿لهم البشرى﴾ يعني الجنة ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ أي: بشرهم بالجنة، والقول كتاب اللَّه، واتِّباعهم لأحسنه أن يعملوا بما أمرهم اللَّه به فيه، وينتهوا عما نهاهم اللَّه عنه فيه.

﴿أفمن حق عليه﴾ أي: سبقت عليه ﴿كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾ أي: تهدي من وجب عليه العذاب؛ أي: لا تهديه ﴿لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنية﴾.

قال محمدٌ: قيل المعنى: لهم؛ منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها ﴿وعد اللَّه﴾ الذي وعد المؤمنين، يعني الجنة.

قال محمدٌ: القراءة ﴿وعد اللَّه﴾ بالنصب بمعنى وعدهم اللَّه وعدًا[(١)].

﴿فسلكه ينابيع في الأرض﴾ والينابيع: العيون[(٢)] ﴿ثم يخرج به زرعًا مختلفًا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرًا ثم يجعله حطامًا﴾ كقوله: ﴿واضربْ لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح﴾[(٣)].

قال محمدٌ: قوله: ﴿ثم يهيج﴾ أي: يجفُّ، يقال للنبت إذا تم جفافه: قد هاج النبت يهيج، وهاجت الأرض إذا ذَوَى ما فيها من الخُضَر[(٤)] والحطام: ما تفتت وتكسَّر من النبت وغيره[(٥)].

---

(١) وهي قراءة العامة، وقد تقدم مثله مرارًا. وينظر الدر المصون (٦/ ١٢).
(٢) واحدها ينبوع. لسان العرب (نبع).
(٣) الكهف: ٤٥ . ووردت في الأصل و «ر»: إنما مثل الحياة الدنيا . . . إلخ.
(٤) لسان العرب (هيج).
(٥) لسان العرب (حطم).

﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب﴾ العقول؛ وهم المؤمنون يتذكرون فيعلمون أنّ ما في الدنيا ذاهبٌ .

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿أفمن شرح اللَّه صدره للإسلام﴾ أي: وسَّع ﴿فهو على نورٍ من ربه﴾ أي: ذلك النور في قلبه ﴿فويلٌ للقاسية قلوبهم..﴾ الآية؛ أي: أن الذي شرح اللَّه صدره للإسلام فهو على نور من ربه ليس كالقاسي قلبه الذي هو في ضلال مبين عن الهدى؛ يعني: المشرك وهذا على الاستفهام يقول: ﴿هل يستويان﴾ أي: أنهما لا يستويان .

﴿اللَّه نزل أحسن الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿كتابًا متشابهًا﴾ يعني: يشبه بعضه بعضًا في نوره وصدقه وعدله ﴿مثاني﴾ يعني: ثنى اللَّه فيه القصص عن الجنة في هذه السورة، وثنى ذكرها في سورة أخرى، وذكر النار في هذه (ل٢٩٩) السورة ثم ذكرها في غيرها من السور؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمدٌ: ﴿مثاني﴾ نعت قوله (كتابًا) ولم ينصرف؛ لأنه جمع ليس على

مثال الواحد[١].

﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ إذا ذكروا وعيد اللَّه [فيه][٢] ﴿ثم تلين جلودُهم وقلوبهم إلى ذكر اللَّه﴾ إذا ذكروا أعمالهم الصالحة، لانت قلوبهم وجلودهم إلى وعد اللَّه الذي وعدهم.

قال محمدٌ: وقيل: المعنى: إذا ذكرت آيات العذاب، اقشعرَّت جلود الخائفين للَّه، ثم تلين جلودُهم وقلوبهم إذا ذكرت آيات الرحمة.

﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾ أي: شدته أول ما تصيب منه النار إذا أُلقي فيها وجهه؛ لأنه يكبُّ على وجهه ﴿خيرٌ أمن يأتي آمنًا﴾ أي: أنهما لا يستويان ﴿وقيل للظالمين﴾ المشركين: ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ أي: جزاء ما كنتم تعملون ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ يعني: من قبل قومك يا محمدُ.

﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ جاءهم فجأة ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ من عذاب الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا .

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون﴾ لكي

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون (٦/ ١٣).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

يتذكروا؛ فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بالذين من قبلهم ﴿قرآنًا عربيًا غير ذي عوج﴾ أي: ليس [فيه عوج][1] ﴿لعلهم يتقون﴾ لكي يتقوا .

قال محمدٌ: (عربيًا) منصوبٌ على الحال، المعنى: ضربنا للناس في هذا القرآن في حال عربيته وبيانه، وذكر (قرآنًا) توكيدًا[2].

﴿ضرب اللَّه مثلًا رجلًا﴾ يعني: المشرك ﴿فيه شركاء متشاكسون﴾ يعني: أوثانًا؛ هم شتّى.

﴿ورجلًا سلمًا لرجل﴾ يعني: المؤمن يعبد اللَّه وحده ﴿هل يستويان مثلًا﴾ أي: أنهما لا يستويان.

قال محمدٌ: ﴿متشاكسون﴾ معناه: مختلفون لا يتفقون[3].

ويقال للعسير[4]: شَكِس الرجل شَكْسًا[5]، ومن قرأ (ورجلًا سلمًا) فالمعنى: ذا سلمٍ وهو مصدر وُصِفَ به، وأصلُ الكلمة من الاستسلام[6].

﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ تفسير الحسن: يخاصم النبيُ والمؤمنون المشركينَ .

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي ينظر: المصدر السابق.

(٣) وقيل: مختلفون عَسِرُو الأخلاق. والواحد: مُتَشاكس. لسان العرب (شكس).

(٤) العسير: هو سيء الخلق. لسان العرب (عسر). وفي «ر»: للعسر.

(٥) فهو شَكْس، وقوم شُكْس، وحكى الفراء: رجل شَكِس بكسر الكاف وهو القياس. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (شكس).

(٦) قرأ ابن عامر، ونافع، وحمزة والكسائي (سَلَمًا) بفتح السين واللام، وقرأ سعيد بن جبير وعكرمة (سِلْما) بكسر السين وإسكان اللام. وهاتان القراءتان يؤيدهما المعنى الذي ساقه المصنِّف بَعْدُ أما بقية السبعة فقد قرءوا (سالمًا).
ينظر: السبعة (٥٦٢)، التيسير (١٨٩)، البحر (٧/ ٤٢٤) وينظر التوجيه النحوي من البحر (٧/ ٤٢٤)، الدر المصون (٦/ ١٥).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿فمن أظلم ممّن كذب على اللّه﴾ فعبد الأوثان، وزعم أن عبادتها تقرب إلى اللّه ﴿وكذّب بالصدق إذ جاءه﴾ يعني: القرآن الذي جاء به محمد؛ أي: لا أحد أظلم منه ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي: منزلًا ﴿للكافرين﴾ أي: بلى فيها منزل للكافرين ﴿والذي جاء بالصدق﴾ محمدٌ جاء بالقرآن ﴿وصدق به﴾ يعني: المؤمنين؛ صدَّقوا بما جاء به محمد ﴿أولئك هم المتقون﴾.

﴿أليس اللّه بكافٍ عبده﴾ يعني: محمدًا؛ يكفيه المشركين حتى لا يصلُوا إليه ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ يعني: الأوثان.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون اللّه... ﴾ يعني: أوثانهم، الآية.

يقول: لا يقدرن أن يكشفن ضرًّا، ولا يمسكن رحمة ﴿ولئن سألتهم من خلق السمٰوات والأرض ليقولن اللَّه﴾ أي: فكيف تعبدون الأوثان من دونه، وأنتم تعلمون أنه هو الذي خلق السمٰوات والأرض ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على شرككم ﴿إني عامل﴾ على ما أنا عليه من الهدى ﴿فسوف تعلمون﴾ وهذا وعيدٌ ﴿من يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ يعني: النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة ﴿ويحل عليه عذاب مقيمٌ﴾ في الآخرة .

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي: بحفيظ لأعمالهم حتى تجازيهم بها، واللَّه هو الذي يجزيهم بها ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي: ويتوفى التي لمْ تمت؛ أي: يتوفاها في منامها ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ أي: فيميتها.

قال محمدٌ: (فيمسكُ) بالرفع هي قراءة نافع[1].

﴿ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ إلى الموت؛ وذلك أن الإنسان إذا نام خرجت النفس وتبقى الروح فيكون بينهما مثل شعاع الشمس، وبلغنا أن

---

(١) وهي قراءة العامة. ينظر: البحر (٧/ ٤٣١)، البيان (٢/ ٣٢٤).

الأحلام التي يرى النائم هي في تلك الحال؛ فإن كان ممن كتب اللَّه عليه الموت في منامه خرجت الروح إلى النفس، وإن كان ممن لم يحضر أجله رجعت النفس إلى الروح فاستيقظ.

﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ وهم المؤمنون ﴿أم اتخذوا من دون اللَّه شفعاء﴾ أي: قد اتخذوهم؛ ليشفعوا لهم (ل٣٠٠) زعموا ذلك لدنياهم ليصلحها لهم ولا يقرون بالآخرة ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿أو لو كانوا﴾ (يعني: أوثانهم)[1] ﴿لا يملكون شيئًا ولا يعقلون﴾ [أي: أنهم لا يملكون شيئًا ولا يعقلون)[1] ﴿قل للَّه الشفاعة جميعًا﴾ أي: لا يشفع أحدٌ يوم القيامة إلا بإذنه، يأذن لمن يشاء من الملائكة والأنبياء والمؤمنين أن يشفعوا للمؤمنين فيشفعهم فيهم.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وإذا ذُكِرَ اللَّه وحده اشمأزت﴾ انقبضت ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذُكِرَ الذين من دونه﴾ أي: الذين يعبدون من دونه؛ يعني: الأوثان ﴿إذا هم يستبشرون﴾.

---

(١) سقط من «ر».

قال محمدٌ: يقال لمن ذُعر من شيءٍ: اشمأزّ اشمئزازًا[١].

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: السر، والشهادة: العلانية ﴿أنت تحكم بين عبادك﴾ يعني: المؤمنين والمشركين؛ فيكون حكمه بينهم أن يدخل المؤمنين الجنة ويدخل المشركين النار .

﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ يعني: لم يكونوا يحتسبون أنهم مبعوثون ومعذَّبون.

﴿وحاق بهم﴾ وجب عليهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: جزاء ذلك الاستهزاء وهي جهنم بعد عذاب الدنيا .

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ثم إذا خوّلناه﴾ أعطيناه ﴿نعمة منا﴾ أي: عافية ﴿قال إنما أوتيته﴾ أعطيته ﴿على علمٍ﴾ تفسير مجاهد يقول: هذا [بعلمي][٢] (كقوله: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسّته ليقولن هذا لي﴾[٣] أي: أنا محقوقٌ بهذا)[٤].

---

(١) وشُمَأْزِيزة. لسان العرب (شمز).

(٢) في الأصل: بعملي.

(٣) فصلت: ٥٠.

(٤) سقط من «ر».

قال اللَّه: ﴿بل هي فتنةٌ﴾ يعني: بليّة ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعة المشركين.

قال محمد: قيل: المعنى: تلك العطيّة بلوى من اللَّه يبتلي بها العبد ليشكر أو يكفر.

﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ من المشركين؛ يعني: هذه الكلمة.

﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من أموالهم ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ ما عملوا من الشرك؛ يقول: نزل بهم جزاء أعمالهم؛ يعني: الذي أهلك من الأمم ﴿والذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿من هؤلاء﴾ يعني: هذه الأمة ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ يعني: الذين تقوم عليهم الساعة كفار آخر هذه الأمة، وقد أهلك أوائلهم؛ أبا جهل وأصحابه بالسيف يوم بدر ﴿وما هم بمعجزين﴾ أي: بالذين يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم ثم نعذبهم ﴿أو لم يعلموا أن اللَّه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: بلى قد علموا.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ بالشرك ﴿لا تقنطوا...﴾ تيأسوا. الآية.

تفسير الحسن قال: لما نزل في قاتل المؤمن والزاني وغير ذلك ما نزل

خاف قوم أن يؤخذوا بما عملوا في الجاهلية، فقالوا: أينا لم يفعل فأنزل اللَّه: ﴿قل يا عباديَ الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ [بالشرك][(١)] ﴿لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوب جميعًا﴾ التي كانت في الشرك ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ وأنزل ﴿والذين لا يدعون مع اللَّه إلهًا آخر﴾ أي: بعد إسلامهم ﴿ولا يقتلون النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق﴾ أي: بعد إسلامهم ﴿ولا يزنون. . . ﴾ أي: بعد إسلامهم إلى قوله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا. . .﴾ الآية[(٢)]، وقد مضى تفسيرها ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾ يقوله للمشركين: أَقْبِلُوا إلى ربكم بالإخلاص له ﴿واتبعوا أحسن ما أُنزل إليكم من ربكم﴾ وهو أن يأخذوا بما أمرهم اللَّه به، وينتهوا عما نهاهم اللَّه عنه ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة﴾ فجأة ﴿وأنتم لا تشعرون﴾.

﴿أن تقول نفسٌ يا حسرتا على ما فرطت في جنب اللَّه﴾ أي: في أمر اللَّه ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي: كنت أسخر في الدنيا بالنبي والمؤمنين.

قال محمدٌ: ﴿أن تقول نفسٌ﴾ معناه: خَوْفَ أن تقول نفسٌ إذا صارت إلى (حال)[(٣)] الندامة، والاختيار في القراءة: (يا حسرتا)[(٤)].

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ

---

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».
(٢) الفرقان: ٦٨ .
(٣) في «ر»: حين.
(٤) وهي قراءة السبعة، وأمالها حمزة والكسائي. ينظر: البحر (٧/ ٤٣٥)، النشر (٢/ ٣٦٣)، إتحاف الفضلاء (٣٧٦).

بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾ حين تدخل في العذاب: ﴿لو أن لي كرة﴾ إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ يعني: المؤمنين، قال الله: ﴿بلى قد جاءتك آياتي ...﴾ الآية.

﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوهُهُم مسودةٌ﴾ .

[قال محمد: ﴿وجوههم مسودة﴾][1] رفع على الابتداء، ولم يعمل الفعل والخبر ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ (ل٣٠١) عن عبادة الله بلى لهم فيها مثوى يثوون فيها أبدًا[2].

﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ بمنجاتهم ﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ حفيظ ﴿له مقاليد السمٰوات والأرض﴾ يعني: مفاتيح.

قال محمدٌ: واحد المقاليد: إقليد[3].

---

(١) سقط من الأصل

(٢) سقط من «ر» والمراد أن الفعل (رأى) بَصَري لا عِلْمي، فلم ينصب مفعولين. وعليه لم ينتصب (مسودة) بل رفع على الابتداء. ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٨٢٧)، البحر (٧/ ٤٣٧)، البيان (٢/ ٣٢٥).

(٣) ويقال: واحده: مِقْلاد أو مِقْليد، أما إقليد فهو واحد أقاليد، وهو فارسي معرب. ينظر لسان العرب (قلد)، الدر المصون (٦/ ٢١).

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧)﴾

﴿قل أفغير اللَّه تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ يعني: المشركين دَعَوْهُ إلى عبادة الأوثان.

قال محمدٌ: قد مضى في سورة الأنعام ذكر الاختلاف في قراءة ﴿تأمروني﴾[1].

﴿وما قدروا اللَّه حق قدره﴾ ما عظموا اللَّه حق عظمته إذ عبدوا الأوثان من دونه ﴿والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسمٰوات مطوياتٌ بيمينه﴾.

يحيى: عن عثمان البري، قال: حدثني نافع، قال: حدّثني عبد اللَّه بن عمر قال: سمعت رسول اللَّه يقول: «إن الرحمن يطوي السمٰوات يوم القيامة بيمينه، والأرضين بالأخرى ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، أنا الملك»[2].

---

(١) قرأ نافع: (تأمرونيَ)، وقرأ ابن كثير (تأمرونِّيَ)، وقرأ ابن عامر (تأمُرُونَنِي)، وقرأ أيضًا (تأمُرُونِي)، وقرأ الباقون: (تأمُرُونِّي). ينظر السبعة (٥٦٣)، البحر (٧/ ٤٣٩)، النشر (٢/ ٣٦٣ - ٣٦٤)، الإتحاف (٣٧٧).
وانظر كلام المصنف عليها في تفسير سورة الأنعام، الآية: ٨٠.

(٢) رواه البخاري (١٣/ ٤٠٤ رقم ٧٤١٢) والطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٧) وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٤٤٠ - ٤٤٢ رقم ١٣٢، ٢/ ٤٥٨ - ٤٥٩ رقم ١٤٠) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٤١٧ - ٤١٨ رقم ٧٠٢ ، ٧٠٣) من طرق عن نافع به.
ورواه الإمام أحمد (٢/ ٧٢) ومسلم (٤/ ٢١٤٨ - ٢١٤٩ رقم ٢٧٨٨) والنسائي في الكبرى (٤/ ٤٠٠ رقم ٧٦٨٩ ، ٤/ ٤٠٢ رقم ٧٦٩٥، ٧٦٩٦) وابن ماجه (١/ ٧١ - ٧٢ رقم ١٩٨، ٢/ ١٤٢٩ رقم ٤٢٧٥) والطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٦ - ٢٧) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ١٧٠ - ١٧٣ رقم ٩٥، ٩٧) وابن حبان (١٦/ ٣١٦ رقم ٧٣٢٤، ١٦/ ٣٢٢ رقم ٧٣٢٧) =

﴿سبحانه﴾ ينزِّه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يشركون﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ونفخ في الصور﴾ والصور قرن ينفخ فيه صاحبُ الصُّور ﴿فصعق﴾ أي: فمات ﴿من في السمٰوات ومن في الأرض﴾ وهذه النَّفْخة الأولى ﴿إلا من شاء اللَّه﴾ تفسير الحسن: استثنى طوائف من أهل السماء يموتون بين النفختين.

قال يحيى: وبلغني أن آخر من يبقى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل، ثم يقول اللَّه لملك الموت: مُتْ فيموت[1].

=وابن منده في الرد على الجهمية (٧٤ - ٧٥ رقم ٤٦) وغيرهم من طريق عبيد اللَّه بن مقسم عن ابن عمر ﷺ.

ورواه مسلم (٤/ ٢١٤٨ رقم ٢٧٨٨/ ٢٤) وأبو داود (٥/ ٢٤١ رقم ٤٦٩٩) وعبد بن حميد (٢٤١ - ٢٤٢ رقم ٧٤٢) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٤١ رقم ٥٤٧) والطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٨) وغيرهم من طريق سالم عن ابن عمر ﷺ.

وقال ابن منده: وهذا حديث ثابت باتفاق.

وعلقه البخاري (١٣/ ٤٠٤ رقم ٧٤١٣) من هذا الطريق.

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة، خرجتها في تخريجي لأحاديث التوحيد لابن خزيمة.

(١) هذا لا أعلمه ورد إلا في حديث الصور الطويل، وقد رواه إسحاق بن راهوية في مسنده (١/ ٨٤ - ٩٥ رقم ١٠) والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٥/ ٢٦٦ - ٢٧٧ رقم ٢٦) وغير واحدٍ من الأئمة، وقال عنه ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٤٩): قال: هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعضه ألفاظه نكارة، تفرد به =

﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ وهذه النفخة الآخرة ﴿فإذا هم قيامٌ ينظرون﴾ وبين النفختين أربعون سنةً ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب﴾ الذي كتبته الملائكة عليهم ﴿وجيء بالنبيين﴾ الذين بعثوا إليهم ﴿والشهداء﴾ يعني: الملائكة الحفظة ﴿وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾.

قال يحيى: بلغنا أنهم يقومون مقدار ثلاثمائة سنة قبل أن يفصل بينهم.

﴿ووفيت كل نفسٍ ما عملت﴾ أما المشركون فليس يعطوْن في الآخرة بأعمالهم الحسنة شيئًا: قد جوزوا بها في الدنيا، وأما المؤمنون فيوفون حسناتهم في الآخرة[1]، وأما سيئاتهم فإنه يحاسب العبد بالحسنات

= إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحدِ الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يُكتب حديثه في جملة الضعفاء.

قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوهٍ كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدةٍ، وأما سياقه فغريب جدًا، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقًا واحدًا؛ فأنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول أنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث؛ فالله أعلم. اهـ.

وانظر النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤) وفتح الباري (١١/ ٣٧٦).

وروى الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٩) من طريق الفضل بن عيسى، عن عمه يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ نحوه.

وضعفه ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٧٨)، وذكر له طريقًا آخر عند البيهقي وابن مردويه وضعف سنده أيضًا.

وانظر الدر المنثور (٥/ ٣٧٠).

(١) روى الإمام أحمد (٣/ ١٢٣) ومسلم (٤/ ٢١٦٢ - ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٨) عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله: «إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة، يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها».

والسيئات؛ فإن فضلت حسناته سيئاته بحسنة واحدة ضاعفها الله له، وهو قوله: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾[1] وإن استوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف يصير إلى الجنة، وإن زادت سيئاته على حسناته فهو في مشيئة الله.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا...﴾ أي: فوجًا فوجًا، إلى قوله: ﴿بئس مثوى المتكبرين﴾ يعني: عن عبادة الله.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرًا...﴾ إلى قوله: ﴿سلام عليكم طبتم﴾.

يحيى: عن نعيم بن يحيى، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق

---

(١) النساء: ٤٠ .

الهمداني، عن عاصم بن ضمرة، عن علي قال: «إذا توجهوا إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان؛ فيشربون من إحداهما[1]، فتجري عليهم بنضرة النعيم، فلا تُغَبَّر أبشارهم ولا تشعَّث أشعارهم بعدها أبدًا، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذًى، ثم تستقبلهم الملائكة - خزنة الجنة - فتقول لهم: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾»[2].

---

(١) كذا في الأصل و«ر»، وهو خلاف الجادة.

(٢) ورواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ١٤٥٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٧٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ١١٢ - ١١٤ رقم ١٥٨٥١) وإسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (٥/ ١٣٤ - ١٣٥ رقم ٤٥٩٢) والبغوي في الجعديات (٢/ ٩٢٦ - ٩٢٧ رقم ٢٦٦٣) والمروزي في زوائد الزهد (٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ١٤٥٠) والطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٥) وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٢٣ - ١٢٧ رقم ٢٨٠ ، ٢٨١) والضياء في المختارة (٢/ ١٦٠ - ١٦٣ رقم ٥٤١ ، ٥٤٢) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي به .

وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٥/ ١٣٥): هذا حديث صحيح، وحكمه حكم المرفوع؛ إذ لا مجال للرأي في مثل هذه الأمور.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨/ ٢٣٢): رواه إسحاق بن راهويه بسند صحيح، وحكمه حكم المرفوع؛ إذ ليس للرأي فيه مجال.

قلت: لهذا خرجه الحافظ الضياء في المختارة، وذكر عن الحاكم قوله: قد اتفقا - يعني: البخاري ومسلمًا - أن تفسير الصحابي حديث مسند. اهـ.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٥ - ٣٦) من طريق السدي قال: ذكر أبو إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه ... فذكره مطولاً.

ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٢٧) من طريق حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه .

فخالف السديُ وحمزةُ الزيات - في روايته هذه - الجماعة الذين رووه عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي - ومنهم السفيانان، وإسرائيل وزهير بن معاوية ومعمر - فجعلاه عن الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه .

﴿وأورثنا الأرض﴾ يعني: أرض الجنة ﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ أي: ننزل ﴿فنعم أجر العاملين﴾ في الدنيا ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ أي: مُحْدِقين ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي: فُصِلَ ﴿وقيل الحمد للَّه رب العالمين﴾ قاله المؤمنون؛ حمدوا اللَّه على ما أعطاهم.

❊ ❊ ❊

تفسير حم المؤمن[1] وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿حم﴾ قال الحسن: ما أدري ما تفسير (حم) و(طسم) وأشباه ذلك، غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن ﴿من الله العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ لمن لم يؤمن ﴿ذي الطول﴾ الغنى ﴿ما يجادل﴾ (ل٣٠٢) يماري ﴿في آيات الله﴾ فيجحدها ﴿إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلُّبهم﴾ إقبالهم وإدبارهم ﴿في البلاد﴾ يعني: الدنيا بغير عذاب؛ فإن الله معذِّبهم .

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾﴾

﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾ يعني: عادًا وثمود، ومن بعدهم الذين أخبر بهلاكهم لتكذيبهم رسلهم

---

(١) أي: سورة غافر.

﴿وهمت كل أمةٍ برسولهم ليأخذوه﴾ فيقتلوه ﴿وجادلوا﴾ خاصموا ﴿بالباطل﴾ بالشرك جادلوا به الأنبياء والمؤمنين ﴿ليدحضوا به﴾ أي: يذهبوا به ﴿الحق﴾ يعني: الإيمان.

﴿فأخذتهم بالعذاب فكيف كان عقاب﴾ أي: كان شديدًا ﴿وكذلك حقت كلمات[1] ربك﴾ أي: سبقت .

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ أي: ومن حول العرش ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ يقولون: ﴿ربنا وسعت كل شيء﴾ أي: ملأت كل شيء ﴿رحمةً وعلمًا فاغفر للذين تابوا﴾ من الشرك ﴿واتبعوا سبيلك﴾ يعني: الإسلام .

---

(١) هكذا في الأصل: (كلمات) جمعًا؛ وهي قراءة نافع وابن عامر. ينظر: البحر (٧/ ٤٥٠)، السبعة (٥٦٧)، التيسير (١٢٢)، الإتحاف (٣٧٧).

﴿ومن صلح﴾ أي: من آمن ﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾.

﴿وقهم السيئات﴾ يعني: جهنم هي جزاء الشرك ﴿ومن تق السيئات﴾ أي: تصرف عنه ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ وهم في النار: ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أي: لمقت الله إياهم في معصيته أكبر من مقتهم أنفسهم في النار، وذلك أن أحدهم يمقت نفسه ﴿إذ تدعون إلى الإيمان﴾ في الدنيا ﴿فتكفرون﴾ ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ وهو قوله في سورة البقرة: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾[1].

يقول: كنتم أمواتًا في أصلبة آبائكم نطفًا ﴿فأحياكم﴾ يعني: هذه الحياة الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ يعني: موتهم ﴿ثم يحييكم﴾ يعني: البعث.

﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ تفسير الحسن: فيها إضمار (قال الله: لا) ثم قال: ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا﴾ تصدقوا بعبادة الأوثان.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

قوله: ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ ما أراه العبادَ من قدرته ﴿وينزل لكم من السماء رزقًا﴾ المطر؛ يعني: فيه أرزاق العباد ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ يخلص لله ﴿رفيع الدرجات﴾ هو رفيع الدرجات درجات المؤمنين في الجنة

---

(١) البقرة: ٢٨.

﴿ذو العرش﴾ رب العرش ﴿يلقي الروح﴾ ينزل الوحي ﴿لينذر يوم التلاق﴾ [يوم القيامة][(١)] يوم يلتقي فيه الخلائق: أهل السماء وأهل الأرض عند الله.

قال محمد: الاختيار في القراءة بالياء، وقرأ نافع بغير ياء[(٢)].

﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم﴾ يقول: لمن الملك اليوم؟ يسأل الخلائق فلا يجيبه أحد، فيرد على نفسه فيقول: ﴿لله الواحد القهار﴾ قهر العباد بالموت، وبما شاء من أمره قال بعضهم: هذا بين النفختين حين لا يبقى أحد غيره.

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

﴿اليوم﴾ يعني: في الآخرة ﴿تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾ سمعت بعض الكوفيين يقول: يفرغ من حساب الخلائق في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا إذا أخذ في حساب الخلائق وعرضهم.

﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ يعني: القيامة ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ قال قتادة: انتزعت القلوب فغصّت بها الحناجر، فلا هي تخرج ولا هي ترجع إلى أماكنها.

---

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) وقرأ نافع أيضًا بإثبات الياء في ﴿التلاق﴾ وصلا في رواية ورش عنه، وقيل عن قالون عنه أيضًا. انظر النشر (٢/ ٣٦٦) والكنز (٢٣٢)، والإتحاف (٤٨٤).

يحيى: عن أبان بن أبي عياش، عن أبي العالية الرياحي، عن أبيّ بن كعب قال: «يجيء الرب - تبارك وتعالى - يوم القيامة في ملائكة السماء السابعة، لا يعلم عددهم إلا الله، فيؤتى بالجنة مفتحة أبوابها يراها كل برٍّ وفاجر، عليها ملائكة الرحمة حتى توضع عن يمين العرش، فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام. قال: ويؤتى بالنار تُقَاد بسبعين ألف زمام يقود كل زمام سبعون ألف ملك (مفتحة)[1] أبوابها، عليها ملائكة سود، معهم السلاسل الطوال، والأنكال[2] الثقال وسرابيل القطران، ومقطعات النيران، لأعينهم لمع كالبرق، ولوجوههم لهب كالنار، شاخصة أبصارهم، لا ينظرون إلى ذي العرش [تعظيمًا له][3]، فإذا (ل٣٠٣) دنت النار فكان بينها وبين الخلائق مسيرة خمسمائة سنة زفرت زفرةً، فلا يبقى أحدٌ إلا جثا على ركبته، وأخذته الرعدة وصار قلبه متعلِّقًا في حنجرته لا يخرج ولا يرجع إلى مكانه، وذلك قوله: ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾ وينادي إبراهيم: رب لا تهلكني بخطيئتي! وينادي نوح ويونس، وتوضع النار عن يسار العرش، ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبار، ثم يدعى الخلائق للحساب».

قال محمدٌ: إنما قيل للقيامة: آزفة؛ لأنها قريبةٌ وإن استبعد الناس مداها. يقال: أَزِفَت تَأْزَف أَزَفًا، وقد أزف الأمر إذا قرُب[4]، وكاظمين منصوبٌ على الحال[5]، وأصل الكظم: الحبس[6].

---

(١) في «ر»: مصفرّة.
(٢) واحدها النِّكل؛ وهو القيد. لسان العرب (نكل).
(٣) مطموس في الأصل، والمثبت من «ر».
(٤) لسان العرب (أزف).
(٥) وفيه تفصيل نحوي، ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٧)، مجمع البيان (٤/ ٥١٨)، البحر (٧/ ٤٥٦)، التبيان (٧/ ١١).
(٦) لسان العرب (كظم).

﴿ما للظالمين﴾ للمشركين ﴿من حميم﴾ أي: شفيق يحمل عنهم من ذنوبهم شيئًا ﴿ولا شفيعٌ يطاع﴾ أي: لا يشفع لهم أحدٌ؛ إنما الشفاعة للمؤمنين ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ قال مجاهد: يعني: نظر العين إلى ما نهى عنه.

قال محمدٌ: الخائنة والخيانة واحد[1].

﴿والذين تدعون من دونه﴾ يعني: أوثانهم ﴿لا يقضون بشيءٍ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢١) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٣) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)﴾

﴿كانوا هم أشد منهم﴾ من مشركي العرب ﴿قوة﴾ أي: بطشًا ﴿وآثارًا في الأرض﴾ يعني: ما عملوا من المدائن وغيرها من آثارهم ﴿وما كان لهم من الله من واق﴾ يقيهم من عذاب الله ﴿إنه قوي شديد العقاب﴾ للمشركين.

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ حجة بينة ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾ أي: صدَّقوه ﴿واستحيوا نساءهم﴾ أي: لا تقتلوهن ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ يذهب فلا يكون شيئًا؛ أي: في العاقبة.

---

(١) والخائنة من المصادر التي جاءت على لفظ الفاعلة، كالعاقبة. لسان العرب، المعجم الوسيط (خون).

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى﴾ يقوله لأصحابه؛ أي: خلوا بيني وبينه فأقتله ولم يخف أن يمتنع منه ﴿وليدع ربه﴾ أي: وليستعن ربه؛ أي إن ربه لا يغني عنه شيئًا ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ قال الحسن: كانوا عبدة أوثان ﴿وأن[1] يظهر في الأرض﴾ يعني: أرض مصر ﴿الفساد﴾.

﴿وقال رجلٌ مؤمن من آل فرعون﴾ من قوم فرعون ﴿يكتم إيمانه﴾ قال الحسن: قد كان مؤمنًا قبل أن يأتيهم موسى .

﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾؛ يعني: الآيات التي جاءهم بها موسى.

﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ كان موسى يعدهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا، وقد كان مؤمن آل فرعون علم أن موسى على الحقِّ.

﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ

(١) قرأ الكوفيون ويعقوب ﴿أو أن﴾ بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو وإسكان الواو، وقرأ الباقون بغير ألف. النشر (٢/ ٣٦٥).

يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ظاهرين في الأرض﴾ يعني: غالبين على أرض مصر في القهر لهم ﴿فمن ينصرنا﴾ يمنعنا ﴿من بأس اللَّه﴾ عذابه ﴿إن جاءنا﴾ يقوله على الاستفهام - أي: أنه لا يمنعنا منه أحد.

﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي: ما أرى لنفسي ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ يعني: جحود ما جاء به موسى والتمسُّك بما هم عليه.

﴿إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ يعني: مثل عذاب الأمم الخالية، ثم أخبر عن يوم الأحزاب؛ فقال: ﴿مثل دأب قوم نوحٍ وعادٍ وثمود . . .﴾ الآية الدأْبُ: الفعل؛ المعنى: إني أخاف عليكم مثل عقوبة فعلهم وهو ما أهلكهم اللَّه به.

قال محمدٌ: (الدأب) عند أهل اللغة: العادة[1]؛ المعنى: إني أخاف عليكم أن تقيموا على كفركم، فينزل بكم من العذاب مثل ما نزل بالأمم السَّالفة المكذبة رسلهم؛ وهو الذي أراد يحيى.

﴿إني أخاف عليكم يوم التنادِ﴾ قال قتادة: يوم ينادي أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا، وينادي أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء.

قال محمدٌ: من قرأ: (التناد) مخفَّفة؛ فهي بلا ياء في الوصل والوقف،

---

(١) ويقال: الدأب - بسكون الهمزة وتحريكها بالفتح . ينظر لسان العرب (دأب).

وقد قرئت أيضًا بالياء في الوصل والوقف[1].

﴿يوم تولون مدبرين﴾ يعني: عن النار، أي: فارِّين غير معجزين اللَّه، في تفسير مجاهد.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل﴾ أي: من قبل موسى ﴿بالبينات حتى إذا هلك قلتم لن يبعث اللَّه من بعده رسولًا﴾ أي: أنه لم يكن برسول، فلن (ل٣٠٤) يبعث اللَّه من بعده رسولًا ﴿كذلك يضل اللَّه من هو مسرفٌ﴾ مشرك ﴿مرتاب﴾ في شكٍّ من البعث.

﴿بغير سلطان أتاهم﴾ بغير حجة أتتهم من اللَّه بعبادة الأوثان ﴿كبر مقتًا عند اللَّه﴾.

---

(١) قرأ نافع - في رواية ورش عنه - ﴿التنادي﴾ وصلًا، وقرأ ابن كثير ﴿التنادي﴾ وصلًا ووقفًا، وقرأ أبو عمرو ﴿التناذ﴾ وصلًا، وروى عن ابن عباس ﴿التنادّ﴾. وقرأ باقي السبعة ﴿التنادِ﴾.
ينظر: البحر (٧/ ٤٥٥)، جامع القرطبي (١٥/ ٣١١ - ٣١٢)، السبعة (٥٦٨)، التيسير (١٩٢)، الإعراب للنحاس (٣/ ١٠).

﴿ابن لي صرحًا﴾ قال الكَلْبي: يعني: قصرًا ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾ يعني: الأبواب ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ الذي يزعم ﴿وإني لأظنه كاذبًا﴾ ما في السماء أحدٌ تعمد الكذب.

قال اللَّه: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل﴾ عن طريق الهدى ﴿وما كيدُ فرعون إلا في تباب﴾ خسار.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إنما هذه الحياة الدنيا متاعٌ﴾ يُسْتمتع به، ثم يذهب فيصير الأمر إلى الآخرة.

﴿من عمل سيئة﴾ والسيئة ها هنا: الشرك ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾ النار ﴿ومن عمل صالحًا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾ لا يقبل اللَّه العمل الصالح إلا من المؤمن.

﴿يرزقون فيها بغير حسابٍ﴾ قال السُّدي: يعني: بغير متابعةٍ ولا مَنٍّ عليهم فيما يُعْطَوْن.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ

ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿ما لي أدعوكم إلى النجاة﴾ إلى الإيمان باللَّه ﴿وتدعونني إلى النار﴾ إلى الكفر الذي يدخل به صاحبه النار.

﴿وأشرك به ما ليس لي به علمٌ﴾ أي: ليس عندي علمٌ بأنَّ مع اللَّه شريكًا، ولكنه اللَّه وحده لا شريك له ﴿وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾ لمن آمن ﴿لا جرم أن ما تدعونني إليه﴾ أن أعبده ﴿ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ أي: لا يجيب من دعاه في الدنيا، ولا ينفعه في الآخرة.

قال محمدٌ: قد مضى تفسير ﴿لا جرم﴾(1).

﴿وأن المسرفين﴾ المشركين ﴿هم أصحاب النار﴾ ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ إذا صرتم إلى النار ﴿وأفوض أمري إلى اللَّه﴾ أي: أتوكل على اللَّه ﴿إن اللَّه بصيرٌ بالعباد﴾ أي: بأعمالهم ومصيرهم .

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿فوقاه اللَّه سيئات ما مكروا﴾ أي: عصمه من ذلك الكفر الذي دعوه إليه،

---

(١) ينظر: (هود: ٢٢)، (النحل ٢٣ ، ٦٢ ، ١٠٩) .

وعصمه من القتل والهلاك الذي هلكوا به ﴿وحاق بآل فرعون﴾ وجب عليهم ﴿سوء العذاب﴾ يعني: شدته ﴿النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا﴾ قال مجاهد: يعني: ما كانت الدنيا(١).

يحيى: عن حماد (عن)(٢) أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به «أنه أتى على سابلة آل فرعون، حيث ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا؛ فإذا رأوها قالوا: ربنا لا تقومن الساعة! لما يرون من عذاب الله»(٣).

﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون﴾ يعني: أهل ملته، وفرعون معهم ﴿أشد العذاب﴾.

﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء﴾ يعني: السَّفلة ﴿للذين استكبروا﴾ يعني: الرؤساء في الضلالة ﴿إنا كنا لكم تبعًا﴾ أي: دعوتمونا إلى الضلالة فأطعناكم ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا﴾ أي: جزءًا ﴿من النار﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

---

(١) أي: مدة دوام الدنيا.

(٢) تحرفت في «ر» إلى: بن.

(٣) تقدم تخريجه في آخر تفسير سورة البقرة، عند تفسير قوله تعالى ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ وفي أول تفسير سورة الإسراء مطولا جدًا.

﴿ادعوا ربكم﴾ أي: سلوه ﴿يخفف عنا يومًا من العذاب قالوا﴾ يعني: خزنة جهنم ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات . . .﴾ الآية ﴿قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.

يحيى: عن الحارث بن نبهان، عن سلميان التيمي قال: «إن أهل النار يدعون خزنة النار، فلا يجيبونهم مقدار أربعين سنة، ثم يكون جوابهم إياهم: ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات . . .﴾ الآية، ثم ينادون مالكًا فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة، ثم يكون جواب مالك إياهم: ﴿إنكم ماكثون﴾ ثم يدعون ربهم فلا يجيبهم مقدار الدنيا مرتين ثم يكون جوابه إياهم: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾.

(كل كلام ذكر في القرآن من كلامهم كله فهو قبل أن يقول: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[1])[2] وقد مضى تفسيره.

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ يعني: النصر والظفر على عدوِّهم ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ يعني: يوم القيامة، والأشهاد: الملائكة الحَفَظَةُ يشهدون للأنبياء بالبلاغ، وعليهم بالتكذيب[3] ﴿يوم لا ينفع الظالمين﴾ المشركين ﴿معذرتهم﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

---

(١) المؤمنون: ١٠٨ .
(٢) سقط من «ر».
(٣) والمفرد: شاهد ويُجمع على شَهْد، مثل صَاحِب وصَحْب، ويُجمع شَهْد على شهود وأشهاد. ينظر: لسان العرب والمعجم الوسيط (شهد).

رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ بعد القرون الأولى.

﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ يعني: ما وعده أن يعطيه في الآخرة (ل٣٠٥)، ويعطي من آمن به ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ وهي صلاة مكة قبل أن تفترض الصلوات الخمس حين كانت الصلاة ركعتين غدوة وركعتين عشية.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿بغير سلطان أتاهم﴾ بغير حجّة أتتهم ﴿إن في صدورهم﴾ أي: ليس في صدورهم ﴿إلا كبرٌ ما هم ببالغيه﴾ يعني: أملَهم[1] في محمدٍ وأهل دينه أن يهلك ويهلكوا.

﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ أي: أشد، يعني: شدّة خلقها وكثافتها وعرضها وطولها؛ أي: فأنتم أيها المشركون تقرون بأن الله هو الذي خلقها، وتجحدون بالبعث ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ﴿وما يستوي الأعمى﴾ الكافر عمي عن الهدى ﴿والبصير﴾ المؤمن

(١) في «ر»: إمامهم.

أبصر الهدى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء﴾ المشرك ﴿قليلًا ما يتذكرون[١]﴾ أي: أقلهم المتذكر؛ يعني: من يؤمن.

قال محمدٌ: (ولا المسيء) المعنى: والمسيء، و(لا) زائدة[٢].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿إن الساعة﴾ القيامة ﴿لآتية لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بالساعة.

﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم...﴾ إلى قوله: ﴿داخرين﴾ يعني: صاغرين.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من دعائه على إحدى ثلاث: إما أن يعطى مسألته وإما أن يعطى مثلها من الخير، وإما أن يصرف عنه مثلها من الشر ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل. قالوا: يا رسول الله، إذًا نكثر. قال: الله أكثر»[٣].

---

(١) قرأ الكوفيون بالخطاب ﴿تتذكرون﴾، وقرأ الباقون بالغيب ﴿يتذكرون﴾ النشر (٢/ ٣٦٥).

(٢) ينظر: البيان (٢/ ٣٣٣)، الدر المصون (٦/ ٤٩).

(٣) لم أقف عليه من مراسيل الحسن.

ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٥ - ٢٤٦ رقم ٧١٠) وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٢٠١ رقم ٩٢١٩) وعبد بن حميد (٢٩٢ رقم ٩٣٧) وأبو يعلى (٢/ ٢٩٦ رقم ١٠١٩) والبزار - كشف الأستار (٤/ ٤١ رقم ٣١٤٤) - والطبراني في الصغير (٢/ ٩٢) والحاكم (١/ ٤٩٣) وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١١ - ٣١٢) وابن عبد البر في التمهيد (٥/ ٣٤٣ - ٣٤٥) والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٧ - ٤٨ رقم ١١٢٨ - ١١٣٠) =

الحسن بن دينار عن الحسن عن النبي ﷺ نحو ذلك قال: «قالوا: يا رسول اللَّه، كيف يستعجل؟ قال: يقول قد دعوت اللَّه فما أجابني وسألته فما أعطاني اللَّه» (١).

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ يعني: تستقروا من النَّصَبِ ﴿والنهار مبصرًا﴾ أي: مضيئًا ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لا يؤمنون ﴿فأنى تؤفكون﴾ فكيف تصرفون عن الهدى؟!

﴿كذلك يؤفك﴾ يصرف ﴿الذين كانوا بآيات اللَّه يجحدون﴾.

= وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي.
وقال المنذري في الترغيب (٢/ ٤٧٨ - ٤٧٩): رواه أحمد والبزار وأبو يعلى بأسانيد جيدة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.
وفي الباب عن غير واحدٍ من الصحابة، انظر الترغيب (٢/ ١٧٨ - ١٧٩).

(١) روى مسلم (٤/ ٢٠٩٥ رقم ٢٧٣٥) عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي».

﴿اللَّه الذي خلق لكم الأرض قرارًا﴾ مثل قوله: ﴿بساطًا﴾[١] و﴿مهادًا﴾[٢] ﴿والسماء بناءً﴾ كقوله: ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾[٣].

قال محمد: كل ما ارتفع على الأرض فالعرب تسميه بناء[٤].

﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ أي: جعل صوركم أحسن من صور البهائم والطير.

﴿ورزقكم من الطيبات﴾ قال السُّدي[٥]: يقول جعل رزقكم أطيب من رزق الدواب والطير والجن ﴿فتبارك اللَّه ﴾ تبارك من البركة.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ يعني: خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ نسل آدم ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ الاحتلام ﴿ثم لتكونوا شيوخًا﴾ يعني: من يبلغ حتى يكون شيخًا ﴿ومنكم من يتوفى﴾ من قبل أن يكون شيخًا ﴿ولتبلغوا أجلًا مسمى﴾ الموت ﴿ولعلكم تعقلون﴾ لكي تعقلوا.

---

(١) يريد قوله تعالى: ﴿واللَّه جعل لكم الأرض بساطًا﴾ نوح: ١٩ .
(٢) يريد قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهادًا﴾ النبأ: ٦ .
(٣) الذرايات: ٤٧ .
(٤) والجمع أبنية، وجمع الجمع: أبنيات. ينظر لسان العرب (بنى).
(٥) في «ر»: قال الحسن.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات اللَّه﴾ يعني: يجحدون بآيات اللَّه ﴿أنى يصرفون﴾ كيف يصرفون عنها؟! ﴿فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون﴾ تسحبهم الملائكة؛ أي: تجرُّهم على وجوههم ﴿في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ أي: توقد بهم النار.

﴿أين ما كنتم تشركون من دون اللَّه﴾ كقوله: ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون اللَّه﴾[1] ﴿قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئًا﴾ ينفعنا ولا يضرنا، قال اللَّه: ﴿كذلك يضل اللَّه الكافرين﴾ ثم رجع إلى قصَّتهم فقال: ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ الفرح والمرح واحد؛ أي: بما كنتم بطرين أشرين ﴿فبئس مثوى﴾ منزل ﴿المتكبرين﴾.

﴿فإما نرينَّك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب ﴿أو نتوفينك﴾ فيكون بعد وفاتك[2] ﴿فإلينا يرجعون﴾ يوم القيامة.

---

(١) الشعراء: ٩٢ - ٩٣ .

(٢) أي: فيكون عذابهم بعد وفاتك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن اللَّه﴾ أي: حتى يأذن اللَّه له فيها، وذلك أنهم كانوا يسألون النبيَّ عليه السلام أن يأتيهم بآية وأن الآية إذا جاءت فلم يؤمن القوم أهلكهم اللَّه.

قال: ﴿فإذا جاء أمر اللَّه﴾ قضاؤه[1] ﴿قضي بالحق﴾ أي: أهلكهم اللَّه بتكذيبهم ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ [حين جاءهم][2] (ل٣٠٦) العذاب ﴿المبطلون﴾ المشركون.

﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ يعني: الإبل والحاجة: السفر ﴿ويريكم آياته﴾ يعني: من السماء والأرض، والخلائق وما في أنفسكم من الآيات، وما سخر لكم من شيءٍ ﴿فأي آيات اللَّه تنكرون﴾ أنه ليس من خلقه.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾

---

(١) في «ر»: العذاب.
(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ يعني: علمهم عند أنفسهم هو قولهم لن نبعث ولن نعذب ﴿وحاق بهم﴾ وجب عليهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: عقاب استهزائهم.

﴿فلما رأوا بأسنا﴾ عذابنا في الدنيا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ أي: بما كنا به مصدقين من الشرك.

قال الله: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ عذابنا ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ المشركين أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم بالعذاب، ولا يقبل إيمانهم عند نزول العذاب، قال: ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾.

قال محمدٌ: ﴿سُنَّةَ اللَّه﴾ منصوبٌ على معنى: سنّ الله هذه السنةَ في الأمم كلها؛ ألّا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب.

* * *

تفسير (حم السجدة)[١]
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ يعني: القرآن ﴿كتاب فصلت﴾ أي: فُسّرت ﴿آياته﴾ بالحلال والحرام، والأمر والنهي ﴿قرآنًا عربيًّا لقوم يعلمون﴾ يؤمنون ﴿بشيرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار.

قال محمدٌ: ﴿تنزيل﴾ رفعٌ بالابتداء، وخبره ﴿كتابٌ﴾ وجائز أن يرفع بإضمار هذا تنزيل، و﴿قرآنًا عربيًّا﴾ نصْبٌ على الحال[٢].

﴿فأعرض أكثرهم﴾ أي: عنه ﴿فهم لا يسمعون﴾ الهدى؛ سمع قبول ﴿وقالوا قلوبنا في أكنّة﴾ أي: في غُلُفٍ[٣] ﴿مما تدعونا إليه﴾ يا محمدُ؛ فلا نعقله ﴿وفي آذاننا وقر﴾ صَمَمٌ عنه فلا نسمعه ﴿ومن بيننا وبينك

---

(١) في «ر»: «سورة فصلت».
(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٦/ ٥٥).
(٣) في «ر»: غفلة.

حجابٌ﴾ فلا نفقه ما تقول ﴿فاعمل إننا عاملون﴾؛ أي: اعمل بدينك؛ فإنا عاملون بديننا.

قال اللَّه للنبي: ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليَّ﴾ غير أنه يوحى إليَّ ﴿أنما إلهكم إلهٌ واحد فاستقيموا إليه﴾ أي: فوحِّدوه ﴿واستغفروه﴾ من الشرك ﴿وويل للمشركين﴾ في النار.

﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ أي: لا يوحِّدون اللَّه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ (١٠) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ (١١)﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غير ممنون﴾ تفسير الحسن: أي لا يمنُّ عليهم منّ أذى.

﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ يقوله على الاستفهام؛ أي: قد فعلتم ﴿وتجعلون له أندادًا﴾ أعدالًا تعدلونهم به؛ فتعبدونهم دونه ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾ يعني: فوق الأرض، والرواسي: الجبال حتى لا تحرك بكم ﴿وبارك فيها﴾ أي: جعل فيها البركة؛ يعني: الأرزاق ﴿وقدّر فيها أقواتها﴾ أرزاقها ﴿في أربعة أيام﴾ في تتمّة أربعة أيام، يعني: خلق الأرض في يومين، وأقواتها في يومين، ثم جمع الأربعة الأيام فقال: ﴿في أربعة أيام سواء للسائلين﴾ يعني: لمن كان سائلًا عن ذلك، وهي تقرأ

(في أربعة أيام سواءٍ)(١) أي: مستوياتٍ(٢) يعني: الأيام.

قال محمدٌ: من نصب ﴿سواءً﴾(٣) فعلى المصدر استوت استواءً(٤).

﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قال محمدٌ: يعني: عمد لها وقصد ﴿وهي دخانٌ﴾ ملتصقة بالأرض؛ في تفسير الحسن ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعًا أو كرهًا﴾ على وجه السخرة والقدرة؛ قال هذا لهما قبل خلقه إياهما ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ يعني: بما فيهما.

قال محمدٌ: ﴿طوعًا أو كرهًا﴾ بمنزلة: أطيعا طاعة، أو تكرهان كرهًا(٥).

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

﴿فقضاهن﴾ يعني: خلقهن ﴿سبع سمٰواتٍ﴾ في يومين ﴿وأوحى في كل سماءٍ أمرها﴾ قال مجاهد: يعني: أمره الذي جعل فيها مما أراد ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ يعني: النجوم ﴿وحفظًا﴾ أي: جعلنا النجوم حفظًا للسماء من الشياطين لا يسمعون الوحي، وذلك بعد بعث محمدٍ عليه السلام.

---

(١) قرأ بالرفع - أي: رفع ﴿سواء﴾ - أبو جعفر، وقرأ بالجر يعقوب والحسن وزيد بن علي وغيرهم. ينظر البحر (٧/ ٤٨٦)، الإتحاف (٣٨٠)، جامع القرطبي (١٥/ ٣٤٣)، النشر (٢/ ٣٦٦).

(٢) لسان العرب (سوى).

(٣) وهي قراءة العامة. ينظر: الإتحاف (٣٨٠)، النشر (٢/ ٣٦٦)، البحر (٧/ ٤٨٦).

(٤) قاله مكي وأبو البقاء العكبري. ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٢٨- ٢٩)، البحر (٧/ ٤٨٦)، الدر المصون (٦/ ٥٧) وفي الأصل: استوت سواء.

(٥) ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٢٩)، مجمع البيان (٥/ ٦)، البحر (٧/ ٤٨٦ - ٤٨٧)، البيان (٢/ ٣٣٧).

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فإن أعرضوا﴾ يعني: المشركين ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عادٍ وثمود﴾ يعني: العذاب ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي: أنذروهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ أي: يخبروننا أنكم رسل الله؛ يقوله كل قوم لرسولهم.

قال الله: (ل٣٠٧) ﴿فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشدُّ منا قوةً﴾ عجبوا من شدتهم، قال الله: ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة﴾.

﴿فأرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا﴾ يعني: شديدة البرد؛ وهي الدبور[١].

قال محمدٌ: الصرصر: الشديدة البرد التي لها صوتٌ، وهي الصَّرَّة أيضًا[٢].

---

(١) وهي ريح تهبُّ من المغرب، وتُقابل القَبُولَ، وتُسَمَّى ريحُ القبول: الصَّبَا. والجمع: دُبُر، ودَبائر. لسان العرب (دبر).

(٢) وقيل (صرصر) أصلها: صَرَّر؛ من الصِّرِّ، فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل. ينظر لسان العرب (صرر، وصرصر).

﴿في أيام نحساتٍ﴾ أي: مشئومات، وهي الثمانية الأيام التي في الحاقة[١]، كان أولها يوم الأربعاء إلى الأربعاء الآخر.

قال محمدٌ: قراءة نافع (نحْسات) بتسكين الحاء[٢]، واحدها نَحْسٌ[٣] المعنى: هي نحساتٌ عليهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٧ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝١٨ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠﴾

﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ أي: بيَّنا لهم سبيل الهدى وسبيل الضلال ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أي: اختاروا الضلالة على الهدى ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ من: الهوان[٤] ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة: لهم وَزَعَةٌ تردُّ أولاهم على أخراهم.

قال محمدٌ: وأصل الكلمة من: وزعته إذا كففته[٥].

﴿يوم يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ جوارحهم.

قال محمدٌ: وأصل الكلمة: أن الجلود كنايةٌ عن الفروج.

---

(١) يعني قول الله - تعالى -: ﴿سخرَّها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا﴾ [الحاقة: ٧٠].

(٢) وهي أيضًا قراءة أبي عمرو وابن كثير. ينظر: السبعة (٥٧٦)، البحر (٧/ ٤٩٠)، التيسير (١٩٣)، النشر (٢/ ٣٦٦).

(٣) ويجمع (نَحْس) أيضًا على نُحُوس وأَنْحُس. ينظر لسان العرب (نحس).

(٤) يقال: هان فلان يهون هُونًا وهَوَانًا ومَهَانة؛ أي: ذلَّ . ينظر لسان العرب (هون).

(٥) يقال: وَزَعَ يَزَعُ وَزْعًا. لسان العرب (وزع).

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا اللَّه الذي أنطق كل شيء﴾ انقطع ذكر كلامهم ها هنا، قال اللَّه: ﴿وهو خلقكم أول مرة﴾ يقوله للأحياء ﴿وإليه ترجعون﴾.

﴿وما كنتم تستترون﴾ أي: تتقون؛ في تفسير مجاهد ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم﴾ حسبتم ﴿أن اللَّه لا يعلم كثيرًا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ أهلككم ﴿فأصبحتم﴾ يعني: فصرتم ﴿من الخاسرين﴾.

﴿وإن يستعتبوا﴾ أي: يطلبوا إلى اللَّه أن يخرجهم من النار؛ فيردّهم إلى الدنيا ليؤمنوا ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي: لا يستعتبون .

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ

نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وقيَّضنا لهم قرناء﴾ يعني: شياطين ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ قال الحسن: ما بين أيديهم، يعني: حب ما كان عليه آباؤهم من الشرك وتكذيبهم الرسل، وما خلفهم: تكذيبهم بالبعث ﴿وحق عليهم القول﴾ أي: وجب عليهم الغضب؛ في تفسير قتادة ﴿في أمم قد خلت من قبلهم﴾ أي: مع أممٍ.

﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ قال السُّدي: نزلت في أبي جهل بن هشام كان يقول لأصحابه: إذا سمعتم قراءة محمدٍ؛ فارفعوا أصواتكم بالأشعار حتى تلتبس على محمدٍ قراءته ﴿لعلكم تغلبون﴾ لعل دينكم يغلب دين محمدٍ.

قال محمدٌ: اللغو في اللغة: الكلام الذي لا يُحْصل منه على نفعٍ ولا على فائدة، ولا تفهم حقيقته، يقال منه لغا، وفيه لغةٌ أخرى: لغي[١].

﴿وقال الذين كفروا﴾ في النار ﴿ربنا أرنا﴾ يعني: الرؤية، ومن قرأها (أرْنا) بتسكين الراء[٢]، فالمعنى: أعطنا[٣] ﴿الَّذَيْن أضلانا من الجن والإنس﴾ يعنون إبليس، وقاتل ابن آدم الذي قتل أخاه ﴿نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ في النار يقولون ذلك من شدة الغيظ عليهم.

---

(١) يقال: لغا يَلْغُو لَغْوًا، ولَغِيَ يَلْغَى لَغًا بمعنى واحد. لسان العرب (لغو).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم من رواية أبي بكر عنه. ينظر: السبعة (٥٧٦) النشر (٢/ ٢٢٢)، التيسير (١٩٣) وتفسير القرطبي (١٥/ ٣٥٧).

(٣) ورد في الكشاف: أرِنا بالكسر للاستبصار، وبالسكون للاستطعاء ونقله عن الخليل. ينظر الكشاف (٣/ ٤٥٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿إن الذين قالوا ربنا اللَّه﴾ مخلصين له ﴿ثم استقاموا﴾ عليها ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ عند الموت ﴿ألا تخافوا ...﴾ الآية.

تفسير الحسن: أن قول الملائكة لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا؛ تستقبلهم بهذا إذا خرجوا من قبورهم ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ أي: نحن كنا أولياءكم إذ كنتم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة، قال بعضهم: هم الملائكة الذين كانوا يكتبون أعمالهم ﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ أي: ما تشتهون ﴿نزلًا من غفورٍ رحيم﴾.

قال محمدٌ: (نُزلًا) منصوبٌ بمعنى أبشروا بالجنة تنزلونها نزلًا[١]، ومعنى نُزلًا: رزقًا[٢].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾

---

(١) ينظر: البحر (٧/ ٤٩٧)، البيان (٢/ ٣٣٩ - ٣٤٠)، إعراب القرآن (٣/ ٣٩)، مجمع البيان (٥/ ١٢ - ١٣).

(٢) وقال الأخفش: هو من نزول الناس بعضهم على بعض، يقال: ما وجدنا عندكم نزُلًا. لسان العرب، مختار الصحاح (نزل).

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿ومن أحسن قولًا ...﴾ الآية، وهذا على الاستفهام؛ أي: لا أحد أحسن قولًا منه ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ الحسنة في هذا الموضع العفو والصفح، والسيئة ما يكون بين الناس من الشتم والبغضاء.

قال محمدٌ: المعنى: ولا تستوي الحسنة والسيئة و(لا) زائدة[1].

﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ (ل٣٠٨) يقول: ادفع بالعفو والصفح القول القبيح والأذى، كان ذلك فيما بينهم وبين المشركين قبل أن يؤمروا بقتالهم.

يحيى: عن فِطْرٍ، عن أبي إسحاق الهمداني، عن أبي الأحوص، عن أبيه قال: «قلت: يا رسول اللَّه، إن لي جارًا وإنه يسيء مجاورتي؛ أفأفعل به كما يفعل بي؟ قال: لا، إن اليد العليا خير من اليد السُّفلى»[2].

---

(١) ينظر: تفصيل ذلك في الدر المصون (٦/ ٦٧).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٨٠ - ٢٨١ رقم ٦١٧) من طريق فطر بن خليفة عن أبي إسحاق بنحوه.

وروى الإمام أحمد (٣/ ٤٧٣) والترمذي (٤/ ٣٢٤ رقم ٢٠٠٦) والطيالسي (١٨٤ رقم ١٣٠٤) وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٤٦٢ رقم ١٤٦٢) وابن حبان (١٢/ ٢٣٤ رقم ٥٤١٦) والحاكم (٤/ ١٨١) والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٧٦ رقم ٦٠٦، ١٩/ ٢٧٧ رقم ٦٠٨، ١٩/ ٢٧٨ رقم ٦١٠، ١٩/ ٢٧٩) رقم ٦١٣، ١٩/ ٢٨١ رقم ٦١٨، ١٩/ ٢٨٢ رقم ٦٢١) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/ ٢٤٥٩ رقم ٦٠٠١) والبيهقي في السنن (١٠/ ١٠) وفي الشعب (٦/ ٢٥٩ - ٢٦٠ رقم ٨٠٧٥) وغيرهم من طرق عن =

﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ أي: قريب قرابته ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ فيقول: لا يعفو العفو الذي يقبله الله إلا أهل الجنة، وهي الحظ العظيم ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغٌ﴾ قال قتادة: النزغ: الغضب[١].

﴿ومن آياته﴾ من علامات توحيده ﴿الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن﴾ خلق آياته ﴿فإن استكبروا﴾ يعني: المشركين عن السجود لله ﴿فالذين عند ربك﴾ يعني: الملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ أي: يملُّون.

قال (مجاهدٌ)[٢]: سألت ابن عباس عن السَّجْدة في «حم» فقال: اسجدوا بالآخرة من الآيتين. قال ابن عباس: وليس في المفصَّل سجود.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ

= أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن أبيه قال: «قلت: يا رسول الله، أرأيت رجلاً نزلت به فلم يكرمني ولم يقرني، ثم نزل بي، أجزيه بما صنع أم أقريه؟ قال: اقره».
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأبو الأحوص اسمه عوف بن مالك بن نضلة الجشمي.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وروى الإمام أحمد (٣/ ٤٧٣) وأبو داود (٢/ ٣٦٨ رقم ١٦٤٦) وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٩٧ - ٩٨ رقم ٢٤٤) وفي التوحيد (١/ ١٥٨ رقم ٨٨) وابن حبان (٥/ ١٠٥ رقم ٣٣٦٢) والحاكم (١/ ٤٠٨) والبيهقي (٤/ ١٩٨) وغيرهم من طريق أبي الزعراء، عن أبي الأحوص، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأيدي ثلاثة: فيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى؛ فأعط الفضل، ولا تعجز عن نفسك».
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(١) وقيل: نزغ الشيطان: وساوسه ونخسه في القلب بما يُسَوِّل للإنسان من المعاصي، يعني: يُلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه. لسان العرب (نزغ).
(٢) في «ر»: محمد.

أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾

قوله: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ يعني: غبراء متهشمة ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ يعني: انتفخت [فيها تقديم ﴿ربت﴾][1] للنّبات ﴿واهتزت﴾ بنباتها إذا أنبتت ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى﴾ وهذا مثلٌ للبعث ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾ قال الكلبي: يعني: يميلون إلى غير الحق.

قال محمدٌ: معنى يلحدون يجعلون الكلام على غير جهته، وهو مذهب الكلبي، ومن هذا اللحد؛ لأنه الحفر في جانب القبر، يقال: لحد وألحد [بمعنى][2] واحدٍ[3].

﴿أفمن يلقى في النار خيرٌ أمّن يأتي آمنًا يوم القيامة﴾ أي إن الذي يأتي آمنًا خيرٌ ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ وهذا وعيدٌ ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾ يعني: القرآن.

﴿وإنه لكتابٌ عزيز﴾ أي: منيع ﴿لا يأتيه الباطل﴾ يعني: إبليس ﴿من بين يديه ولا من خلفه﴾ تفسير الكلبي ﴿لا يأتيه من بين يديه﴾ يعني: من قبل

---

(١) من «ر».
(٢) في الأصل: في معنى.
(٣) ينظر لسان العرب (لحد).

التوراة، ولا من قبل الإنجيل ولا الزبور، ليس منها شيء يكذب بالقرآن ولا يبطله، ﴿ولا من خلفه﴾ لا يأتيه من بعده كتابٌ يبطله ﴿تنزيل من حكيم﴾ في أمره ﴿حميد﴾ استحمد إلى خلقه؛ أي: استوجب عليهم أن يحمدوه.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ يعني: ما قال لهم قومهم من الأذى، كانوا يقولون للرسول: إنك مجنونٌ، وإنك ساحرٌ، وإنك كاذبٌ ﴿إن ربك لذو مغفرةٍ﴾ لمن آمن ﴿وذو عقاب﴾ لمن لم يؤمن.

﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا﴾ هلا ﴿فصلت آياته﴾ أي: بُيِّنت ﴿أعجمي وعربي﴾ أي: بالعجمية والعربية على مقرإ من قرأها بغير استفهام ومن قرأها على الاستفهام مدّها ﴿آعجمي وعربي﴾[1] أي: لقالوا: كتاب أعجمي (ونبي)[2] عربي يحتجون بذلك؛ أي: كيف يكون هذا؟!

---

(١) قرأ حمزة والكسائي ﴿أأعجمي﴾ وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر، وأبو عمرو ﴿آعجمي﴾ وقرأ ابن عامر ﴿أعجمي﴾. ينظر: البحر (٧/ ٥٠٢)، السبعة (٥٧٧)، التيسير (١٩٣)، الإتحاف (٣٨١).

(٢) في «ر»: ولسان.

قال محمدٌ: من قرأها بلا مدٍّ فالمعنى: جعل بعضه بيانًا للعجم، وبعضه بيانًا للعرب(١).

قال الله: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاءٌ﴾ لصدورهم يشفيهم مما كانوا فيه من الشك والشرك ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ أي: صممٌ عن الإيمان ﴿وهو عليهم عمى﴾ [يزدادون عمًى](٢) إلى عماهم إذ لم يؤمنوا ﴿أولئك ينادون﴾ بالإيمان ﴿من مكان بعيد﴾ تفسير بعضهم [بعيد من](٣) قلوبهم.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فاختلف فيه﴾ عمل به قوم، وكفر به قوم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحاسبهم في الدنيا، فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النارَ، وهذا تفسير الحسن ﴿وإنهم لفي شكٍ منه﴾ من العذاب ﴿مريب﴾ من الريبة.

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

---

(١) ينظر: تفصيل هذه القراءة وتوجيهها في الدر المصون (٦/ ٦٩ - ٧٠).
(٢) سقط من الأصل.
(٣) مطموس في الأصل.

﴿إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمراتٍ من أكمامها﴾ تفسير الحسن هذا في النخل خاصة حين (ل٣٠٩) يطلع لا يعلم أحدٌ كيف يخرجه اللَّه ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ (يقول: لا يعلم وقت قيام الساعة، وما تخرج من ثمرات من أكمامها، وما تحمل من أنثى ولا تضع؛ إلا هو لا إله إلا هو)[١].

قال محمدٌ: الاختيار في القراءة «وما يخرج» بالياء؛ لأن ما ذكر مذكر، المعنى: والذي يخرج[٢].

قوله: ﴿من أكمامها﴾ يعني: المواضع التي كانت فيه مستترة، وغلاف كل شيء كُمُّه، ومن هذا قيل: كم القميص[٣].

﴿ويوم يناديهم﴾ يعني: المشركين ﴿أين شركائي الذين زعمتم﴾ أنهم شركائي ﴿قالوا آذنَّاك﴾ سمعناك ﴿ما منا من شهيد﴾ يشهد اليوم أن معك آلهة. قال اللَّه: ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ في الدنيا؛ ضلت عنهم أوثانهم التي كانوا يعبدون، فلن تستجيب لهم.

قال محمدٌ: (آذناك) حقيقته في اللغة: أعلمناك[٤].

﴿وظنوا﴾ علموا ﴿ما لهم من محيص﴾ من ملجأ.

---

(١) سقط من «ر».

(٢) هكذا في الأصل، ولم أجد هذه القراءة، أما قراءة العامة فهي على وما (تخرج) بالتاء وينظر البحر (٧/ ٥٠٤)، مجمع البيان (٥/ ١٨)، إعراب القرآن (٣/ ٤٦).

(٣) ويجمع على: أكْمَام وكِمَمَة. لسان العرب (كمم)، وقيل: الكم بكسر الكاف: ما يغطِّي الثمرة، بضم الكاف: ما يغطِّي اليد من القميص. كذا ضبط الزمخشري والراغب. ينظر الدر المصون (٦/ ٧١).

(٤) ومنه: أذان المؤذِّن الصلاة؛ أي نادى بها وأعلم، وأيضًا أذَّن بالصلاة، بتشديد الذال. لسان العرب (أذن).

﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ أي: لا يملُّ ﴿وإن مسّه الشر فيئوسٌ قنوط﴾ فالخير عند المشرك: الدنيا والصحة فيها والرخاء ﴿وإن مسّهُ الشر﴾ في ذهاب مالٍ، أو مرضٍ لم تكن له حِسْبة[1]، ولم يرجُ ثوابًا في الآخرة، ولا أن يرجع إلى ما كان فيه من الرخاء ﴿ولئن أذقناه رحمة﴾ يعني: رخاء وعافية ﴿من بعد ضراء﴾ أي: شدّة ﴿مسته﴾ في ذهاب مالٍ، أو مرض ﴿ليقولن هذا لي﴾ أي: بعلمي، وأنا محقوق بهذا! ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أي: ليست بقائمة ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾ كما يقولون ﴿إن لي عنده للحسنى﴾ للجنة؛ إن كانت جنة.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ أي: تباعد ﴿وإذا مسّه الشر﴾ الضُر ﴿فذو دعاءٍ عريض﴾ أي: كبير.

﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ يعني: القرآن ﴿ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق﴾ في فراقٍ للنبي وما جاء به ﴿بعيدٌ﴾ من الحق، أي: لا أحد أضل منه.

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ قال الحسن: يعني: ما أهلك به

---

(١) في «ر»: حسنةٌ.

الأمم السّالفة في البلدان، فقد رأوا آثار ذلك ﴿وفي أنفسهم﴾ أخبر بأنهم تصيبهم البلايا، فكان ذلك كما قال فأظهره اللَّه عليهم، وابتلاهم بما ابتلاهم به.

قال يحيى: يعني: من الجوع بمكة، والسيف يوم بدر.

﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يعني: القرآن ﴿أو لم يكف بربك أنه على كل شيءٍ شهيد﴾ أي: شاهدٌ على كفرهم وأعمالهم، أي: بلى كفى به شهيدًا عليهم.

قال محمدٌ: المعنى: أو لم يكف [بربك][1].

﴿ألا إنهم في مرية﴾ في شكٍّ ﴿من لقاء ربهم﴾ يقولون: لا نبعث ولا نلقى اللَّه ﴿ألا إنه بكل شيءٍ محيط﴾ أحاط علمه بكل شيءٍ .

* * *

(١) من «ر»، ولعل المراد: أو لم يكفك ربُّك، والباء مزيدة في الفاعل. ينظر أصل هذا المعنى من الدر المصون (٦/ ٧١).

تفسير سورة «حم عسق»[١] وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ۝٦﴾

قوله: ﴿حم عسق﴾ قد مضى القول في حروف المعجم ﴿كذلك يوحي إليك﴾ أي: هكذا يوحي إليك ﴿وإلى الذين من قبلك﴾ من الأنبياء ﴿اللَّه العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿يكاد[٢] السموات يتفطرن﴾ أي: يتشققن ﴿من فوقهن﴾ يعني: من مخافة من فوقهن، وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها ﴿ينفَطِرْنَ من فوقهن﴾[٣].

﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ أي: من المؤمنين.

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يعني: آلهة يعبدونها من دون اللَّه ﴿اللَّه

(١) سورة الشورى.

(٢) في الأصل و«ر» ﴿يكاد﴾ بالياء، وهي قراء نافع والكسائي. ينظر: السبعة (٥٨٠)، النشر (٢/ ٣١٩)، التيسير (١٥٠)، جامع القرطبي (١٦/ ٤).

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وعاصم من رواية أبي بكر عنه. ولم أر من نسبها إلى ابن عباس إلا المصنِّف.

ينظر: الإتحاف (٣٨٢ - ٣٨٣)، التيسير (١٩٤)، الحجة لابن خالويه (٢٣٩ ، ٣١٨)، السبعة (٥٨٠) ، النشر (٢/ ٣١٩).

حفيظٌ عليهم﴾ أي: يحفظُ عليهم أعمالهم؛ حتى يجازيهم بها ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ بحفيظ تحاسبهم وتجازيهم بأعمالهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

﴿لتنذر أم القرى﴾ مكّة منها دُحِيتِ الأرضُ ﴿ومن حولها﴾ يعني: الآفاق كلها ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ يوم القيامة؛ يجتمع فيه الخلائق: أهل السمٰوات، وأهل الأرض ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ على الإيمان ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ يعني: في دينه؛ وهو الإسلام ﴿والظالمون﴾ المشركون ﴿ما لهم من ولي﴾ يمنعهم (ل٣١٠) من عذاب الله.

﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي: قد فعلوا ﴿فالله هو الولي﴾ يعني: الرب دون الأوثان ﴿وهو يحيي الموتى﴾ وأوثانهم لا تحيي الموتى.

﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾ يعني: ما اختلفتم[1] فيه من الكفر والإيمان ﴿فحكمه إلى الله﴾ فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار ﴿ذلكم الله ربي﴾ يقولوا للنبي عليه السلام قل لهم: ذلكم الله ربي.

قال محمدٌ: ذكر ابنُ مجاهد أن الياء ثابتة في ﴿ربي﴾ لأنها إضافة قال:

---

(١) في «ر»: ما اختلفوا.

ولمْ يختلف القراءُ في ثبوتها[1].

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًاۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ يعني: النساء.

﴿ومن الأنعام أزواجًا﴾ ذكرًا وأنثى، الواحد منها زوجٌ[2].

﴿يذرؤكم فيه﴾ أي: يخلقكم فيه نسلًا بعد نَسْل ﴿ليس كمثله شيءٌ﴾.

قال محمدٌ: هذه الكاف مؤكدة؛ المعنى: ليس مِثْلَه شيءٌ[3].

﴿له مقاليد﴾ مفاتيح؛ في تفسير قتادة.

﴿شرع لكم﴾[4] أي: فرض؛ في تفسير الحسن ﴿من الدين ما وصى به﴾ ما أمر به ﴿نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به﴾ أمرنا به ﴿إبراهيم وموسى

(١) أي: لأنها مضافة إلى ياء المتكلم، وهي قراءة العامة. ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٥١)، البيان (٢/ ٣٤٥)، البحر (٧/ ٥٠٩)، التبيان (١١٣١).

(٢) الزوج في اللغة: كل واحد معه آخر من جنسه والجمع: أزواج، وزوَجَة. لسان العرب، المعجم الوسيط (زوج).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٥٢)، البحر (٧/ ٥١٠)، مجمع البيان (٥/ ٢٤)، البيان (٢/ ٣٤٥).

(٤) إلى هنا انتهت المقابلة على نسخة المتحف البريطاني «ر»؛ حيث لم نعثر على بقية النسخة.

وعيسى أن أقيموا الدين﴾ يعني: الإسلام.

﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من عبادة اللَّه وترك عبادة الأوثان.

﴿اللَّه يجتبي إليه من يشاء﴾ أي: يختار لنفسه؛ يعني: الأنبياء ﴿ويهدي إليه﴾ إلى دينه ﴿من ينيب﴾ من يخلص له.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿وما تفرقوا﴾ يعني: أهل الكتاب ﴿إلا من بعد ما جآءهم العلم بغيًا بينهم﴾ أي: حسدًا فيما بينهم، أرادوا الدنيا ورخاءها؛ فغيّروا كتابهم، فأحلوا فيه ما شاءوا وحرموا ما شاءوا، فترأسوا على الناس يستأكلونهم؛ فاتبعوهم على ذلك.

قال محمدٌ: قوله: ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ المعنى إلا عن علم بأن الفرقة ضلالة، ولكنهم فعلوا ذلك بغيًا؛ أي: للبغي.

﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك إلى أجلٍ مسمى﴾ يعني: القيامة أُخروا إليها ﴿لقضي بينهم﴾ في الدنيا؛ فأَدْخَلَ المؤمنين الجنة، وأدخل الكافرين النار ﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ يعني: اليهود والنصارى من بعد أوائلهم ﴿لفي شك منه﴾ من القرآن ﴿مريبٌ﴾ من الريبة ﴿فلذلك﴾ لما شكوا فيه وارتابوا من الإسلام والقرآن ﴿فادع واستقم كما أمرت﴾ على الإسلام.

﴿وأُمرت لأعدل بينكم﴾ أي: لا نظلم منكم أحدًا ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾ تفسير مجاهد: لا خصومة بيننا وبينكم في الدنيا ﴿اللَّه يجمع بيننا﴾ يوم القيامة ﴿وإليه المصير﴾ المرْجع؛ نجتمع عنده فيجزينا ويجزيكم.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿والذين يحاجون في اللَّه﴾ يعني: المشركين؛ يحاجون المؤمنين ﴿من بعد ما استجيب له﴾ يعني: من بعد ما استجاب له المؤمنون ﴿حجتهم﴾ خصومتهم ﴿داحضة﴾ باطلة ﴿عند ربهم﴾ قال مجاهدٌ: طَمِع رجالٌ بأن تعُود الجاهلية.

﴿اللَّه الذي أنزل الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق والميزان﴾ يعني: العدل ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾.

قال محمدٌ: ﴿قريب﴾ يجوز أن يكون على معنى: لعل مجيءَ الساعة قريبٌ، وقد يكون بمعنى: لعل البعث قريب[1]. واللَّه أعلم بما أراد.

﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ استهزاءً وتكذيبًا ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ أي: خائفون ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ يكذبون بها ﴿لفي ضلالٍ بعيد﴾ من الحق.

---

(١) وقيل: ذكّر ﴿قريب﴾ في معنى الوقت، وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٦/ ٧٩)، البحر المحيط (٧/ ٥١٣ - ٥١٤).

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾

﴿اللَّه لطيفٌ بعباده﴾ أي: فبلطفه ورحمته خُلِقَ الكافر ورُزق وعوفي وأقبل وأدبر.

﴿من كان يريد حرث الآخرة﴾ يعني: العمل الصالح ﴿نزد له في حرثه﴾ وهو تضعيف الحسنات؛ في تفسير الحسن ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة﴾ يعني: في الجنة ﴿من نصيب﴾ وهو المشرك لا يريد إلا الدنيا وقوله: ﴿نؤته منها﴾ يعني: من الدنيا وليس كل ما أراد من الدنيا، لا (. . .)[1] يؤتى، كقوله: ﴿من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد﴾[2].

﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به اللَّه﴾ هذا على (ل٣١١) الاستفهام - أي: نعم لهم شركاء؛ يعني: الشياطين - جعلوهم شركاء فعبدوهم؛ لأنهم دعوهم إلى عبادة الأوثان ﴿ولولا كلمة الفصل﴾ لا يعذب بعذاب الآخرة في الدنيا ﴿لقضي بينهم﴾ فأدخل المؤمنين الجنة،

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) الإسراء: ١٨ .

وأدخل المشركين النار ﴿ترى الظالمين﴾ المشركين ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما كسبوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿وهو واقع بهم﴾ أي: الذي خافوا منه - من عذاب اللَّه.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ذلك الذي يبشر اللَّه عباده الذين آمنوا﴾ يبشرهم في الدنيا بروضات الجنات.

﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودَّة في القربى﴾ تفسير الحسن قال: إلا أن يتقربوا إلى اللَّه بالعمل الصالح.

قال يحيى: كقوله: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا﴾[1] بطاعته.

﴿ومن يقترف﴾ أي: يعمل ﴿حسنة نزد له فيها حسنًا﴾ يعني: تضعيف الحسنات ﴿إن اللَّه غفورٌ﴾ للذنب ﴿شكور﴾ للعمل ﴿أم يقولون افترى﴾ محمدٌ ﴿على اللَّه كذبًا﴾ أي: قد قالوه ﴿فإن يشأ اللَّه يختم على قلبك﴾

---

(١) الفرقان: ٥٧ .

فيذهب عنك النبوة التي أعطاكها، هذا على القدرة؛ ولا ينتزع منه النبوة ﴿ويمح اللَّه الباطل﴾ فلا يجعل لأهله في عاقبته خيرًا ﴿ويحق اللَّه الحق بكلماته﴾ فينصر النبي والمؤمنين.

قال محمدٌ: ﴿ويمحوا﴾ الوقوف عليها بواو وألف، المعنى: واللَّه يمحو الباطل على كل حالٍ، وكُتبت في المصحف بغير واو؛ لأن الواو تسقط في اللفظ؛ لالتقاء الساكنين على الوصل، ولفظ الواو ثابت(١).

﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ إذا تابوا.

﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ أي: يستجيبون لربهم يؤمنون به ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يعني: تضعيف الحسنات.

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولو بسط اللَّه الرزق . . .﴾ الآية.

يحيى: عن الخليل بن مُرّة أن عليًّا قال: «إن هذا الرزق يتنزَّل من السماء كقَطْر المطر إلى كل نفسٍ بما كتب اللَّه لها».

﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ المطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ يئسوا ﴿وينشر

---

(١) وقرأ بالوقف على ﴿يمح﴾ بالواو: يعقوب، وقنبل وابن شنبوذ. ينظر: إتحاف الفضلاء (٣٨٣).

رحمته﴾ وهو المطر ﴿وهو الولي الحميد﴾ الرب المستحمد إلى خلقه ﴿وهو على جمعهم إذا يشاء قدير﴾ يعني: أنه يجمعهم[١] يوم القيامة ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فبما عملت أيديكم ﴿ويعفو عن كثير﴾.

قال محمدٌ: قرأ يحيى ﴿فبما﴾ وأهل المدينة يقرءون ﴿بما﴾ بغير فاء[٢].

﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ يقوله للمشركين ما أنتم بسابقي اللَّه حتى لا يبعثكم ثم يعذبكم ﴿وما لكم من دون اللَّه من ولي﴾ يمنعكم من عذابه ﴿ولا نصير﴾ ينتصر لكم.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿ومن آياته الجوار﴾ السفن ﴿في البحر كالأعلام﴾ كالجبال.

قال محمدٌ: ذكر ابن مجاهد أن نافعًا قرأ ﴿الجواري﴾ بياء في الوصل وبغير ياء في الوقف[٣].

---

(١) أي: أن (على) في الآية بمعنى اللام.

(٢) قرأ نافع وابن عامر ﴿بما﴾، وقرأ الباقون ﴿فبما﴾.
ينظر: السبعة (٥٨١)، البحر (٧/ ٥١٨)، التيسير (١٩٥)، النشر (٢/ ٣٦٧).

(٣) قرأ ﴿الجواري﴾ وَصْلًا - نافع وأبو عمرو، وقرأها (الجواري) وصلًا ووقفًا نافع وابن كثير وأبو عمرو.
ينظر: البحر (٧/ ٥٢٠)، التيسير (١٩٥)، النشر (٢/ ٣٦٨)، السبعة (٥٨١).

﴿إن يشأ يسكن الرياح[1] فيظللن﴾ يعني: السفن ﴿رواكد﴾ سواكن ﴿على ظهره﴾ على ظهر البحر ﴿إن في ذلك لآياتٍ لكل صبَّارٍ شكور﴾ أي: لكل مؤمن ﴿أو يوبقهُنَّ﴾ يغرقْهُن؛ يعني: السفن ﴿بما كسبوا﴾ عملوا؛ يعني: أهل السفن.

﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ يجحدونها ﴿ما لهم من محيصٍ﴾ أي: ملجأ يلجئون إليه من عذاب اللَّه.

قال محمدٌ: يقال: حاص عن الشيء؛ أي: تنحّى عنه[2]، وتقرأ: ﴿ويعلمُ﴾ برفع الميم، وتقرأ بالنصْب، وقراءة نافع بالرفع[3].

﴿فما أوتيتم من شيءٍ﴾ يعني: المشركين ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ ينفد ويذهب ﴿وما عند اللَّه خيرٌ وأبقى﴾ يعني: الجنة .

﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾ أي: ويجتنبون الفواحش ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ يعني: يغفرون للمشركين، وهو منسوخ نسخه القتال، وصار ذلك العفو بين المؤمنين .

﴿والذين استجابوا لربِّهم﴾ أي: آمنوا ﴿وأقاموا الصلاة﴾ كانت الصلاة يوم نزلت هذه الآية ركعتين غدوة، وركعتين عشيَّةً قبل أن تفرض الصلوات الخمس ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ تفسير الحسن أي: يتشاورون في (. . .)[4]

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر ﴿الرياح﴾ بالجمع، وقرأ الباقون ﴿الريح﴾ بالإفراد. النشر (٢/ ٢٢٣) وإتحاف الفضلاء (٤٩٢).

(٢) يقال: حاص يَحِيص حَيْصًا وحَيَصَانًا ومَحِيصًا. لسان العرب (حيص).

(٣) قرأ نافع وابن عامر بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر: البحر (٧/ ٥٢١)، السبعة (٥٨١)، النشر (٢/ ٣٦٧).

(٤) كلمتان غير واضحتين في الأصل.

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ ولم يكن يومئذٍ شيء مؤقتًا.

(ل٣١٢) ﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾ إذا بغى عليهم المشركون فظلموهم ﴿هم ينتصرون﴾ بألسنتهم لم يكونوا أُمروا بقتالهم يومئذٍ .

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾﴾

﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ يعني: ما يسيء إليهم المشركون أن يفعلوا بهم ما يفعلون هم.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ فالأولى سيئة في اللفظ والمعنى، والثانية سيئة في اللفظ وعاملها ليس بمسيء ولكنها سميت سيئة؛ لأنها مجازاة لسوءٍ على مذهب العرب في تسمية الشيء باسْم الشيء إذا كان من سببه(١).

﴿فمن عفا وأصلح﴾ يقول: فمن ترك مظلمته ﴿فأجره﴾ ثوابه ﴿على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ المشركين ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ بعد ما ظُلِمَ ﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أي: من حجَّةٍ.

---

(١) وهو ما يعرف بالمُشَاكلة، وهو مبحثٌ من مباحث علم البديع، حيث يُذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صُحْبته، كقوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ التوبة: ٦٧ . وقوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ آل عمران: ٥٤ .

﴿إنما السبيل﴾ الحجة ﴿على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ يعني: بكفرهم وتكذيبهم ﴿أولئك لهم عذابٌ أليمٌ﴾ موجع ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ وهذا كله منسوخٌ فيما بينهم وبين المشركين نسخه القتال.

﴿فما له من ولي من بعده﴾ من بعد الله يمنعهم من عذاب الله ﴿وترى الظالمين﴾ المشركين ﴿لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد﴾ إلى الدنيا ﴿من سبيل﴾ فنؤمن .

﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ينظرون من طرف خفي﴾ أي: يسارقون النظر ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ خسروا أنفسهم أن يغنموها؛ فصاروا في النار، وخسروا أهليهم من الحور العين، وقد فسرناه في سورة الزمر[1] ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ إلى الهدى ﴿استجيبوا لربكم﴾ أي: آمنوا ﴿من قبل أن يأتي يومٌ

(١) عند قوله تعالى ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ الزمر: ١٥ .

لا مرد له﴾ يوم القيامة، أي: لا يرده أحدٌ بعد ما حكم اللَّه به وجعله أجلًا ووقتًا.

﴿وما لكم من نكير﴾ أي: نصير ﴿فإن أعرضوا﴾ أي: لمْ يؤمنوا.

﴿فما أرسلناك عليهم حفيظًا﴾ تحفظ عليهم أعمالهم؛ حتى تجازيهم بها ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ وليس عليك أن تكرههم وقد أمروا بقتالهم بعد.

﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان﴾ يعني: المشرك ﴿منا رحمة﴾ وهذه رحمة الدنيا، وما فيها من الرخاء والعافية ﴿فرح بها﴾ كقوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾[1] لا يقرون بالآخرة ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ من ذهاب مالٍ، أو مرضٍ ﴿بما قدمت﴾ عملت ﴿أيديهم فإن الإنسان كفورٌ﴾ يعني: المشرك ليس له صبرٌ على المصيبة ولا حسبة؛ لأنه لا يرجو ثواب الآخرة.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿يهب لمن يشاء إناثًا﴾ يعني: الجواري ﴿ويهب لمن يشاء الذكور أو

---

(١) الرعد: ٢٦.

يزوجهم﴾ يعني: يخلط بينهم.

قال محمدٌ: المعنى: يجعل بعضهم ذكورًا وبعضهم إناثًا؛ تقول العرب: زوجت إبلي إذا قرنت بعضها إلى بعض، وزوَّجت الصغار بالكبار إذا قرنت كبيرًا بصغير[1] وهو الذي أراد مجاهد.

﴿وما كان لبشرٍ أن يكلمه اللَّه إلا وَحْيًا أو من وراء حجاب﴾ فكان موسى ممّن كلمه اللَّه وراء حجاب ﴿أو يرسل رسولًا﴾ جبريل ﴿فيوحي بإذنه ما يشاء﴾.

قال محمدٌ: قيل ﴿إلا وحيًا﴾ يعني: إلهامًا، وتقرأ ﴿أو يرسلُ﴾ بالرفع والنصب؛ فمن قرأها بالنصب فالمعنى: ما كان لبشر أن يكلمه اللَّه إلا بأن يوحي أو أن يرسل، ومن قرأ بالرفع فالمعنى: أو هو يرسلُ[2].

﴿وكذلك أوحينا إليك روحًا﴾ يعني: القرآن ﴿من أمرنا﴾.

قال محمدٌ: معنى ﴿روحًا﴾ أي: ما يهتدي به الخَلْق؛ فيكون حياة [من الضلال][3].

﴿ما كنت تدري﴾ قبل أن نوحيه إليك ﴿ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه﴾ يعني: القرآن ﴿نورًا﴾ أي: ضياء من الظُّلْمة ﴿وإنك لتهدي﴾ لتدعو ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم صراط اللَّه﴾ طريق اللَّه ﴿ألا إلى اللَّه تصير الأمور﴾ يعني: أمور الخلائق.

* * *

(١) لسان العرب (زوج).

(٢) قرأ بالرفع نافع وابن عامر، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر: البحر (٧/ ٥٢٧)، السبعة (٥٨٢)، النشر (٢/ ٣٦٨)، التيسير (١٩٥).

(٣) غير واضحة في حاشية الأصل، ولعلها كما أثبتها.

تفسير سورة الزخرف وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿حم والكتاب المبين﴾ البيِّن وهذا قسمٌ ﴿إنا جعلناه﴾ يعني: القرآن ﴿قرآنًا عربيًّا لعلَّكم تعقلون﴾ لكي تعقلوا ﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿في أم الكتاب لدينا﴾ عندنا ﴿لعليٌّ﴾ رفيعٌ ﴿حكيم﴾ محكم، و﴿أم الكتاب﴾: (ل٣١٣) اللوح المحفوظ، وتفسير أم الكتاب: جملة الكتاب وأصله.

قال محمدٌ: ومعنى ﴿جعلناه﴾ بيَّناه، كذلك قال غير يحيى.

﴿أفنضرب عنكم الذكر﴾ يعني: القرآن ﴿صفحًا﴾ تفسير الكلبي يقول: أَنَذَرُ[1] الذِّكْرَ من أجلكم؟! ﴿أن كنتم قومًا مسرفين﴾ مشركين أي: لا نَذَرُه.

قال محمدٌ: تقرأ ﴿أن كنتم﴾ بالفتح وبالكسر، فمن فتح فالمعنى: لأن كنتم ومن كسر فعلى الاستقبال؛ المعنى: إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر[2].

ويقال: ضربْتُ عنه الذكر وأضربتُ بمعنى واحد إذا أمسكت[3]. وقوله:

---

(١) أي: أنترك. لسان العرب (وذر).

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي بالكسر، وقرأ الباقون بالفتح. ينظر: السبعة (٥٨٤)، البحر (٨/ ٦)، التيسير (١٩٥)، النشر (٢/ ٣٦٨).

(٣) لسان العرب (ضرب، صفح).

﴿صفحًا﴾ أي: إعراضًا يقال: صفحت عن فلانٍ أي: أعرضت عنه، والأصل في ذلك أنك توليه صفحة عنقك[1].

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾

﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾ أي: كثيرًا ﴿فأهلكنا أشدّ منهم بطشًا﴾ يعني: أشدّ من مشركي العرب قوة ﴿ومضى مثل الأولين﴾ يعني: وقائعه في الأمم السَّالفة بتكذيبهم رسلهم ﴿ولئن سألتهم﴾ يعني: المشركين ﴿من خلق السمٰوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ ثم قال: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهادًا﴾ أي: بساطًا وفراشًا ﴿وجعل لكم فيها سبلًا﴾ طرقًا ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا الطرق.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾

﴿والذي نزَّل من السماء ماءً بقدر﴾.

يحيى: عن عاصم بن حكيم، عن سليمان التيمي، عن الحسن بن مسلم،

---

(١) يقال: صَفَحَ عنه يَصْفَحُ صَفْحًا: أعرض. وصفحة العنق: جانبه. لسان العرب (صفح).

عن ابن عباسٍ قال: «ما عامٌ بأكثر مطرًا من عامٍ - أو قال: ماءً - ولكن اللَّه يصرفه حيث يشاء»[1].

﴿فأنشرنا به﴾ يعني: فأحيينا به ﴿بلدة ميتًا﴾ اليابسة التي ليس فيها نبات ﴿كذلك تخرجون﴾ يعني: البعث يرسل اللَّه مطرًا منيًا؛ كمني الرجال فتنبت به جسمانهم ولحمانهم؛ كما ينبت الأرض الثرى ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ تفسير الحسن: يعني: الشتاء والصّيف، والليل والنهار، والسماء والأرض، وكل اثنين، فالواحد منهما زوج.

قال محمدٌ: وقيل: معنى الأزواج: الأصناف، تقول: عندي من كل زوجٍ أي: من كل صنف.

﴿وجعل لكم﴾ أي: خلق لكم ﴿من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره﴾ ظهور ما سخر لكم؛ أي: تركبوه.

﴿وما كنا له مقرنين﴾ يعني: مطيقين، قال: تقول: أنا مقرنٌ لك؛ أي مطيقٌ لك؛ وقيل: إن اشتقاق اللفظة من قولهم: أنا قِرْنٌ لفلان إذا كنت مثله في الشدة، فإذا أردت السنّ قلت: قَرْنُه بفتح القاف[2].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٧٠٦ رقم ١٥٢٤٧) والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٢) وابن أبي الدنيا في المطر (٦٧ - ٦٨ رقم ٢٤، ١٠١ رقم ٧٥) والحاكم (٢/ ٤٠٣) والبيهقي (٣/ ٣٦٣) من طرق عن سليمان التيمي، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

قلت: زادوا في الإسناد: «سعيد بن جبير» والحسن بن مسلم هو ابن يناق المكي يروي عن سعيد بن جبير ونحوه، ولم يذكر له المزي في التهذيب (٦/ ٣٢٥) رواية عن ابن عباس، واللَّه أعلم.

(٢) ينظر لسان العرب (قرن).

قال قتادة: قد بيَّن اللَّه لكم ما تقولون إذا ركبتم في البر، وما تقولون إذا ركبتم في البحر؛ إذا ركبتم في البر قلتم: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ وإذا ركبتم في البحر قلتم: ﴿بسم اللَّه مجراها ومرساها. . . ﴾[١] الآية.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن أيوب بن موسى، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة «أن رسول اللَّه ﷺ كان يقول: إذا ركب راحلته: بسم اللَّه اللَّهم ازْوِ لنا[٢] الأرض وهَوِّن علينا السَّفَر، اللَّهم أنت الصاحبُ في السفر والخليفةُ في الأهل، اللَّهم إنا نعوذُ بك من وَعْثَاء السفر[٣] وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال»[٤].

---

(١) هود: ٤١ .

(٢) أي: اقبض واجمع. لسان العرب (زوى).

(٣) أي: شدته ومشقته، وأصله من الوَعْثِ، وهو الرمل، والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق، يقال: رملٌ أوْعث، ورملة وعثاء. النهاية (٥/ ٢٠٦).

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٣٣) وأبو داود (٣/ ٢٥٥ رقم ٢٥٩١) والنسائي في الكبرى (٦/ ١٢٨رقم ١٠٣٣٤) والطبراني في الدعاء (٢٥٦ رقم ٨٠٨) والبيهقي في الدعوات الكبير (٢/ ١٦٨ رقم ٣٩٩) وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٥٦ - ٣٥٧) من طريق محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، ليس فيه «بسم اللَّه».
وورواه الإمام أحمد (٢/ ٤٠١) والترمذي (٥/ ٤٦٣ رقم ٣٤٣٨) والنسائي (٨/ ٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ٥٥١٦) والطبراني في الدعاء (٢٥٦ رقم ٨٠٧) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٣٥ رقم ٤٩٨) والحاكم (٢/ ٩٩) وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٥٤) من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه .
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وذكره الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٧٤٤ رقم ٣٤) بلاغًا عن النبي ﷺ مثل حديث الكتاب.
قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٥٢): وهذا يستند من وجوهٍ صحاح من حديث عبد اللَّه ابن سرجس، ومن حديث أبي هريرة، وحديث ابن عمر، وغيرهم. اهـ.
قلت: رواه مسلم (٢/ ٩٧٨ رقم ١٣٤٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه.
وورواه مسلم (٢/ ٩٧٩ رقم ١٣٤٣) عن عبد اللَّه بن سرجس رضي الله عنه بنحوه.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وجعلوا له﴾ يعني: المشركين ﴿من عباده جزءًا﴾ قال مجاهد: يعني: الملائكة حيث جعلوهم بنات اللَّه ﴿إن الإنسان لكفورٌ مبين﴾ يعني: الكافر ﴿أم اتخذ مما يخلق بناتٍ﴾ على الاستفهام ﴿وأصفاكم بالبنين﴾ أي: لَمْ يفعل ﴿وإذا بُشِّر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلًا﴾ أي: بالأنثى لما كانوا يقولون أن الملائكة بنات اللَّه؛ فألحقوا البنات به، فيقتلون بناتهم ﴿ظل وجهه مسودًا﴾ أي: مغيَّرًا ﴿وهو كظيم﴾ يعني: كُظِم على الغيظ والحزن، أي: رضوا للَّه ما كرهوا لأنفسهم.

قال محمدٌ: الكظم أصله في اللغة: الحَبْسُ[1].

﴿أو من ينشَّأ في الحلية﴾ وهذا تبعٌ للكلام الأول ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ يقول: أتتخذ من ينشأ في الحُلى - يعني: النساء - بنات؟! ﴿وهو في الخصام﴾ الخصومة.

﴿غير مبين﴾ أي: لا تبين عن نفسها من ضعفها (ل٣١٤) ﴿وأصفاكم

(١) لسان العرب (كظم).

بالبنين﴾ أي: لم يفعل ﴿وجعلوا الملائكة﴾ قال السدي: يعني: وصفوا.

قال محمدٌ: الجعل ها هنا في معنى القول، والحكم تقول: جعلت فلانًا أعلم الناس؛ أي: قد وصفته بذلك وحكمت به(١).

﴿الذين هم عند(٢) الرحمن إناثًا﴾، كقوله: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾(٣) وقرأ ابن عباس: ﴿الذين هم عباد الرحمن﴾ كقوله سبحانه: ﴿بل عبادٌ مكرمون﴾(٤) ﴿أشهدوا خلقهم﴾ أي: أنهم لم يشهدوا خلقهم ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ عنها يوم القيامة ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ أي: لو كره اللَّه هذا الدين الذي نحن عليه لحوَّلنا عنه إلى غيره، ولكنَّ اللَّه لمْ يكرهه. قال اللَّه: ﴿ما لهم به من علمٍ﴾ بأني أمرت أن يعبدوا غيري، إنما قالوا ذلك على الشك والظن.

﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿أم آتيناهم كتابًا من قبله﴾ من قبل القرآن فيه ما يدّعون من قولهم أن الملائكة بنات اللَّه [وقولهم](٥): لو كره اللَّه ما نحن عليه لحوَّلنا عنه إلى غيره

---

(١) ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (جعل).

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر ويعقوب ﴿عند﴾ بنون ساكنة وفتح الدال من غير ألف على أنه ظرف، وقرأ الباقون ﴿عباد﴾ بالباء وألف بعدها ورفع الدال، جمع عبد. النشر (٢/ ٣٦٨) وإتحاف الفضلاء (٤٩٤).

(٣) الأنبياء: ١٩ .

(٤) الأنبياء: ٢٦ .

(٥) في الأصل: وقوله .

﴿فهم﴾ بذلك الكتاب ﴿مستمسكون﴾ يحاجوننا به أي: لم نؤتهم كتابًا فيه ما يقولون ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ ملة، وهي ملّة الشرك ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ أي: أنهم كانوا على هدى ونحن نتبعهم على ذلك الهدى، قال الله: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير﴾ نبي ينذرهم العذاب ﴿إلا قال مترفوها﴾ وهم أهل السُّمعَة[1] والقادة في الشرك ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾ أي: أنهم كانوا مهتدين فنحن نقتدي بهداهم.

﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قال الله للنبي عليه السلام: ﴿قل[2] أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ ثم رجع إلى قصة الأمم، فأخبر بما قالوا لأنبيائهم ﴿قالوا﴾ لهم: ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾.

قال محمدٌ: قوله: ﴿قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ المعنى: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه؟!

﴿فانتقمنا منهم﴾ يعني: الذين كذبوا رسلهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة

(١) أي: أهل الشهرة والصِّيت.
(٢) قرأ ابن عامر وحفص ﴿قال﴾ على الخبر، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ على الأمر. النشر (٢/ ٣٦٩) وإتحاف الفضلاء (٤٩٥).

المكذبين﴾ أي: كان عاقبتهم أن دمَّر اللَّه عليهم ثم صيرهم إلى النار ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني﴾ لكن أعبد الذي فطرني: خلقني ﴿فإنه سيهدين﴾ أي: يثبيني على الإيمان.

قال محمدٌ: قوله ﴿براءُ﴾ بمعنى بريءٌ، والعرب تقول للواحد منها: أنا البراءُ منك، وكذلك الاثنان والجماعة، والذكر والأنثى يقولون: نحن البراء منك، والْخَلاء منك، لا يقولون: نحن البراآن منك ولا نحن البراءون منك، المعنى: أنا ذو البراء منك، ونحن ذوو البراء منك، كما تقول: رجلٌ عَدْلٌ، وامرأةٌ عدلٌ، وقوم عَدْلٌ؛ المعنى: ذو عدل، و[ذات][1] عدل هذا أفصح اللغات.

﴿وجعلها كلمة﴾ يعني: لا إله إلا اللَّه ﴿باقية في عقبه﴾ تفسير مجاهد: في ولده ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكي يرجعوا إلى الإيمان ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم﴾ يعني: قريشًا لم أعذبهم ﴿حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ محمد عليه السلام.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿نُزِّل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم﴾ القريتين: مكة والطائف أي لو كان هذا القرآن حقًّا لكان هذان الرجلان أحق

---

(١) في الأصل: ذوات. والصواب ما أثبتنا؛ لأنه يعود على قوله: (وامرأة عدل)؛ حيث يقال: هو ذو عدل وهي ذات عدل، وهم ذوو عدل، وهن ذوات عدل.

به منك يا محمد؛ يعنون: الوليد بن المغيرة المخزومي وأبا مسعود الثقفيّ؛ في تفسير قتادة.

قال محمدٌ: ﴿على رجل من القريتين﴾ المعنى: على رجل من رَجُلَيِ القريتين عظيم.

قال اللَّه: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ يعني: النبوة؛ أي: ليس ذلك في أيديهم فيضعون النبوة حيث شاءوا ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات﴾ في الرزق ﴿ليتخذ بعضهم بعضًا سُخريًا﴾ أي: يملك بعضهم من باب السُّخرة[1] ﴿ورحمة ربك﴾ النبوة ﴿خير مما يجمعون﴾ خير مما يجمع المشركون من الدنيا.

قال محمدٌ: المعنى: فكما فضلنا بعضهم على بعضٍ في الرزق وفي المنزلة كذلك (ل٣١٥) اصطفينا للرسالة من نشاء.

﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ تفسير الحسن: لولا أن تجتمعوا على الكفر.

﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفًا من فضة ومعارج عليها﴾ أي: درج ﴿عليها يظهرون﴾ أي: يرقون إلى ظهور بيوتهم .

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥) وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ

(١) وينظر في ذلك قول ابن أبي زمنين عند تفسير سورة المؤمنون الآية (١١٠).

ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿ولبيوتهم﴾ أي: لجعلنا لبيوتهم ﴿أبوابًا﴾ من فضة ﴿وسررًا﴾[(١)] من فضة ﴿عليها يتكئون وزخرفًا﴾ والزخرف: الذهب ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا﴾ يُسْتَمتع به ثم يذهب ﴿والآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿عند ربك للمتقين﴾.

قال محمدٌ: واحدُ المعارج: مَعْرَجٌ [(٢)]، ويقال: ظهرت على البيت إذا علوت سطحه[(٣)].

﴿ومن يعش عن ذكر﴾ أي: ومن يعم عن ذكر ﴿الرحمن﴾ أي: المشرك.

قال محمدٌ: قراءة يحيى ﴿يعْشَ﴾ بفتح الشين، ومن قرأ ﴿يعشُ﴾ بضم الشين[(٤)] فالمعنى: ومن يعرض عن ذكر الرحمن، هذا قول الزّجاج، قال ابن قُتَيْبَةَ المعني: يظلم بصره كقوله: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكري﴾[(٥)] قال: والعرب تقول: عشوت إلى النار؛ إذا استدللت إليها ببصر ضعيف[(٦)]، وأنشد للحُطيْئة[(٧)]:

---

(١) في الأصل (وسرر).

(٢) قال الأخفش: إن شئت جعلت الواحد مِعْرج ومَعْرج بكسر المميم وفتحها. وواحد المعارج أيضًا: معراج. لسان العرب، مختار الصحاح (عرج).

(٣) ينظر لسان العرب (ظهر).

(٤) قراءة الضم هي قراءة العامة، وقرأ بالفتح يحيى بن سلام، وعكرمة وابن عباس، ينظر البحر (٨/ ١٦)، الجامع للقرطبي (١٦/ ٨٩).

(٥) الكهف: ١٠١ .

(٦) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (عشو).

(٧) هو جرول بن أوس بن مالك العبسي شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، لم يكد يسلم من هجائه أحد، حتى هجا أباه وأمه ونفسه. توفي نحو (٤٥ هـ). تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (٢/ ١١٨).

متى تأته تعْشو إلى ضوْء ناره تَجِد خير نارٍ عندها خيْرُ مُوقِدِ[١]

قوله: ﴿وإنهم ليصدونهم عن السبيل﴾ سبيل الهدى ﴿حتى إذا جاءنا﴾ يعني: هو وقرينه: شيطانه ﴿قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن أبي مسعودٍ الجُرَيْري[٢] قال: «إن الكافر إذا خرج من قبره، وجد عند رأسه شيطانه، فيأخذ بيده فيقول: أنا قرينك حتى أدخل أنا وأنت جهنم».

قال محمدٌ: عند ذلك يقول: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين!

قال محمدٌ: قيل: معنى المشرقين ها هنا المشرق والمغرب؛ كما قالوا: سُنَّة العمرين؛ يراد أبو بكر وعمر[٣]، ومثل هذا من الشعر:

لنا قمراها والنجوم الطوالع[٤]

---

(١) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان الحُطيئة (٥١)، مجالس ثعلب (٤٦٧) المقتضب (٢/ ٦٣)، ابن الشجري (٢/ ٢٧٨)، وشواهد العيني (٤/ ٤٣٩).
ونسب هذا البيت في نهاية الأرب (٣/ ٢١٨) للشماخ، غير أن محقق ديوان الشماخ ردَّ هذه النسبة، ينظر الديوان (٤٣٦).

(٢) بعدها في الأصل: «عن» ثم كلمة غير واضحة، والأثر رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩٦) والطبري في تفسيره (٢٥/ ٧٤ - ٧٥) من طريق معمر عن سعيد الجريري - وهو أبو مسعود - قال: «بلغنا أن الكافر ...» فذكره.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٠) لابن المنذر في تفسيره أيضًا.

(٣) وهو ما يعرف بالتغليب، تقول: القمران وتريد الشمس والقمر، وتقول: الأبوان، وتريد الأب والأم، وتقول: العمران، وتريد أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (غلب).

(٤) هذا عجز بيت للفرزدق، وصدره: أخذنا بآفاق السماء عليكم. وهو من بحر الطويل ينظر: ديوانه (٤١٩)، المقتضب (٤/ ٢٢٦)، مجالس العلماء (٣١)، ابن الشجري (١/ ١٤)، (٢/ ١٦٠).

يريد: الشمس والقمر.

قوله: ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم﴾ إذ أشركتم ﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾ يقرن هو وشيطانه في سلسلة واحدة، يتبرأ كل واحدٍ منهما من صاحبه، ويلعن كل واحدٍ منهما صاحبه.

قال محمد: ذكر محمد بن يزيد المبرِّد أن معنى هذه الآية: أنهم مُنِعُوا روحَ التأسِّي؛ لأن التأسِّي يُسَهِّل المصيبة، فأعلموا أنه لا ينفعهم الاشتراك في العذاب. وأنشد للخنساء:

ولولا كثرةُ الباكين حولي على إخوانهم لقتلتُ نَفْسي

فما يبكون مثلَ أخي ولكن أُعزِّي النفس عنه بالتأسِّي[1]

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله: ﴿أفأنت تسمع الصُم﴾ يعني: النبي، تسمع الصم عن الهدى ﴿أو تهدي العُمْي﴾ عن العمى، يقوله على الاستفهام، أي: أنك لا تسمعهم ولا تهديهم يعني: من لا يؤمن.

(١) ينظر ديوان الخنساء (٨٧)، القرطبي (١٦/ ٩١).

﴿فإما نذهبن بك...﴾ أي: نتوفينك إلى قوله: ﴿مقتدرون﴾ أنزل اللَّه آيات في المشركين هذه وأشباهها مما وعدهم به من العذاب؛ فكان بعض ذلك يوم بدر، وبعضه يكون مع قيام الساعة بالنفخة الأولى؛ بها يكون هلاك كفار آخر هذه الأمة.

﴿فاستمسك بالذي أوحي إليك﴾ القرآن ﴿إنك على صراطٍ مستقيم﴾ وهو الإسلام.

﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ يعني: قريشًا، أي شرفٌ لك ولقومك ﴿وسوف تُسألون﴾ يوم القيامة، قال بعضهم: عن أداء شكره.

﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسُلنا﴾ تفسير بعضهم: كان هذا ليلة أُسري به.

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملإه﴾ يعني: قومه.

﴿إذا هم منها يضحكون﴾ استهزاءً وتكذيبًا.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ تفسير الحسن: كانت اليدُ أكبر من العصا ﴿وأخذناهم بالعذاب لعلهم﴾ لعل مَنْ بعدهم ممّن كان على دينهم من الكفار ﴿يرجعون﴾ إلى الإيمان ﴿وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك﴾ سَلْ لنا ربك ﴿بما عهد عندك﴾ فيمن آمن ممن كشف العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ (ل٣١٦) أي: ينقضون عهدهم.

﴿ونادى فرعون في قومه﴾ حين جاءه موسى يدعوه إلى الله ﴿قال يا قوم أليس لي ملك مصرَ وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ أي: في ملكي ﴿أفلا تبصرون﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿أم أنا خيرٌ﴾ أي: بل أنا خيرٌ ﴿من هذا الذي هو مهين﴾ ضعيف ﴿ولا يكاد يبين﴾ يعني: العقدة التي كانت في لسانه من الجمرة التي ألقاها في فيه وهو صغير حين تناول لحية فرعون، وقد ذكرنا ذلك قبل هذا[(١)] ﴿فلولا﴾ فهلّا، يقوله فرعون ﴿ألقي عليه﴾ على موسى ﴿أساورةٌ[(٢)] من ذهب﴾ تفسير الحسن: مالٌ من الذهب.

قال محمدٌ: قيل: أَساورة جمعُ: أَسْوِرَة[(٣)].

﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ يمشون جميعًا عيانًا يصدقونه بمقالته بأنه رسول الله.

﴿فلما آسفونا﴾ أغضبونا ﴿فجعلناهم سلفًا ومثلًا﴾ قال مجاهد: يقول: جعلنا كفارهم سلفًا لكفار أمة محمد ﴿ومثلًا للآخِرين﴾ أي: عبرة لمن بعدهم.

---

(١) في تفسير سورة طه عند قوله ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ الآية: ٢٧ .

(٢) قرأ حفص ﴿أَسْوِرَةٌ﴾ بإسكان السين من غير ألف، وقرأ باقي السبعة ﴿أَسَاوِرَة﴾ بفتح السين وبعدها ألف. ينظر السبعة (٥٨٧)، النشر (٢/ ٣٦٩)، القرطبي (١٦/ ١٠٠).

(٣) المفرد: سِوَار، وجمعه: أَسْوِرة، وجمع الجمع: أَسَاوِرة. وقيل: (أساورة) جمع (أساور). وقال أبو عمرو: واحدها إِسْوَار. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (سور).

قال محمدٌ: ومعنى ﴿سلفًا﴾ أي: قدمًا تقدَّموا؛ في قراءة من قرأها بفتح السين واللام[١].

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿ولما ضُرب ابن مريم مثلًا إذا قومك منه يَصِدُّون﴾ أي: يضحكون؛ في قراءة من قرأها بكسْر الصاد، ومن قرأها برفعها ﴿يصُدُّون﴾ فهو من الصدود؛ أي: يفرون[٢].

تفسير الكلبي: «لما نزلت: ﴿إنكم وما تعبدون من دون اللَّه حصب جهنم أنتم لها واردون﴾[٣] قام رسول اللَّه مقابل باب الكعبة، ثم اقترأ هذه الآية، فوجَد منها أهل مكة وجدًا شديدًا؛ فدخل عليهم ابن الزِّبَعْرَى الشاعر وقريش يخوضون في ذكر هذه الآية، فقال: أمحمدٌ تكلم بهذه؟! قالوا: نعم، قال: واللَّه إن اعترف لي بهذا لأَخْصُمَنَّه، فلقيه فقال: يا محمد، أرأيت الآية التي قرأت آنفًا، أفينا وفي آلهتنا نزلت خاصَّة أم في الأمم وآلهتهم؟ قال: لا؛ بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم. فقال: خصمتُك وربِّ الكعبة! أليس تُثْنِي على عيسى ومريم والملائكة خيرًا، وقد علمت أن النصارى تعبد عيسى

---

(١) وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي، فقد قرآ ﴿سُلُفًا﴾. ينظر: البحر (٨/ ٢٣ - ٢٤)، السبعة (٥٨٧)، التيسير (١٩٧)، النشر (٢/ ٣٦٩)، القرطبي (١٦/ ١٠٢).

(٢) قرأ بضم الصاد نافع وابن عامر والكسائي، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: السبعة (٥٨٧)، البحر (٨/ ٢٥)، التيسير (١٩٧)، النشر (٢/ ٣٦٩)، القرطبي (١٦/ ١٠٣).

(٣) الأنبياء: ٩٨ .

وأمّه، وأن طائفة من الناس يعبدون الملائكة، أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار؟! فسكت رسول اللَّه وضحكت قريش وضجُّوا، وقالوا: ﴿ءَأَلهتنا خيرٌ أم هو﴾ يعنون عيسى. قال اللَّه للنبي ﷺ ﴿ما ضربوه لك إلا جدلًا﴾ وأنزل في عيسى وأمه والملائكة ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾»[١].

وقد مضى تفسير هذا[٢].

قال محمدٌ: قوله ﴿إلا جدلًا﴾ أي: طلبًا للمجادلة، يقال: جَدِلَ الرجل جَدَلًا فهو صاحب جَدَلٍ[٣].

﴿إن هو إلا عبدٌ أنعمنا عليه﴾ بالنبوة؛ يعني: عيسى ﴿وجعلناه مثلًا﴾ يعني: عبرة ﴿لبني إسرائيل﴾ تفسير مجاهد: جعله اللَّه عبرةً لهم بما كان يصنع من تلك الآيات، مما يبرئ الأكمه والأبرص ومما علمه اللَّه.

﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ أي: يعمرون الأرض بدلًا منكم.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى

---

(١) وقد رُوي هذا الحديث من طرق عن ابن عباس، انظر تخريج الكشاف (٢/ ٣٦٩ - ٣٧١ رقم ٨٠٥) والدر المنثور (٤/ ٣٧١ - ٣٧٢).

(٢) في تفسير سورة الأنبياء، الآيات: ١٠١ - ١٠٣.

(٣) يقال: جَدِل الرجل يَجْدَل جَدَلًا: اشتدت خصومته، فهو جَدِلٌ ومِجْدَل، ومِجْدَال، لسان العرب (جدل).

وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وإنه لعلمٌ للساعة﴾ رجع إلى ذكر عيسى، قال قتادة: يعني: نزول عيسى ﴿فلا تمترن بها﴾ لا تشكن فيها.

قال محمدٌ: قوله: ﴿لعِلمٌ للساعة﴾ في قراءة من قرأ بكسر العين[1]، المعنى: نزوله؛ يُعْلَم به قرب الساعة.

قوله: ﴿واتبعون هذا صراط مستقيم﴾ وهو الإسلام ﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبيِّن لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ يعني: من تبديلهم التوراة، وكان من البينات إحياؤه الموتى بإذن اللَّه وإبراؤه الأكمه والأبرص، وما كان يخبرهم به مما كانوا يأكلون ويدَّخرون في بيوتهم، ومن البيِّنات التي جاء بها أيضًا: الإنجيل؛ فيه ما أُمروا به ونهوا عنه، قال: ﴿فاتقوا اللَّه وأطيعون﴾ يقوله عيسى لهم ﴿إن اللَّه هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ يعني: الإسلام ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني: النصارى.

قال قتادة: «ذُكر لنا أنه لما رُفع عيسى انتخبت بنو إسرائيل أَربعة من فقهائهم فقالوا للأول: ما تقول في عيسى؟ قال: هو اللَّه هبط إلى الأرض، فخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صعد إلى السماء. فتابعه على ذلك أناس (ل٣١٧) فكانت اليعقوبية من النصارى، فقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذبٌ! فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ فقال: هو ابن اللَّه فتابعه على ذلك

---

(١) وهي قراءة العامة. ينظر: البحر (٨/ ٢٦)، جامع القرطبي (١٦/ ١٠٥).

أناسٌ، فكانت النسطورية من النصارى، فقال الاثنان الآخران: نشهد إنك كاذبٌ! فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ فقال: هو إله وأمه إله والله إله. فتابعه على ذلك أناسٌ من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذبٌ! ولكنه عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه. فاختصم القوم، فقال المسلمُ: أنشدكم الله، هل تعلمون أن عيسى كان يَطعِم الطعام، وأن الله لا يَطعم الطعام؟! قالوا: اللَّهمّ نعَمْ. قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام، وأن الله لا ينام؟! قالوا: اللَّهمَّ نعم. فخصمهم المسلم؛ فاقتتل القوم، فذُكر لنا أن اليعقوبيّة ظهرت يومئذ وأصيب المسلم»[1].

قال الله: ﴿فويل للذين ظلموا... ﴾ أشركوا، الآية.

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعضٍ عدوٌّ إلا المتقين﴾ استثنى من الأخلاء المتقين، فقال: إلا المتقين منهم؛ فإنهم ليسوا بأعداء بعضُهم لبعض ﴿يا

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٦/ ٨٥ - ٨٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٨) عن معمر عن قتادة بنحوه.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٩٨) لابن أبي حاتم أيضًا.
وروى النسائي في الكبرى (٦/ ٤٨٩ - ٤٩٠ رقم ١١٥٩١) والطبري في تفسيره (٢٨/ ٩٢) عن ابن عباس نحوه.

عبادي لا خوفٌ عليكم اليوم﴾ يقوله يوم القيامة .

قال محمدٌ: تقرأ ﴿يا عبادي﴾ بإثبات الياء وحذفها، وقد تقدم القول في مثل هذا[١] .

﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ يعني: وحلائلكم ﴿تحبرون﴾ تكرمون.

قال محمدٌ: الحَبْرة في كلام العرب المبالغة في الإكرام، والحَبْرة أيضًا المبالغة فيما وصف بالجمال[٢] .

﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ يطوف على أدناهم منزلةً سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب، يُغْدى عليه[٣] بها، في كل واحدةٍ منها لون ليس في صاحبتها؛ يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضُه بعضًا، ويراح عليه بمثلها، ويطوف على أرفعهم منزلة كل يوم سبعمائة ألف غلام، مع كل غلام سبعمائة ألف صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، ولا يشبه بعضه بعضًا، قال: ﴿وأكواب﴾ أي: ويطاف عليهم بأكواب، قال قتادة: الكوب: المدوَّر القصير العنق القصير العروة، والإبريق الطويل العنق الطويل العروة[٤] ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس﴾ ما خطر على بالهم من شيءٍ أتاهم من غير أن

---

(١) ينظر سورة الزمر، آية: ٥٣ .

(٢) وهو أيضًا: الحِبْر. قال الأصمعي: هو الجمال والبهاء وأثر النعمة. لسان العرب، مختار الصحاح (حبر).

(٣) أي: على أدناهم.

(٤) وقيل: الكوب: هو الكُوز الذي لا عُرْوَةَ له، ويجمع على أكواب وأَكْوُب، والإبريق فارسي معرب. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (برق، كوب).

يدعوا به، وإن أحدهم ليكون في فمه الطعام، فيخطر على باله طعامٌ غيره، فيتحول ذلك الطعام في فيه.

قال محمدٌ: تقرأ (تشتهي) و(تشتهيه) بإثبات الهاء، وأكثر المصاحف بغير هاء، وفي بعضها الهاء. ذكره الزَّجَّاج[1].

﴿وتلك الجنة﴾ التي وصف ﴿أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ على قدر أعمالهم، ورَّث اللَّه المؤمنين منازل الكفار التي أُعدت لهم لو آمنوا مع منازلهم، وهي مثل التي في المؤمنين ﴿أولئك هم الوراثون﴾[2].

﴿لكم فيها فاكهة كثيرة﴾.

يحيى: عن عثمان، عن نعيم بن عبد اللَّه، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم مُتَّكئون على فرشهم فما تصل إلى فيِّ أحدهم؛ حتى يبدل اللَّه مكانها أخرى»[3].

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿إن المجرمين﴾ المشركين ﴿في عذاب جهنم خالدون لا يُفتر عنهم﴾

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص ﴿تشتهيه﴾ وقرأ الباقون ﴿تشتهي﴾. ينظر: السبعة (٥٨٩)، النشر (٢/ ٣٧٠)، التيسير (١٩٧)، البحر (٨/ ٢٦).

(٢) المؤمنون: ١٠ .

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق، وانظر صفة الجنة لأبي نعيم (٢/ ١٨٥ رقم ٣٤٥) وتخريج الكشاف للزيلعي (١/ ٥٥ رقم ٣٣).

العذاب ﴿وهم فيه مبلسون﴾ يائسون من أن يخرجوا منها، قال: ﴿وما ظلمناهم﴾ يعني: كفار الأمم كلها؛ فنعذبهم في الآخرة بغير ذنب ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ لأنفسهم بكفرهم.

قال محمدٌ: ﴿هم الظالمين﴾ هم ها هنا صلة؛ فلا موضع لها في الإعراب[1].

﴿ونادَوْا يا مالك﴾ وهو خازن النار مَلَكٌ من الملائكة (. . .)[2] ﴿ليقض علينا ربك﴾ (ل٣١٨) أي: يميتنا، يدعون مالكًا؛ فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة، ثم يكون جواب مالك إياهم: ﴿إنكم ماكثون﴾.

﴿لقد جئناكم بالحق﴾ بالقرآن؛ يقوله للأحياء ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ يعني: من لا يؤمن ﴿أم أبرموا أمرًا﴾ كادوا كيدًا بمحمدٍ ﴿فإنا مبرمون﴾ كائدون لهم بالعذاب، وذلك ما كانوا اجتمعوا له في دار الندوة في أمر النبي ﷺ في قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا . . .﴾[3] الآية، وقد مضى تفسير ذلك في سورة الأنفال.

﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ ما كانوا يتناجون فيه من أمر النبي ﴿بلى ورسلنا﴾ (الملائكة)[4] الحفظة ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ أعمالهم.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۝٨١ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ

---

(١) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٦/ ١٠٧).

(٢) طمس في الأصل نحو نصف سطر.

(٣) الأنفال: ٣٠.

(٤) مشتبهة في الأصل، ولعلها كما أثبته.

ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿قل إن كان للرحمن ولدٌ﴾ أي: ما كان للرحمن ولدٌ، ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿فأنا أول العابدين﴾ تفسير بعضهم: فأنا أول الدائنين من هذه الأمة بأنه ليس له ولدٌ.

﴿سبحان رب السمٰوات والأرض﴾ ينزِّه نفسه ﴿ربِّ العرش عما يصفون﴾ عما يكذبون.

﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا﴾ فقد أقمت عليهم الحجة ﴿حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾ يوم القيامة، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم.

﴿وهو الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ﴾ هو إله أهل السماء، وإله أهل الأرض ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿العليم﴾ بخلقه.

قال محمدٌ: المعنى: هو المُوَحَّدُ في السماء وفي الأرض؛ وإليه ذهب يحيى.

﴿وعنده علم الساعة﴾ علم مجيء الساعة، لا يعلم علم مجيئها غيره.

﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه﴾ يعني: الأوثان لا تملك أن تشفع لعابدها ﴿إلا من شهد بالحق﴾ يقول: إنما الشفاعة لمن شهد بالحق في الدنيا ﴿وهم يعلمون﴾ أنه الحق؛ تشفع لهم الملائكة.

﴿فأنى يؤفكون﴾ يُصدون فيعبدون غيره.

﴿وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وقيله يا رب إن هؤلاء قومٌ لا يؤمنون﴾ هذا قول النبي يشكو قومه إلى اللَّه.

قال يحيى: وهي تُقرأ على ثلاثة أوجه: ﴿قيلَه﴾ و ﴿قيلُه﴾ و ﴿قيلِه﴾[1] فمن قرأها بالنصْب رجع إلى قوله: ﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ ولا نسمع قيلَه، ومن قرأها بالجر رجع إلى قوله: ﴿وتبارك الذي له ملك السمٰوات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة﴾ وعلم قيله، ومن قرأها بالرفع فهو كلام مبتدأ يُخْبَر بقوله[2].

قال اللَّه: ﴿فاصفح عنهم﴾ وهي منسوخةٌ نسختها القتال ﴿وقل سلام﴾ كلمة حلمٍ، وكان ذلك أيضًا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فسوف تعلمون[3]﴾ يوم القيامة، وهي كلمة وعيدٍ.

❊ ❊ ❊

---

(١) قرأ بالجر عاصم وحمزة، والباقون بالنصب، وقرأ الأعرج وأبو قلابة ومجاهد والحسن بالرفع.
ينظر: السبعة (٥٨٩)، التيسير (١٩٧)، النشر (٢/ ٣٧٠).

(٢) ينظر التوجيه النحوي لهذه القراءات من البحر (٨/ ٣٠) الدر المصون (٦/ ١٠٩ - ١١٠)، إعراب القرآن (٣/ ١٠٣) مجمع البيان (٥/ ٥٨).

(٣) قرأ المدنيان وابن عامر ﴿تعلمون﴾ بالخطاب، وقرأ الباقون ﴿يعلمون﴾ بالغيب. النشر (٢/ ٣٧٠) وإتحاف الفضلاء (٤٩٨).

تفسير سورة الدخان وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ① وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ② إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ④ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ⑤ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ⑥ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ⑦ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ⑧ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ⑨﴾

قوله: ﴿حم والكتاب المبين﴾ قسمٌ أقسم بالقرآن ﴿إنا أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿في ليلة مباركة﴾ يعني: ليلة القدر.

يحيى: عن همَّام بن يحيى، عن الكلبي، عن أبي صالح [عن](١) ابن عباس قال: «نزل القرآن ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم جعل بعد ذلك ينزل نجومًا ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات وأقل من ذلك وأكثر. ثم تلا هذه الآية ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾»(٢).

---

(١) سقطت من الأصل، وأبو صالح هو باذام مولى أم هانئ، وهذا إسناد الكلبي بتفسير ابن عباس، قال أبو عاصم النبيل: زعم لي سفيان الثوري، قال: قال لنا الكلبي: ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب؛ فلا ترووه. انظر ترجمة الكلبي في التهذيب (٢٥/ ٢٤٦ - ٢٥٣).

(٢) هذا إسناد واهٍ، وقد روي بأسانيد أخرى:
فرواه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ٤٨٠ رقم ١١٥٦٥) والحاكم (٢/ ٤٧٧) والبيهقي في الشعب (٢/ ٤١٥ رقم ٢٢٥٠) من طريق حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. =

﴿إنا كنا منذرين﴾ العباد من النار ﴿فيها﴾ يعني: ليلة القدر ﴿يفرق كل أمرٍ حكيم﴾ أي: يفصل، قال الحسن: ما يريد اللّه أن ينزل من الوحي وينفذ من الأمور في سمائه وأرضه وخلقه تلك السَّنة، ينزله في ليلة القدر إلى سمائه، ثم ينزله في الأيام والليالي على قَدَرٍ حتى يحول الحول من تلك الليلة.

قوله: ﴿أمرًا من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ الرسل إلى العباد ﴿رحمة من ربك...﴾ الآية.

قال محمدٌ: قوله: ﴿أمرًا﴾ منصوبٌ على الحال؛ المعنى: إنا أنزلناه آمرين أمرًا[1]. وقوله: ﴿رحمةً من ربك﴾ أي: أنزلناه رحمة.

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾

= ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٠٣) من طريق حصين، عن حكيم بن جبير، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٤ رقم ١٢٤٢٦) من طريق شريك عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٠): رواه الطبراني، وفيه حكيم بن جبير، وهو متروك.

ورواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٥٨) من طريق حصين عن حكيم بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٥٩) والحاكم (٢/ ٢٢٢) من طريق منصور، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه.

ورواه النسائي في الكبرى (٥/ ٧ رقم ٧٩٩١) والحاكم (٢/ ٢٢٣) من طريق حسان بن حريث، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه النسائي في الكبرى (٥/ ٦ رقم ٧٩٨٩ ، ٧٩٩٠) والطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٥٨) والحاكم (٢/ ٢٢٢) من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(١) وفي نصبه أقوال أخرى. ينظر الدر المصون (٦/ ١١١).

رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿فارتقب﴾ أي: فانتظر ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ بيِّن ﴿يغشى الناس﴾ تفسير مجاهد: يعني: الجدب وإمساك المطر عن [كفار قريش][1].

يقولون: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾.

قال اللَّه: ﴿أنى لهم الذكرى﴾ أي: كيف لهم الذكرى؟ (ل٣١٩) يعني: الإيمان بعد وقوع هذا البلاء ﴿وقد جاءهم رسولٌ مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ يُعَلمه عبد [لبني][2] الحضرمي، وكان كاهنًا؛ في تفسير الحسن. وقال بعضهم: عداس غلام عتبة بن ربيعة؛ كان يقرأ الكتب، قال اللَّه: ﴿إنا كاشفو العذاب قليلًا﴾.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾.

قال محمدٌ: ﴿يومَ نبطِش﴾ منصوبٌ بمعنى: واذكر يوم نبطش، ويقال: يبطُش بالرفع أيضًا، مثل: عَكَفَ يَعْكُفُ ويَعْكِفُ، ومثل هذا كثير[3].

يحيى: عن المعلى، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن أبي الضحى[4]،

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت من تفسير الطبري (٢٥/ ١١٣).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من تفسير الطبري (١٤/ ١٧٨)، انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٣٠٣)، الدر المنثور (٤/ ١٤٦).

(٣) ينظر الدر المصون (٦/ ١١٤)، إعراب القرآن (٣/ ١١٠)، البيان (٢/ ٣٥٨).

(٤) كذا وقع هذا الإسناد «الأعمش عن أبي وائل عن أبي الضحى» والحديث معروف من رواية =

عن مسروق، عن عبد اللَّه بن مسعودٍ أنه قيل له: «ها هنا رجل يزعُم أنه يأتي دخان قبل يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، وكان متكئًا فغضب؛ فجلس فقال: يا أيها الناس من عَلِمَ علمًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: اللَّه أعلم؛ فإن من العلم أن يقول العبد لما لا يعلم: اللَّه أعلم، وقد قال اللَّه لنبيه: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾[(١)] وسأخبركم عن الدخان: إن قريشًا لما أبطئوا عن الإسلام، دعا عليهم رسول اللَّه؛ فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف. فأصابهم الجوع؛ حتى أكلوا الميتة والعظام، حتى كان أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخانًا من الجهد، فذلك قوله: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين. . .﴾ إلى قوله: ﴿إنا مؤمنون﴾ فسألوا أن يُكْشَفَ عنهم العذاب فيؤمنوا، قال اللَّه: ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين . . .﴾ إلى قوله: ﴿منتقمون﴾ فكُشِف عنهم فعادوا في كفرهم؛ فأخذهم يوم بدرٍ، فهو قوله: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ فكان عبد اللَّه بن مسعود يقول: قد مضت البطشة والدخان[(٢)] واللزام

= «الأعمش عن أبي الضحى» - كما سيأتي - ولم يذكر المزي في التهذيب (١٢/ ٥٤٩ - ٥٥٠) لأبي وائل رواية عن أبي الضحى، وقد رواه الداني من طريق يحيى بن سلام، وفيه كما في الأصل، واللَّه أعلم.

(١) ص: ٨٦ .

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٤/١٣٨- ١٣٩): وقد وافق ابنَ مسعود ﵁ على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى جماعةٌ من السلف كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي، وهو اختيار ابن جرير. . . وقال آخرون: لم يمض الدخان بعد؛ بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري ﵁ قال: «أشرف علينا رسول اللَّه ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو تحشر الناس - تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا» تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه. اهـ.

والروم والقمر»[١].

قال محمدٌ: قيل للجوع: دخان، لِيَبَس الأرض في سنة الجَدْب، وانقطاع النبات وارتفاع الغبار، فشبه ما يرتفع منه بالدخان، ومن كلامهم: جوعٌ أغْبَرُ وسنة غبراء لسنةِ المجاعة[٢].

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله: ﴿ولقد فتنا قبلهم﴾ أي: اختبرنا قبلهم ﴿قوم فرعون﴾ بالدين؛ كقوله: ﴿وإن كنا لمبتلين﴾[٣] لمختبرين بالدين.

---

(١) رواه الداني في الفتن (٥/ ١٠٠٣ - ١٠٠٥ رقم ٥٣٦) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام.

ورواه الإمام أحمد (١/ ٣٨٠ - ٣٨١ ، ٤٤١)، والحميدي (١/ ٦٣ - ٦٤ رقم ١١٦) والطيالسي (٣٨ رقم ٢٩٣) والبخاري (٢/ ٥٧٢ رقم ١٠٠٧، ٢/ ٥٩٢ رقم ١٠٢٠ ، ٨/ ٢١٤ رقم ٤٦٩٣، ٨/ ٣٧٠ رقم ٤٧٧٤ ، ٨/ ٤٩ رقم ٤٨٠٩ ، ٨/ ٤٣٤ - ٤٣٥ رقم ٤٨٢١ ، ٨/ ٤٣٥ رقم ٤٨٢٢ ، ٨/ ٤٣٦ رقم ٤٨٢٣) ومسلم (٤/ ٢١٥٥ - ٢١٥٦ رقم ١٧٩٨) والترمذي (٥/ ٣٥٣ - ٣٥٤ رقم ٣٢٥٤) والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٥ رقم ١١٤٨١ ، ٦/ ٤٥٦ رقم ١١٤٨٣) والطبري في تفسيره (٢٥/ ١١١) وابن حبان (١٤/ ٥٤٨ - ٥٤٩ رقم ٦٥٨٥) وغيرهم من طريق الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) لسان العرب (غبر).

(٣) المؤمنون: ٣٠.

﴿وجاءهم رسولٌ كريم﴾ على اللَّه، يعني: موسى ﴿أن أدوا إليّ عباد اللَّه﴾ أرسلوا معي بني إسرائيل؛ في تفسير مجاهد ﴿إني لكم رسولٌ أمين﴾ على ما أتاني من اللَّه، لا أزيد فيه شيئًا ولا أنقص منه شيئًا.

﴿وأن لا تعلوا على اللَّه﴾ أي: لا تستكبروا عن عبادة اللَّه ﴿إني آتيكم﴾ أي: قد أتيتكم ﴿بسلطان مبين﴾ بحجّة بيِّنة ﴿وإني عُذْتُ بربي وربكم أن ترجمون﴾ يعني: القتل بالحجارة ﴿وإن لم تؤمنوا لي﴾ تصدقوني ﴿فاعتزلون﴾ حتى يحكم اللَّه بيني وبينكم.

قال محمدٌ: قيل: المعنى: فإن لم تؤمنوا لي؛ فلا تكونوا عليَّ ولا معي.

﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾ مشركون.

قال محمدٌ: من قرأ (إن) بالكَسْرِ فعلى معنى: قال: إن هؤلاء، ويجوز الفتح بمعنى: بأن هؤلاء[1].

﴿فأسر بعبادي ليلًا إنكم متبعون﴾ أي: يتبعكم فرعون وجنوده ﴿واترك البحر رهوًا﴾ قال مجاهد: يعني: ساكنًا بعد أن ضربه موسى بعصاه.

﴿ومقام كريم﴾ أي: منزل حَسَن ﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ أي: مسرورين. قال اللَّه: ﴿كذلك﴾ أي: هكذا كان الخبر ﴿وأورثناها قومًا آخرين﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾.

يحيى: عن حماد، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: «للمؤمن بابان في السماء، أحدهما يصَعدُ منه عمله، والآخر ينزل منه رزقه، فإذا مات

---

(١) العامة على الفتح بإضمار حرف الجر؛ أي: دعاه بأن هؤلاء، وابن أبي إسحاق وعيسى والحسن بالكسر على إضمار القول عند البصريين، وعلى إجراء (دعا) مجرى القول عند الكوفيين. الدر المصون (٦/ ١١٤) البحر المحيط (٨/ ٣٤).

بكيا عليه»(١).

قال أبان العطار: بلغني أنهما يبكيان عليه أربعين صباحًا.

﴿وما كانوا منظرين﴾ من العذاب يعني: الغرق.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ (٣٣) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ

---

(١) هذا موقوف، وقد روي مرفوعًا؛ فرواه الترمذي (٥/ ٣٥٤ - ٣٥٥ رقم ٣٢٥٥) وأبو يعلى (٧/ ١٦٠ - ١٦١ رقم ٤١٣٣) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ٣٢٧) والخطيب في تاريخه (١١/ ٢١٢) والبغوي في تفسيره (٧/ ٢٣٢) من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي ﷺ فرفعه.

ورواه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٥٣) من طريق صفوان بن سليم عن يزيد الرقاشي به مرفوعًا.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد ابن أبان يضعفان في الحديث.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٠٥): رواه أبو يعلى، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

وقال ابن حجر في المطالب (٤/ ١٥٥): هذا إسناد ضعيف.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٦٩): هذا إسناد ضعيف؛ لضعف يزيد الرقاشي وموسى بن عبيدة الربذي.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٣) لابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن أبي حاتم وابن مردويه.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٢٤ - ١٢٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٣) لعبد بن حميد وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان.

إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

(ل ٣٢٠) ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عاليًا من المسرفين﴾ أي: المتكبرين ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾ على عالم زمانهم الذي كانوا فيه ﴿وآتيناهم﴾ يعني: أعطيناهم ﴿من الآيات ما فيه بلاءٌ مبين﴾ نعمةٌ بيِّنة.

﴿إن هؤلاء﴾ يعني: مشركي العرب ﴿ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين.

قال محمدٌ: يقال: أَنْشَرَ اللَّه الموتى؛ فنشروا[1].

﴿فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾ أي: فأحيوا لنا آباءنا، حتى نصدقكم بمقالتكم أنَّ اللَّه يحيي الموتى. قال اللَّه: ﴿أهم خيرٌ أم قوم تُبع والذين من قبلهم﴾ من الكفار أي: أنهم ليسوا بخير منهم؛ يخوفهم بالعذاب.

﴿ما خلقناهما إلا بالحق﴾ للبعث وللحساب، وللجنة والنار ﴿ولكن أكثرهم﴾ جماعة المشركين ﴿لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ومحاسبون ومجازون.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ

(١) لسان العرب (نشر).

أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿إن يوم الفصل﴾ يعني: القضاء ﴿ميقاتهم أجمعين﴾ أي: ميقات بعثهم ﴿يوم لا يغني مولًى عن مولى﴾ وليٌّ عن ولي ﴿شيئًا﴾ أي: لا يحمل من ذنوبهم شيئًا ﴿ولا هم ينصرون﴾ يُمْنعون من العذاب ﴿إلا من رّحم اللَّه﴾ قال الحسن: يعني: من المؤمنين يشفع بعضُهم لبعض؛ فينفعهم ذلك عند اللَّه.

﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ المشرك ﴿كالمهل﴾ المهل: ما كان ذائبًا من الفضة والنحاس وما أشبه ذلك.

قال محمدٌ: وقيل: المهل: عكر الزيت الشديد السواد[(١)].

﴿تغلي[(٢)] في البطون كغلي الحميم﴾ يعني: الماء الشديد الحر ﴿خذوه فاعتلوه﴾ قال الحسن: يعني: فجرُّوه ﴿إلى سواء الجحيم﴾ وسط الجحيم.

قال محمدٌ: العَتْلُ في اللغة أن يُمْضَى به بعنْفٍ وشدة، يقال منه: عتَلَ يَعْتُلُ، وفيه لغة أخرى: يَعْتِلُ[(٣)].

﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ كقوله: ﴿يُصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد﴾[(٤)] يُقْمَعُ بالمقمعة، فتخرقُ رأسَهُ، فيُصَبُّ على رأسه الحميم، فيدخل في فيه

---

(١) وقيل: دردي الزيت، وقيل: عكر القطران، وقيل غير ذلك. انظر: الدر المصون (٦/ ١١٨)، لسان العرب (مهل).

(٢) هكذا في الأصل، وهي قراءة السبعة، إلا ابن كثير وعاصمًا؛ فقد قرآ بالياء؛ فالتاء لتأنيث (شجرة) والياء لتذكير (المهل) ينظر: السبعة (٢٩٢)، التيسير (١٩٨)، كشف المشكلات (٢/ ١٢٢٢).

(٣) ينظر لسان العرب (عتل).

(٤) الحج: ٢١ .

حتى يصل إلى جوفه.

﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ يعني: المنيع الكريم عند نفسك، إذ كنت في الدنيا ولست كذلك، قال بعضهم: نزلت في أبي جهل كان يقول: أنا أعز قريش وأكرمها ﴿إن هذا﴾ يعني: (العذاب)[١] ﴿ما كنتم به تمترون﴾ تشكون في الدنيا أنه كائن.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إن المتقين في مقام﴾ في منزل ﴿أمين﴾ أي: هم آمنون فيه من الغِيَرِ[٢].

قال محمدٌ: من قرأ ﴿مُقامٍ﴾ برفع الميم فهو من قولهم: أَقَام مُقامًا، ومن قرأ بفتح الميم فهو من قولهم: قام يَقُوم[٣].

﴿يلبسون من سندسٍ وإستبرق﴾ تفسير الحسن: هما جميعًا حرير.

قال محمدٌ: قيل الإسْتَبْرَقُ: الدِّيبَاجُ الصَّفِيقُ الكثيف، والسُّنْدس: الرقيق[٤].

---

(١) مشتبهة في الأصل، ولعلها كما أثبته.

(٢) أي: حوادث الدهر ونوازله. لسان العرب (غير).

(٣) قرأ نافع وابن عامر ﴿مُقام﴾ بضم الميم، وقرأ الباقون: ﴿مَقام﴾ بفتح الميم. النشر (٢/ ٣٧١) إتحاف الفضلاء (٥٠٠) القرطبي (١٦/ ١٥٢).

(٤) لسان العرب (برق)، (إستبرق)، (سندس).

قال كعب: في الجنة شجر تُنْبِت الإستبرق والحرير؛ منه يكون لباس أهل الجنة.

قوله: ﴿متقابلين﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعضٍ إذا تزاوروا؛ في تفسير بعضهم.

﴿كذلك وزوجناهم بحورٍ عين﴾ تفسير الحسن، أي: كذلك حكم اللَّه لأهل الجنة بهذا؛ والحُور[١]: البيضُ؛ في تفسير قتادة، والعِينُ[٢]: عظامُ العيون.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وزوّجناهم﴾ أي: قَرَنَّاهم بهن.

﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾ أي: يأتيهم ما يشتهون فيها ﴿آمنين﴾ من الموْت ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ وليس ثَمَّ موتة، إنما هي هذه الموتة الواحدة في الدنيا.

﴿فضلًا من ربك ذلك هو الفوز العظيم﴾ النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قال محمدٌ: ﴿فضلًا﴾ منصوبٌ بمعنى: وذلك بفضلٍ من اللَّه، أي: فعل ذلك منه فضلًا[٣].

﴿فإنما يسرناه﴾ يعني: القرآن ﴿بلسانك﴾ يعني: النبي، لولا أن اللَّه يسره بلسان محمدٍ ما كانوا ليقرءوه ولا يفقهوه ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا ﴿فارتقب﴾ فانتظر العذاب، فإنه واقعٌ بهم ﴿إنهم مرتقبون﴾ منتظرون.

* * *

---

(١) والواحدة: حوراء، لسان العرب (حور).

(٢) والواحدة: عيناء. لسان العرب (عين).

(٣) أي: مفعول لأجله. ينظر: إعراب القرآن (٣/ ١٢٠)، البيان (٢/ ٣٦٢).

تفسير سورة الجاثية وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ (٦)﴾

﴿حم تنزيل الكتاب [من اللَّه العزيز الحكيم إن في السمٰوات والأرض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم﴾][1] (ل٣٢١) من تراب؛ يعني: خلق آدم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، وفي الأسماع والآذان وما لا يُحصى من خلق اللَّه في الإنسان. ﴿وما يبُث﴾ يَخلُق.

قال محمدٌ: (يبث) فيه لغتان تقول: بَثَثْتُكَ ما في نفسي، وأَبْثَثْتُكَ أي: بسطته لك[2].

﴿آياتٌ لقوم يوقنون﴾.

قال محمدٌ: من قرأ (آياتٌ) بالرفع فعلى الاستثناء[3] والمعنى: وفي خلقكم آياتٌ[4].

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) لسان العرب (بثث).

(٣) هكذا في الأصل وهو تحريف عن الصواب، والمراد: الابتداء. وينظر: إعراب القرآن (٣/ ١٢٤)، البيان (٢/ ٣٦٣ - ٣٦٤)، البحر المحيط (٨/ ٤٢).

(٤) قرأ حمزة والكسائي (آيات) بالكسر، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر السبعة (٥٩٤)، التيسير (١٩٨).

﴿واختلافُ﴾ أي: وفي اختلاف ﴿الليل والنهار وما أنزل اللَّه من السماءِ من رزقٍ﴾ يعني: المطر فيه أرزاق الخلق ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ بعد إذ كانت يابسة لا نبات فيها.

﴿وتصريف﴾ أي: وتلوين ﴿الرياح﴾ في الرحمة والعذاب ﴿آياتٌ لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون.

﴿فبأي حديث بعد اللَّه وآياته يؤمنون﴾ يصدقون أي: ليس بعد ذلك إلا الباطل.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾

﴿ويلٌ لكل أفاك﴾ أي: كذاب ﴿أثيم﴾ يعني: المشرك.

﴿ثم يصر﴾ على ما هو عليه ﴿مستكبرًا﴾ عن عبادة اللَّه ﴿كأن لم يسمعها﴾ يعني: آيات اللَّه، أي: بلى قد سمعها، وقامتْ عليه الحجَّةُ بها.

﴿من ورائهم جهنّم﴾ يعني: أمامهم وهي كلمة عربية، تقول للرجل: من ورائك كذا؛ لأمر سيأتي عليه[1].

قال محمدٌ: وقد يكون «وراء» بمعنى بَعْدُ[1]، وقد تقدم ذكر هذا[2].

﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئًا﴾ تفسير الحسن: ما عملوا من الحسنات،

---

(١) لسان العرب (ورأ).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه﴾ [البقرة: ٩١].

يبطل اللَّه أعمالهم في الآخرة ﴿ولا ما اتخذوا من دون اللَّه أولياء﴾ آلهة؛ يعني: الأوثان التي عبدوها لا تغني عنهم شيئًا.

قوله: ﴿هذا﴾ يعني: القرآن ﴿هدًى﴾ يهتدون به.

قوله: ﴿لهم عذابٌ من رجز أليم﴾ أي: موجع.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في السَّفَر ﴿ولعلكم تشكرون﴾ (لكي تشكروا)[١] أي: تؤمنوا ﴿وسخر لكم﴾ [أي][٢] خلق لكم ﴿ما في السمٰوات وما في الأرض جميعًا منه﴾ أي: كل ذلك تفضُّلٌ منه؛ يعني: مما سخّر في السمٰوات: الشمسَ والقمر والنجوم والمطر، وبما سخر في الأرض: الأنهار والبحار وما ينبت في الأرض من النبات، وما يستخرج من الذهب والفضة وغير ذلك مما يُنْتَفَعُ به، فذلك كلّه بتسخير اللَّه.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام اللَّه﴾ يعني: المشركين؛ فأمر اللَّه المؤمنين أن يغفروا لهم ﴿ليجزي قومًا بما كانوا يكسبون﴾ يعملون؛ يجزي المؤمنين بحلمهم عن المشركين، ويجزي المشركين بشركهم، وكان

---

(١) تكرار في الأصل.
(٢) مطموس في الأصل والسياق يقتضيه.

هذا قبل أن يؤمروا بقتالهم، ثم نسخ ذلك بالقتال.

﴿من عمل صالحًا فلنفسه﴾ أي: يجده عند الله ﴿ومن أساء فعليها﴾ أي: فعلى نفسه .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ أي: أنزلناه عليهم ﴿والحكم﴾ قال قتادة: يريد الحِكْمة، وهي السُّنَّة ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ ما أحلّ لهم ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ يعني: عالمي زمانهم ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم﴾ أرادوا الدنيا ورخاءها، فغيَّروا كتابهم وأحلّوا فيه ما شاءوا وحرّموا ما شاءوا، فترأسوا على الناس يستأكلونهم ﴿إن ربك يقضي بينهم...﴾ الآية، فيكون قضاؤه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الذين تمسكوا بدينهم الجنة، ويدخل الكافرين النار.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾ تفسير الحسن: الشريعة: الفريضة

﴿فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ يعني: المشركين ﴿إنهم لن يغنوا عنك من اللَّه شيئًا﴾ أي: إن اتبعت أهواءهم عذَّبتك ولم يغنوا عنك شيئًا، وقد [عصمه][(١)] اللَّه من ذلك، وقضى أن يثبت على ما هو عليه ﴿وإن الظالمين﴾ المشركين ﴿بعضهم أولياء بعض﴾ في الدنيا، وهم أعداءٌ في الآخرة؛ يتبرَّأُ بعضُهم من بعضٍ. ﴿هذا بصائر للناس﴾ يعني: القرآن ﴿وهدًى﴾ يهتدون به ﴿ورحمة لقوم يوقنون﴾.

قال محمدٌ: واحد البصائر: بصيرة[(٢)].

﴿أم حسب الذين اجترحوا﴾ اكتسبوا ﴿السيئات﴾ الشرك.

قال محمدٌ: فمعنى ﴿اجترحوا﴾: [اكتسبوا][(٣)] ويقال: فلانٌ جارح أهله، وجارحُهُ أهله، أي: [كاسبهم][(٣)] (ل٣٢٢) ومنه قيل لذوات الصيد: جوارح.

﴿أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي: لا نجعلهم مِثْلَهم، الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة، والمشركون في النار، وهذا لقول أحدهم: ﴿ولئن رُجعت إلى ربي﴾ كما يقولون: ﴿إن لي عنده للحسنى﴾[(٤)] يعني: الجنة؛ إن كانت جنة ﴿سواء محياهُم ومماتُهم﴾ مقرأ مجاهد بالرفع: ﴿سواءٌ﴾ مبتدأ، المعنى: المؤمن مؤمن في الدنيا والآخرة والكافر كافرٌ، ومقرأ الحسن بالنصب: ﴿سواءً﴾ على معنى: أن يكونوا سواءً، أي: ليسوا سواءً[(٥)] ﴿ساء ما﴾ بئسما ﴿يحكمون﴾ أن يجعلهم سواءً ﴿وخلق اللَّه

---

(١) لم يظهر منها في الأصل إلا حرف العين، ولعلها كما أثبته، واللَّه أعلم.
(٢) لسان العرب (بصر).
(٣) طمس في الأصل، وانظر لسان العرب (جرح).
(٤) فصلت: ٥٠ .
(٥) قرأ بالنصبْ: حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون بالرفع، ينظر: السبعة (٥٩٥)، التيسير (١٩٨)، النشر (٢/ ٣٧٢)، البحر (٨/ ٤٨).

السموٰات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار.

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ هو المشرك، اتخذ هواه إلهًا؛ فعبد الأوثان من دون اللَّه .

قوله: ﴿وأضله اللَّه على علم وختم على سمْعه﴾ فلا يسمع الهدى من اللَّه، يعني سَمْعَ قبول ﴿وقلبه﴾ أي: وختم على قلبه؛ فلا يفقه الهدى.

﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ فلا يبصر الهدى ﴿فمن يهديه من بعد اللَّه﴾ أي: لا أحد ﴿أفلا تذكرون﴾.

قال محمدٌ: غشاوة: غطاء، ومنه غاشيةُ السَّرْج[1]، وأنشد بعضُهم:

صَحِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسِي أَلُومُهَا[2]

ويقال: غُشاوة برفع الغين، وغَشْوة بفتحها بغير ألف[3]، وقد قرئ بهما[4].

---

(١) لسان العرب: (غشو).

(٢) البيت للحارث المخزومي. وهو من بحر الطويل. ويروى: (تبعتك) بدل (صحبتك) ويروى (أذيمها) بدل (ألومها) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٢٦٥)، لسان العرب (غشو)، مجاز القرآن (١/ ٣١).

(٣) وفيها لغات: غَشْوة وغِشْوة وغَشَاوة، وغُشَاوة. ينظر لسان العرب (غشو).

(٤) قرأ الأخوان: (غَشْوة)، والأعمش وابن مصرف: (غِشْوة)، وباقي السبعة: (غِشَاوة)، وابن مسعود: (غَشَاوة)، والحسن وعكرمة: (غُشَاوة) وهي لغة عُكَلية. ينظر: الدر المصون (٦/ ١٣٠).

وقوله: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ أي: نموت ونُولَد.

قال محمدٌ: المعنى: يموت قومٌ ويحيا قومٌ؛ وهو الذي أراد يحيى.

﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ الزمان، أي: هكذا كان من قبلنا، وكذلك نحن.

قوله: ﴿وما لهم بذلك من علم﴾ بأنهم لا يبعثون ﴿إن هم إلا يظنون﴾ إن ذلك منهم إلا ظن.

قال محمد: (إن) بمعنى (ما)[1] أي: ما هم إلا يظنون.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله: ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ القرآن ﴿بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا﴾ أحيوا آباءنا حتى يصدقوكم بمقالتكم، بأن اللَّه يحيي الموتى، قال اللَّه جوابًا لقولهم: ﴿قل اللَّه يحييكم﴾ يعني: هذه الحياة ﴿ثم يميتكم﴾ يعني: الموت ﴿ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ لا شكَّ فيه؛ يعني: البعث ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون.

قال محمدٌ: من قرأ ﴿حجتَهم﴾ بالنصب جعل اسم كان (أن) مع صِلَتِها، ويكون المعنى: ما كان حجتَهم إلا مقالتُهم، ومن قرأ (حُجّتُهم) بالرفع جعل (حجّتهم) اسم كان و﴿أن قالوا﴾ خبر كان[2].

---

(١) مغني اللبيب (١/ ٣٠).

(٢) قرأ العامة بالنصب، وقرأ زيد بن علي وعمرو بن عبيد وعبيد بن عمرو بالرفع، وفي توجيه النصب والرفع تأويلات نحوية أخرى. ينظر: الدر المصون (٦/ ١٣١).

قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذٍ يخسر المبطلون﴾ المكذبون بالبعث ﴿وترى كُلّ أُمةٍ﴾ يعني: كفارها؛ في تفسير الحسن.

﴿جاثية﴾ على الرُّكَب؛ في تفسير قتادة ﴿كل أمة تُدعى إلى كتابها﴾ إلى حسابها، وهو الكتاب الذي كتبتْ عليهم الملائكة.

قال محمدٌ: يقال: جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبتيه، ومثله جَذَا يَجْذُو، والجَذْوُ أشدُّ استقرارًا من الجثو؛ لأن الجذوَ أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه(١).

ومن قرأ ﴿كلُّ أمةٍ﴾ بالرفع رفع (كل) بالابتداء، والخبر ﴿تدعى إلى كتابها﴾ ومن نصب جعله بدلًا من (كل) الأول، المعنى: وترى كل أمة ﴿تدعى إلى كتابها﴾(٢).

﴿اليوم تجزون﴾ أي: يقال لهم: اليوم تجزون.

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أي: ننسخ ما في كتب الحفظة، ونثبت عند الله - عز وجل.

يحيى: عن نُعيم بن يحيى، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس

---

(١) ينظر لسان العرب (جثو) (جذو).

(٢) العامة على الرفع، ويعقوب قرأ بالنصب. وفي التوجيه النحوى أقوال أخرى. ينظر: النشر (٢/ ٣٧٢)، كشف المشكلات (٢/ ١٢٣٢)، البحر (٨/ ٥٠).

قال: «أوّل ما خلق اللَّه القلم فقال: اكتبْ. قال: رب؛ ما أكتب؟! قال: ما هو كائنٌ. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»[1].

---

(١) رواه وكيع في نسخته عن الأعمش (٥٦ - ٥٧ رقم ٤) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٧) والطبري في تفسيره (٢٩/ ١٤) وفي تاريخه (١/ ٣٣ ، ٥٠ ، ٥١) وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٣٨٠ رقم ٨٩٧) وابن منده في التوحيد (١/ ٩٣ - ٩٤ رقم ١٤ ، ١٥) والحاكم (٢/ ٤٩٨) والآجري في الشريعة (١/ ٢٢٨ رقم ١٩٧ ، ١/ ٣٥٩ رقم ٣٨٨) وابن بطة في الإبانة في كتاب القدر (١/ ٣٣٨ - ٣٣٩ رقم ١٣٧٢) والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٥٩) والبيهقي في سننه (٩/ ٣) وفي الأسماء والصفات (٢/ ٢٣٩ رقم ٨٠٤) من طريق الأعمش به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
ورواه عبد اللَّه بن أحمد في السنة (٢/ ٤٠١ رقم ٨٧٢) والخطيب في تاريخ بغداد (١٤/ ٢٠٥) من طريق الحكم بن عتيبة عن أبي ظبيان به .
ورواه الضياء في المختارة (١٠/ ١٨ رقم ٧) من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه به.
ورواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٤) وفي تاريخه (١/ ٣٣) من طريق شريك، عن الأعمش، عن أبي ظبيان - أو مجاهد - عن ابن عباس رضي الله عنهما .
ورواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٥) وفي تاريخه (١/ ٣٤) من طريق معمر، عن الأعمش عن ابن عباس رضي الله عنهما.
ورواه عبد اللَّه بن أحمد في السنة (٢/ ٤٠١ رقم ٨٧١ ، ٢/ ٤١٠ رقم ٨٩٤) والطبري في تفسيره (٢٩/ ١٥) وفي تاريخه (١/ ٣٤ ، ٥١ - ٥٢) والآجري في الشريعة (١/ ٢٢٨ - ٢٢٩ رقم ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١/ ٣٥٨ - ٣٥٩ رقم ٣٨٦ ، ٣٨٧) وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ١٣٦٧ - ١٣٦٩) وغيرهم من طريق عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا.
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٤٣٣ رقم ١٢٢٢٧) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا.
قال الطبراني: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل.
قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٢٨) قلت: ومؤمل ثقة كثير الخطأ، وقد وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري وغيره، وبقية رجاله ثقات.
ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٥٠ رقم ١٠٨) وأبو يعلى (٤/ ٢١٧ رقم ٢٣٢٩) وعبد اللَّه بن أحمد في السنة (٢/ ٣٩٣ رقم ٨٥٤) والدارمي في الرد على الجهمية (١٢١ رقم ٢٥٣) والطبري في تفسيره (٢٩/ ١٦) وفي تاريخه (١/ ٣٢) والطبراني في المعجم =

فأعمال العباد تُعْرض كلَّ يوم اثنين وخميس، فيجدونه على ما في الكتاب.

قوله: ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾ يقول اللَّه لهم يوم القيامة: ألم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا؟! ﴿فاستكبرتم وكنتم قومًا مجرمين﴾ مشركين.

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وإذا قيل إن وعد اللَّه حق والساعة﴾ يعني: القيامة ﴿لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ﴿قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنًّا﴾ ما نشكُّ إلا شكًّا ﴿وما نحن بمستيقنين﴾ (ل٣٢٣) أن الساعة آتيةٌ.

قال محمدٌ: [(الساعة) ترفع وتنصب فمن][(1)] رفع فعلى معنى [الابتداء][(1)]،

= الكبير (١٢/ ٦٨ - ٦٩ رقم ١٢٥٠٠) وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٣٣ رقم ١٣٦١) وأبو نعيم في الحلية (٨/ ١٨١ - ١٨٢) والبيهقي في سننه (٩/ ٣) وفي الأسماء والصفات (٢/ ٢٣٧ - ٢٣٨ رقم ٨٠٣) وغيرهم من طريق عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﵄ مرفوعًا.

قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٠٢): غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٩٠): رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

وخالف عُمَر بن حبيب هشامُ الدستوائي؛ فرواه عن القاسم بن أبي بزة عن عروة بن عامر عن ابن عباس ﵄ قوله، فخالفه في الإسناد، وأوقف الحديث.

خرجه عبد اللَّه بن أحمد في السنة (٢/ ٤١١ رقم ٨٩٨) والطبري في تفسيره (٢٥/ ٤٨).

وللحديث طرق أخرى عن ابن عباس ﵄ موقوفًا، انظر تفسير الطبري (٢٩/ ١٥ - ١٧) وتاريخه (١/ ٣٥) والشريعة للآجري (١/ ٢٢٩، ٣٥٨ - ٣٦٠).

وله شواهد عن ابن مسعود وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وابن عمر ﵃.

(١) طمس في الأصل، والسياق يقتضي ما أثبتناه. وينظر الدر المصون (٦/ ١٣٢).

ومن نصبها عطف على (الوعد)[١]، المعنى: إذا قيل: إن وعد اللَّه حق وأن الساعة [آتية.

قوله: ﴿إن نظنّ إلا][٢] ظنًّا﴾ قيل: المعنى: ما نعلم ذلك إلا شكًّا ولا نستيقنه؛ لأن الظن قد يكون بمعنى العلم كقوله: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾[٣] أي: علموا[٤] ومثل هذا في الشعر - لم يثبت لأحد-:

فَقُلْتُ: لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ   سَرَاتُهُمُ بِالفَارِسِيِّ المُسَرَّدِ[٥]

وقد يكون الظن أيضًا بمعنى الشك.

قوله: ﴿وبدا لهم سيئاتُ ما عملوا﴾ أي: حين غضب عليهم علموا أن أعمالهم تلك سيئات، ولم يكونوا يرون أنها سيئاتٌ.

﴿وحاق بهم﴾ نزل بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ كانوا يستهزئون بالنبي والمؤمنين؛ فحاق بهم عقوبة ذلك الاستهزاء، فصاروا في النار.

﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ

---

(١) قرأ حمزة بنصب (الساعة)، وقرأ الباقون برفعها. وفي توجيهات الرفع والنصب أقوال أخر. ينظر: البحر المحيط (٨/ ٥٠)، الدر المصون (٦/ ١٣٢)، السبعة (٥٩٥)، النشر (٢/ ٣٧٢).

(٢) طمس في الأصل، والسياق يقتضي ما أثبتناه. وينظر الدر المصون (٦/ ١٣٢).

(٣) الكهف: ٥٣ .

(٤) لسان العرب (ظنن).

(٥) البيت لدريد بن الصمة، وهو من بحر الطويل. ينظر: لسان العرب (ظنن)، شرح المفصل (٧/ ٨١)، الأصمعيات (١٠٧).

يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

﴿كما نسيتم﴾ كما تركتم، وقيل: المعنى في (ننساكم): نترككم ﴿لقاء يومكم هذا﴾ فلم تؤمنوا ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ كنتم لا تقرون بالبعث ﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي: لا يستعتبوا ليُعْتَبُوا؛ أي: ليؤمنوا.

﴿وله الكبرياء﴾ العظمة ﴿وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره.

* * *

تفسير سورة الأحقاف
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حم (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ (٣) قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥)﴾

﴿حم تنزيل الكتاب﴾ القرآن ﴿من اللَّه العزيز الحكيم﴾ العزيز في نقمته، الحكيم في أمره ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون اللَّه﴾ يعني: أوثانهم ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ أي: لم يخلقوا منها شيئًا ﴿أم لهم شرك في السمٰوات﴾ هل خلقوا منها شيئًا؟ أي: لم يخلقوا ﴿ائتوني﴾ يقول للنبي: قل لهم: ﴿ائتوني بكتاب من قبل هذا﴾ فيه أن هذه الأوثان خلقت من الأرض شيئًا أم من السمٰوات ﴿أو أثارة من علم﴾ بهذا ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي: ليس عندكم بهذا كتاب (ولا أَثَرة من علم) في مقرأ الحسن، وهي تقرأ (أَثَرَة) و(أَثَارة) فمن قرأ ﴿أثارة﴾ يعني: رواية، ومن قرأ ﴿أثرة﴾ يعني: خاصّة[1].

قوله: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون اللَّه من لا يستجيب له إلى يوم

---

(١) قرأ العامة: (أثارة) وقرأ علي وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة وآخرون: (أَثَرَة) وقرأ الكسائي: (أُثْرَة وإِثْرَة)، وقرأ السلمي: (أَثْرَة) ينظر: الدر المصون (٦/ ١٣٥).

القيامة﴾ يعني: أوثانهم ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ يعني: الأوثان عن دعاء من عبدها غافلون.

قال محمدٌ: قال (مَن)[١] وَهُو لغير ما يعقل؛ لأن الذين عبدوها أجروها مجرى ما يميز، فخوطبوا على مخاطبتهم[٢]؛ كما قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللّه زلفى﴾[٣].

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً ...﴾ الآية، قال الحسن: إن اللّه يَجْمَعُ يوم القيامة بين كل عابدٍ ومعبود، فيوقفون بين يديه، ويحشرها[٤] اللّه بأعيانها، فينطقها فتخاصم من كان يعبدها.

﴿أم يقولون افتراه﴾ محمدٌ قال اللّه: ﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿إن افتريته فلا

---

(١) في قوله تعالى: ﴿مَنْ لا يستجيب له﴾.
(٢) وقيل: تعود على (مَن) في قوله: ﴿ومَنْ أضل﴾ وقيل: تغليبًا للعقلاء، فقال: (مَنْ) ينظر: الدر المصون (٦/ ١٣٥).
(٣) الزمر: ٣ .
(٤) أي: الأصنام والأوثان التي كانت تُعْبَدُ من دون اللّه.

تملكون لي من اللَّه شيئًا﴾ أي: سوف يعذبني ولا تستطيعون أن تمنعوني من عذابه ﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ من الشِّرك أي: تتكلمون به ﴿كفى به شهيدًا بيني وبينكم﴾ أي: جئت بالقرآن من عنده وإني لم أفتره ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ لمن آمن.

﴿قل ما كنت بدعًا من الرسل﴾ أي: ما كنت أولهم؛ قد كانت الرسل قبلي ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ تفسير الكلبي: إن النبي قال: «لقد رأيت في منامي أرضًا أُخْرجُ إليها من مكة. فلما اشتد البلاءُ على أصحابه بمكة قالوا: يا نبي اللَّه، حتى متى نلقى هذا البلاء، ومتى نخرج إلى الأرض التي أُرِيتَ؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم، أنموت بمكة أم نخرجُ منها؟».

﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ﴾ ﴿قل أرأيتم إن كان من عند اللَّه﴾ يعني: القرآن ﴿وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ على مثل القرآن؛ يعني: التوراة. قال الحسن: يعني بالشاهد: عبد اللَّه بن سلام ﴿فآمن واستكبرتم إن اللَّه لا يهدي القوم الظالمين﴾ المشركين؛ يعني: الذين يلقون اللَّه بشركهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرًا ما سبقونا إليه﴾ [. . . (ل

٣٢٤) . . .][(١)].

﴿ومن قبله﴾ من قبل القرآن ﴿كتاب موسى إمامًا﴾ يعني: التوراة؛ يهتدون به(٢) ﴿ورحمة﴾ لمن آمن به ﴿وهذا كتابٌ﴾ يعني: القرآن ﴿مصدقٌ﴾ للتوراة والإنجيل ﴿لسانًا عربيًا لتنذر(٣) الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿وبشرى للمحسنين﴾ المؤمنين بالجنة.

قال محمدٌ: ﴿إمامًا﴾ منصوبٌ على الحال، و﴿رحمة﴾ عطف عليه، و﴿لسانًا عربيًا﴾ منصوبٌ أيضًا على الحال، المعنى: مصدقٌ لما بين يديه عربيًا وذكر (لسانًا) توكيدًا(٤).

قوله: ﴿إن الذين قالوا ربنا اللَّه ثم استقاموا﴾ على ذلك ﴿فلا خوف عليهم. . .﴾ الآية.

يحيى: عن يونس بن إسحاق، عن أبي إسحاق، عن [عامرِ](٥) بن سَعْدٍ البجلي قال: «قرأ أبو بكر الصديق هذه الآية، فقالوا: وما الاستقامة يا خليفة رسول اللَّه؟ قال: لم يشركوا»(٦).

---

(١) طمس في الأصل نحو ست كلمات.

(٢) أي: كتاب موسى.

(٣) قرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب ﴿لتنذر﴾ بالخطاب، واختلف عن البزي، وقرأ الباقون ﴿لينذر﴾ بالغيب. النشر (٢/ ٣٧٢ - ٣٧٣) وإتحاف الفضلاء (٥٠٣).

(٤) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر الدر المصون (٦/ ١٣٧).

(٥) في الأصل: عمر. والمثبت هو الصواب، وعامر بن سعد البجلي الكوفي ترجمته في التهذيب (١٤/ ٢٣ - ٢٥) وذكر المزي أن روايته عن أبي بكر الصديق مرسلة، وسيأتي أن بعض الرواة زاد بينهما سعيد بن نمران، واللَّه أعلم.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد (١١٠ رقم ٣٢٦) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٨٧) ومسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/ ١٥١ رقم ٣٧١٥) - وأبو داود في الزهد (٦٠ رقم ٣٩) والطبري في تفسيره (٢٤/ ١١٤) من طريق سفيان الثوري - وهو في تفسيره (٢٧٦ - =

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا﴾[1] يعني: برًّا ﴿حملته أمه كرهًا ووضعته كرهًا﴾ حملته بمشقّة، ووضعته بمشقّة ﴿وحمله﴾ في البطن ﴿وفصاله﴾ فِطَامُه ﴿ثلاثون شهرًا﴾.

قال محمدٌ: ﴿حسنًا﴾ نصبٌ على المصدر، المعنى: أمرناه بأن يحسن

= ٢٧٧ رقم ٨٩٣) - عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد البجلي، عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر الصديق ﷺ.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٩٩) للفريابي وسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال الدارقطني في العلل (١/ ٢٧٣): حدَّث به سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن عامر ابن سعد البجلي، عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر.

وتابعه عبيد الله بن موسى عن إسرائيل.

ورواه أبو الأحوص ويحيى بن أبي بكير عن إسرائيل، عن أبي إسحاق عن سعيد بن نمران. لم يذكرا فيه عامر بن سعد.

وقول الثوري أصح . اهـ. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/ ٢٦٥): هذا إسناد ضعيف؛ لجهالة سعيد بن نمران.

قلت: والوجه الثالث من الخلاف على أبي إسحاق رواية يحيى بن سلام عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر بإسقاط سعيد بن نمران.

(١) هكذا في الأصل، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون: ﴿إحسانًا﴾ ينظر: السبعة (٥٩٦)، التيسير (١٩٩)، النشر (٢/ ٣٧٣).

إليهما إحسانًا. و﴿كرهًا﴾ منصوبٌ بمعنى: حملته أمه على مشقة، ووضعته على مشقة[١].

﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ يعني: احتلم، وبعضهم يقول: عشرين سنة.

قال محمدٌ: وجاء في الأشد ها هنا أنه بضع وثلاثون سنة، وهو الأكثر.

قوله: ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ أي: في سِنِّهِ ﴿قال رب أوزعني﴾ يعني: ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك . . .﴾ الآية.

﴿أولئك الذين يُتقبل[٢] عنهم﴾ أي: يتقبل اللَّه منهم ﴿أحسنُ ما عملوا﴾.

﴿في أصحاب الجنة﴾ مع أصحاب الجنة ﴿وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ في الدنيا.

قال محمدٌ: ﴿وعد الصدق﴾ منصوبٌ مصدر مؤكد لما قبله[٣].

﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ

---

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي. ينظر البحر المحيط (٨/ ٦٠) كشف المشكلات (٢/ ١٢٣٧).

(٢) بضم الياء وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر، على البناء للمفعول ورفع ﴿أحسنُ﴾ وقرأ الباقون بالنون المفتوحة على البناء للفاعل، ونصب ﴿أحسنَ﴾ على المفعولية. ينظر: النشر (٢/ ٣٧٣) القرطبي (١٦/ ١٩٦).

(٣) الدر المصون (٦/ ١٣٩).

﴿تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ٢٠﴾

﴿والذي قال لوالديه أفٍّ لكما أتعدانني أن أُخرج﴾ أن أبعث ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ فلم يبعثوا.

قال محمدٌ: (أف) كلمة تبرم، وقد مضى تفسيرها واشتقاقها بأكثر من هذا في سورة سبحان(١) وسورة الأنبياء(٢).

قال: ﴿وهما يستغيثان اللَّه ويلك آمن﴾ أي: يقولان له ذلك ﴿إن وعد اللَّه حق﴾ القيامة ﴿فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ كذب الأولين وباطلهم، نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل أن يسلم، وفي أبويه: أبي بكر الصديق وامرأته: أم رومان.

قال اللَّه: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول﴾ وجب عليهم الغضب ﴿في أمم﴾ أي: مع أممٍ ﴿قد خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾ صاروا إلى النار.

﴿ولكل درجاتٌ مما عملوا﴾ المؤمنون والمشركون؛ للمؤمنين درجات في الجنة على قدر أعمالهم، وللمشركين درجاتٌ في النار على قدر أعمالهم.

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ وعرضهم في تفسير الحسن: دخولهم ﴿أذهبتم﴾ وتقرأ أيضًا بالاستفهام بمد: (آذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) فمن قرأها بغير مد يقول: قد فعلتم، ومن قرأها بمد فهي على الاستفهام (....)(٣) أي: قد فعلتم، المعنى: أنكم أذهبتم(٤) ﴿طيباتكم﴾

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾ الإسراء: ٣ .

(٢) عند قوله تعالى: (أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون اللَّه﴾ الأنبياء: ٦٧ .

(٣) كلمة لم أستطع قراءتها.

(٤) قرأ ابن كثير وابن عامر بهمزتين، والباقون بهمزة واحدة. ينظر: البحر (٨/ ٦٣) ، الدر المصون (٦/ ١٤٠).

في الجنة بشرككم ﴿واستمتعتم بها﴾ يعني: بالدنيا ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ يعني: فسق الشرك.

قال محمدٌ: قراءة نافع ﴿أذهبتم﴾ بلا مد على الخبر، وهو الذي أراد يحيى.

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿واذكر أخا عادٍ﴾ يعني: هودًا؛ أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ وكانت منازلهم.

قال محمدٌ: الأحقافُ في اللغة واحدها: حِقْفٌ، وهو من الرمل ما أشرف من كثبانه واستطال، وقد قيل: إن الأحقاف ها هنا: جبلٌ بالشام(١).

﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ وهو بدء كلام مستقبل، يخبر اللَّه أن النذر قد مضت من بين يدي هود؛ أي: من قبله ﴿ومن خلفه﴾ أي:

---

(١) وقيل: هو الرمل المستطيل المعوج. لسان العرب (حقف).

ومن بعده يدعون إلى ما دعا إليه هود [﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾][(١)] ﴿إني أخاف عليكم عذاب يومٍ عظيم﴾ رجع إلى قصتهم (ل٣٢٥) أي: قد فعلت ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ كان يعدهم [بالعذاب][(١)] إن لم يؤمنوا.

﴿قال﴾ لهم: ﴿إنما العلم عند الله﴾ علمُ متى يأتيكم العذاب.

﴿فلما رأوه﴾ رأوا العذاب ﴿عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا﴾ حسبوه سحابًا، وكان قد أبطأ عنهم المطر، قال الله: ﴿بل هو ما استعجلتم به﴾ لما كانوا يستعجلون به هودًا من العذاب استهزاءً وتكذيبًا ﴿ريحٌ فيها عذابٌ أليم﴾ موجع.

قوله تعالى: ﴿تدمر كل شيء بأمر ربها﴾ أي: تدمر كل شيءٍ أُمِرتْ به، وهي ريحُ الدَّبُور[(٢)] ﴿فأصبحوا لا تَرَى إلا مساكنَهم[(٣)]﴾ يقوله للنبي، أي: لا تُبصر إلا مساكنَهم ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه﴾ أي: فيما لم نمكنكم فيه كقوله: ﴿كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالًا وأولادًا﴾[(٤)].

﴿وحاق بهم﴾ نزل بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ نزل بهم عقوبة استهزائهم، يعني: ما عذبهم به.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا

(١) طمس في الأصل.
(٢) وهي ريح تهب من المغرب، وتقابل القَبُول؛ وهي ريح الصَّبَا. لسان العرب (دبر).
(٣) هكذا ضبطت القراءة في الأصل ﴿لا تَرَى إلا مساكنَهم﴾ وهي قراء السبعة إلا حمزة وعاصمًا؛ فقد قرآ: ﴿لا يُرَى إلا مساكنُهم﴾. ينظر: البحر (٨/ ٦٥)، الدر المصون (٦/ ١٤٢).
(٤) التوبة: ٦٩ .

كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ يقوله لأهل مكّة وهي أم القرى، منها دُحِيت الأرضُ، وما حولها البلاد كلها أخبر اللَّه بهلاك من أَهْلَك ﴿وصرفنا الآيات لعلهم [يرجعون][1] ﴾ لعل من بعدهم أن يرجعوا إلى الإيمان؛ يحذرهم.

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿نصرهم الذين اتخذوا من دون اللَّه قربانًا آلهة﴾ يعني: آلهتَهم التي عبدوها، زعموا أنها تقربهم إلى اللَّه زلفى، يقول: فهلا نصروهم إذ جاءهم العذاب.

قال محمدٌ: المعنى: اتخذوهم آلهة يتقربون بهم إلى اللَّه، وهو معنى قول يحيى.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن﴾ أي: وجَّهنا ﴿يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ يقوله بعضُهم لبعض ﴿فلما قُضِي﴾ لما قرأه النبيّ عليهم ﴿ولوا﴾ رجعوا ﴿إلى قومهم منذرين﴾ وهم جنّ نصيبين ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا﴾ يعنون: القرآن ﴿أنزل من بعد موسى﴾ كانوا على اليهودية

---

(١) ليست في «الأصل».

﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ من الكتاب.

﴿ومن لا يجب داعي اللَّه﴾ يعني: النبي؛ أي: لا يؤمن ﴿فليس بمعجزٍ في الأرض﴾ فليس بالذي يسبق اللَّه حتى لا يبعث.

يحيى: عن الصلت بن دينار، عن حبيب بن أبي فضالة، عن عون بن عبد اللَّه بن عتبة، عن عبد اللَّه بن مسعود قال: «خرجنا حاجِّين - أو معتمرين - حتى إذا كنا بالطريق هاجت ريحٌ، فارتفعت عجاجة[1] من الأرض، حتى إذا كانت على رءوسنا تكشفت عن جان بيضاء - يعني: حيّة - فنزلنا، وتخلّف صفوان بن المعطّل فأبصرها، فصب عليها من مطهرته، وأخرج خرقة من عيبتِهِ[2] فكفنها فيها، ثم دفنها ثم اتبعنا، فإذا بنسوة قد جئن عند العشاء فسلمن، فقلن: أيكم دفن عمرو بن جابر؟ قلنا: واللَّه ما نعرف عمرو بن جابر! فقال صفوان: أبصرت جانًا بيضاء فدفنتها. قلت: فإن ذلك عمرو بن جابر بقيّة من استمع إلى رسول اللَّه قراءة القرآن من الجن، التقى زحفان من الجن: زحف من المسلمين، وزحْفٌ من الكفار، فاسْتُشْهِدَ رحمه اللَّه»[3].

---

(١) هي الغبار. لسان العرب (عجج).

(٢) وعاء من أدَم ونحوه يكون فيه المتاع، والجمع: عِيَب، وعِيَاب. لسان العرب (عيب).

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق، والصلت بن دينار متروك الحديث، ترجمته في التهذيب (١٣/ ٢٢١ - ٢٢٦).

ورواه عبد اللَّه بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ٣١٢) وأبو بكر بن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣/ ٨٨ رقم ١٤٠٧) والطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٥٣ رقم ٧٣٤٥) والحاكم (٣/ ٥١٩) من طريق سلم بن قتيبة عن عمر بن نبهان عن سلام أبي عيسى عن صفوان بن المعطل بنحوه.

وعزاه ابن حجر في الإصابة (٧/ ٩٢) للباوردي وابن مردويه في تفسيره أيضًا.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٢): رواه عبد اللَّه بن أحمد والطبراني، وفيه عمر بن نبهان، وهو متروك. =

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ (٣٥)﴾

قوله: ﴿أو لم يروا﴾ يعني: المشركين ﴿أن اللَّه الذي خلق السمٰوات والأرض ولم يعيَ بخلقهن﴾ كقوله: ﴿وما مسنا من لغوب﴾[(١)] ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾.

قال محمدٌ: دخلت الباء في خبر (أنْ) بدخول (أو لمْ) في أول الكلام، المعنى: أليس اللَّه بقادر على أن يحيي الموتى[(٢)].

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾ يقال لهم وهم في

= قلت: وقع في المستدرك المطبوع: «عمر بن سنان» وهو تحريف، وهو في إتحاف المهرة (٦/ ٣٠٧) على الصواب؛ وعمر بن نبهان من رجال التهذيب، واللَّه أعلم.

وقال القرطبي في تفسيره (١٦/ ٢١٤) ومنهم - أي: من الجن الذين بايعوا النبي ﷺ - عمرو ابن جابر؛ ذكره ابن سلام من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أشياخه عن ابن مسعود... فذكر نحوه مختصرًا.

وقال ابن حجر في الإصابة (٧/ ٩٢): وروى الحكيم الترمذي في نوادره من طريق سفيان عن أبي إسحاق عن ثابت بن قطنة الثقفي قال: «جاء رجل إلى ابن مسعود...» فذكر نحوه مختصرًا.

قلت: ويراجع كتاب «أكام المرجان في أحكام الجان» للقاضي بدر الدين الشبلي، وكتاب «لقط المرجان في أحكام الجان» للسيوطي، لعل فيهما فائدة زائدة في الكلام على هذا الحديث؛ فإن يدي لا تطولهما الآن وعهدي بهما بعيد، واللَّه أعلم.

(١) ق: ٣٨.

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٣/ ١٦١ - ١٦٢)، البيان (٢/ ٣٧٣)، البحر المحيط (٨/ ٦٨).

النار: أليس هذا بالحق الذي كنتم توعدون في الدنيا؟ ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ تفسير الكلبي يعني: من أمر بالقتال من الرسل ﴿ولا تستعجل لهم﴾ يعني: المشركين بالعذاب.

﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾ يعني: العذاب ﴿لَمْ يلبثوا إلا ساعةً من نهارٍ بلاغ﴾ [... (ل٣٢٦) ...][1] ﴿فهل يهلك﴾ بعد البلاغ ﴿إلا القوم الفاسقون﴾ المشركون.

* * *

(١) طمس في الأصل.

تفسير سورة محمد ﷺ
وهي مدنية كلها

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾

قوله: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ سبيل الهدى؛ يعني: الإسلام ﴿أضل أعمالهم﴾ أحبط أعمالهم في الآخرة؛ يعني: ما عملوا من حسنٍ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمدٍ﴾ صدقوا به؛ يعني: القرآن ﴿وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم﴾ غفرها لهم ﴿وأصلح بالهم﴾ حالهم؛ يعني: يدخلهم الجنة ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ يعني: إبليس؛ اتبعوا وسوسته بالذي دعاهم إليه من عبادة الأوثان ﴿كذلك يضرب الله﴾ أي: يبين ﴿للناس أمثالهم﴾ يعني: صفات أعمالهم.

قال محمدٌ: معنى قول القائل: ضربت لك مثلًا؛ أي: بينت لك صنفًا من الأمثال(١).

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟

---

(١) لسان العرب (ضرب).

فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾.

يحيى: عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن «أن رسول اللَّه ﷺ بعث سريّة إلى حي فأصابوهم، فصَعِد رجلٌ منهم شجرةً ملتفة أغصانُها قال الذي حضر: قطعناها فلا شيء، ورميناها فلا شيء؟ قال: فجاءوا بنارٍ فأُضرِمتْ فيها فخرَّ الرجل ميتًا فبلغ ذلك رسولَ اللَّه فتغيَّر وجهه تغيُّرًا شديدًا، ثم قال: إني لم أُبْعَث لأعذِّب بعذاب اللَّه! ولكن بُعِثت بضرب الأعناق والوثاق»[١].

قوله: ﴿حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق﴾ وهذا في الأَسْرى ﴿فإما منًّا بعد وإما فداء﴾ لم يكن لهم حين نزلت هذه الآية إذا أخذوا أسيرًا إلا أن يقادوه أو يمنون[٢] عليه فيرسلوه، وهي منسوخة نسختها ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم . . .﴾[٣] الآية؛ فإن شاء الإمامُ قتل الأسير، وإن شاء جعله غنيمة وإن شاء فاداه، وأما المنُّ بغير فداء فليس ذلك له.

قال محمدٌ: قوله: ﴿أثخنتموهم﴾ يعني: أكثرتم فيهم القتل[٤] كقوله: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا﴾[٥] أي: يبالغ في القتل.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٣٩٠ رقم ١٤٠٩١) والطبري في تفسيره (٩/ ١٩٨) من طريق وكيع عن المسعودي.

(٢) هكذا في الأصل، وهو خلاف الجادة. والصواب: يمنوا.

(٣) الأنفال: ٥٧ .

(٤) لسان العرب (ثخن).

(٥) الأنفال: ٦٧ .

وقوله: ﴿فضرب الرقاب﴾ منصوبٌ على الأمر؛ أي: فاضربوا الرقاب[١].

وقوله: ﴿فإما منًّا بعد وإما فداءً﴾ يعني: مُنُّوا منًّا، وافدوا فداءً ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ تفسير مجاهد: حتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام.

قال يحيى: وفيها تقديمٌ؛ يقول: فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى تضع الحربُ أوزارَها.

قال محمدٌ: المعنى: حتى يضع أهلُ الحرب السلاحَ؛ وهو الذي ذهب إليه مجاهد، وأصل الوزر ما حملته، فسمي السلاح: أوزارًا؛ لأنه يُحْمل[٢]، قال الأعشى:

وأَعْـدَدْتُ لـلـحـربِ أَوْزَارَهَـا رِمَاحًا طِوَالًا وَخَيْلًا ذُكُورا[٣]

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير قال: «سألتُ جابر بن عبد اللَّه قلت: إذا كان عليَّ إمامٌ جائرٌ فلقيتُ معه أهل ضلالة أأقاتل أم لا، ليس بي حبه ولا مظاهرتُه؟ قال: قاتل أهل الضلالة أينما وجدتهم، وعلى الإمام ما حُمل، وعليك ما حملت»[٤].

يحيى: عن عمار الدُّهني، عن جسر المصيصي، عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ «بُني الإسلام على ثلاث: الجهادُ ماضٍ منذ بعث اللَّه نبيَّه إلى آخر فئةٍ من المسلمين تكون هي التي تقاتل الدَّجَّال؛ لا ينقضه جَوْرُ من جار،

---

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٧٤)، كشف المشكلات (٢/ ١٢٤٢).

(٢) لسان العرب (وزر).

(٣) البيت من بحر المتقارب. ينظر: ديوان الأعشى (٧١)، التهذيب، اللسان (وزر)، الكشاف (٤/ ٣٧٧).

(٤) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٢/ ٣٩٢ - ٣٩٣ رقم ١٣٥) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

والكف عن أهل لا إله إلا الله أن تكفروهم بذنب، والمقادير خيرها وشرها من الله»[١].

﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾بغير قتالٍ (...)[٢] ﴿ولكن ليبلوا﴾ يبتلي ﴿بعضكم ببعض﴾.

﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ (ل٣٢٧) لن يحبطها الله (...)[٢] فإن أحسنوا غفر لهم ﴿سيهديهم ويصلح بالهم﴾ حالهم ﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ تفسير مجاهد: يعرفون منازلهم في الجنة [ويهتدون][٣] إليها.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٣/ ٧٥٠ رقم ٣٧٠) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام.
ورواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٤٣) من طريق آخر عن الحسن، وفيه من لم يسم.
ورواه عبد الرزاق في المصنف (٥/ ٢٧٩ رقم ٩٦١١) عن عبد القدوس عن الحسن.
وروى سعيد بن منصور في سننه (٢/ ١٤٣ رقم ٢٣٦٧) وأبو عبيد في الإيمان (٢٧) وأبو داود (٣/ ٢٢٨ رقم ٢٥٢٤) وابن أبي زمنين في أصول السنة (٢١٦) والبيهقي في سننه (٩/ ٥٦) من طريق جعفر بن برقان عن يزيد بن أبي نشبة عن أنس ﷺ مرفوعًا نحوه.
قال المنذري: يزيد بن أبي نشبة في معنى المجهول. وقال عبد الحق: يزيد بن أبي نشبة هو رجل من بني سليم، لم يروه عنه إلا جعفر بن برقان. نصب الراية (٣/ ٣٧٧).
وروى الطبراني في الأوسط (٥/ ٩٥ - ٩٦ رقم ٤٧٧٥) وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٧٣) عن علي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا نحوه.
قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٠٦): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إسماعيل بن يحيى التيمي، كان يضع الحديث.
(٢) طمس في الأصل.
(٣) طمس في الأصل، وروى الطبري في تفسيره (٢٦/ ٤٤) في تفسير هذه الآية عن مجاهد قال: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم لا يخطئون؛ كأنهم سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدًا.

وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا اللَّه ينصركم﴾ نصرتهم النبي نصرة للَّه .

﴿والذين كفروا فتعسًا لهم﴾ تفسير الحسن: أن التَّعْسَ شتم من اللَّه لهم، وهي كلمةٌ عربية[(١)].

قال محمدٌ: قيل: إن معنى (تعْسًا لهم): بُعدًا لهم، وقالوا: تَعِسَ الرجل، وفيها لغة أخرى تَعَسَ بفتح العيْن، وأَتْعَسْتُهُ أنا؛ أي: أشقيته[(٢)]، وتعسًا منصوبٌ على معنى: أتعسهم اللَّه[(٣)].

﴿وأضل أعمالهم﴾ أحبطَ ما كان منها حسنًا.

﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل اللَّه﴾ القرآن ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي: أهلكهم اللَّه ﴿وللكافرين أمثالها﴾ يعني: عاقبة الذين تقوم عليهم الساعة: كفار آخر هذه الأمة؛ يهلكون بالنفخة الأولى.

قال محمدٌ: المعنى: وللكافرين أمثالها؛ أي: أمثال تلك العاقبة.

﴿ذلك بأن اللَّه مولى﴾ يعني: وليّ ﴿الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى

---

(١) وقيل: التعس: الهلاك، وقيل: الجر على الوجه، وقيل غير ذلك. ينظر: الدر المصون (٦/ ١٤٨)، لسان العرب (تعس).

(٢) لسان العرب (تعس).

(٣) وفيه تفصيل نحوي واسع. ينظر: إعراب القرآن (٣/ ١٦٩)، البيان (٢/ ٣٧٤)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٥٨).

لهم﴾ لا وليَّ لهم إلا الشيطان؛ فإنه وليُّهم، وقوله في غير هذه السورة: ﴿ثم رُدوا إلى اللَّه مولاهم الحق﴾[1] فمعناه: مالكهم، وليس هو من باب ولاية اللَّه للمؤمنين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾

﴿والذين كفروا يتمتعون﴾ في الدنيا ﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ وهي غافلة عن الآخرة ﴿والنار مثوًى لهم﴾ أي: منزلٌ، يعني: الذين كفروا.

﴿وكأين من قرية﴾ أي: وكم من قرية ﴿هي أشدُّ قوة﴾ أهلها أشدُّ قوة ﴿من قريتك﴾ من أهل قريتك ﴿التي أخرجتك﴾ أخرجك أهلها؛ يعني: مكّة.

﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زُيّن له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ وهذا المشرك؛ أي: ليسا بسواء.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾

---

(١) الأنعام: ٦٢.

﴿مثلُ الجنة﴾ صفة الجنة ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ أي: متغيِّر.

قال محمدٌ: يقال: أَسَنَ الماءُ يَأْسُنُ أُسُونًا وأَسْنًا[1].

﴿وأنهارٌ من لبن لم يتغير طعمه﴾ أي: لم يخرج من ضلوع المواشي فيتغيّر ﴿وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ للشاربين﴾.

قال محمدٌ: قوله: ﴿لذة﴾ أي: لذيذة، يقال: شرابٌ لَذٌّ إذا كان طيِّبًا.

﴿وأنهارٌ من عسلٍ مصفى﴾ لم يخرج من بطون النَّحْل ﴿ولهم فيها من كل الثمرات . . .﴾ إلى قوله: ﴿فقطع أمعاءهم﴾ وهذا على الاستفهام، يقول: أهؤلاء المتقون الذين وُعِدُوا الجنة فيها ما وصف ﴿كمن هو خالدٌ في النار﴾ على ما وصف؟! أي: ليسوا بسواءٍ.

﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ يعني: المنافقين ﴿حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفًا﴾ كانوا يأتون النبي ﷺ يستمعون حديثه من غير حِسْبَة ولا يفقهون حديثه؛ فإذا خرجوا من عنده قالوا لعبد اللّه بن مسعود: ماذا قال محمدٌ آنفًا؟ لمْ يفقهوا ما قال النبي.

قال محمدٌ: ﴿آنِفًا﴾ معناه: الساعة[2].

قال اللّه للنبي: ﴿أولئك الذين طبع اللّه على قلوبهم﴾.

﴿والذين اهتدوا زادهم هدًى﴾ كلما جاءهم من اللّه شيءٌ صدقوه؛ فزادهم ذلك هدًى ﴿وآتاهم﴾ أعطاهم ﴿تقواهم﴾ جعلهم متَّقين.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ

(١) يقال: أَسَنَ الماء يَأْسُن أَسْنًا وأُسُونًا، وأَسِنَ يَأْسَنُ أَسَنًا. لسان العرب (أسن).
(٢) لسان العرب (أنف).

وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾

﴿فهل ينظرون﴾ أي: فما ينتظرون ﴿إلا الساعة﴾ النفخة الأولى التي يهلك اللَّه بها كفّار آخر هذه الأمة ﴿أن تأتيهم بغتة﴾ فجأة ﴿فقد جاء أشراطها﴾ كان النبي عليه السلام من أشراطها، وأشراطها كثير، منها انشقاق القمر، ورَجْمُ الشياطين بالنجوم.

قال محمدٌ: معنى (أشراطها): أعلامها، الواحد منها شَرَطٌ - بالتحريك[1] - وأنشد بعضهم:

فَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ بالصَّرْمِ بَيْنَنَا فقد جَعَلَتْ أَشْرَاطُ أَوّلِهِ تَبْدُو[2]

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنما مثلي ومثل الساعة [كهاتين. فما فضل إحداهما على الأخرى، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي يقول الناس: السبابة][3]»[4].

---

(١) الواحد: شَرْط وشَرَط. لسان العرب (شرط).

(٢) البيت لأبي الأسود، وهو من بحر الطويل. ينظر: البحر (٨/ ٧٠)، الكشاف (٤/ ٣٢٣).

(٣) سقطت من الأصل، وأثبتها مما يأتي في تفسير سورة القمر، الآية: ١ ، ومثله في كتاب السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني.

(٤) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٤/ ٧٦١ رقم ٣٧٣) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «بُعثت أنا والساعة كهاتين - ويشير بأصبعيه».

رواه البخاري (١١/ ٣٥٥ رقم ٦٥٠٤) ومسلم (٤/ ٢٢٦٨ - ٢٢٦٩ رقم ٢٩٥٠) عن أنس رضي الله عنه .

ورواه البخاري (١١/ ٣٥٥ رقم ٦٥٠٣) عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

ورواه البخاري (١١/ ٣٥٥ رقم ٦٥٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه مسلم (٢/ ٥٩٢ رقم ٨٦٧) عن جابر رضي الله عنه .

وفي الباب عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم .

(ل٣٢٨) **يحيى**: عن خداش، عن أبي عامر، عن أبي عمران الجوني قال: قال رسول الله ﷺ: «حين بُعِثَ إليّ بُعِثَ إلى صاحب الصُّور فأهوي به إلى فيه، وقدّم رجلًا وأخّر أخرى، ينتظر متى يؤمر ينفخ، ألا فاتقوا النفخة»[1].

﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ أي: فكيف لهم توبتهم إذا جاءتهم الساعة؟! أي: أنها لا تقبل منهم ﴿والله يعلم متقلَّبكم﴾ في الدنيا ﴿ومثواكم﴾ إذا صرتم إليه، والمثوى: المنزل الذي يثوون فيه لا يزولون عنه[2].

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ۝٢٠ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۝٢١ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ۝٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾

﴿ويقول الذين آمنوا لولا﴾ هلا ﴿نزلت سورة﴾ ﴿محكمة﴾ أي: مفروضٌ فيها القتال.

﴿رأيت الذين في قلوبهم مرضٌ﴾ يعني: المنافقين ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ خوفًا وكراهية للقتال ﴿فأولى لهم﴾ هذا وعيدٌ من الله لهم، ثم انقطع الكلام.

قوله: ﴿طاعة﴾ أي: طاعةٌ لله ورسوله ﴿وقول معروف﴾ خير مما أضمروا

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٤/ ٧٦٤ - ٧٦٥ رقم ٣٧٧، ٦/ ١٢٨٢ - ١٢٨٣ رقم ٧١٨) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.
وتقدم هذا الحديث في أول تفسير سورة الأنبياء.

(٢) لسان العرب (ثوى).

من النفاق ﴿فإذا عزم الأمر﴾ بالجهاد في سبيل اللَّه ﴿فلو صدقوا اللَّه﴾ فكان باطن أمرهم وظاهره صدقًا ﴿لكان خيرًا لهم﴾ يعني: به المنافقين.

قال: ﴿فهل عسيتم إن توليتم﴾ عما في قلوبكم من النفاق حتى تظهروه شركًا ﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ أي: تقتلوا قرابتكم.

قال محمدٌ: قرأ نافع ﴿عَسِيتُمْ﴾ بكَسْر السين، وقرأ غير واحد من القراء بالفتح، وهي أعلى اللغتين وأفصحهما؛ ذكره أبو عُبَيْد(١).

﴿أولئك الذين لعنهم اللَّه فأصمّهم﴾ عن الهدى ﴿وأعمى أبصارهم﴾ عنه ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ أي: أن على قلوبهم أقفالها؛ وهو الطَّبْع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدى﴾ من بعد ما أعطوا الإيمان، وقامت عليهم الحجة بالنبي والقرآن، يعني: المنافقين ﴿الشيطان سوّل لهم﴾ زيّن لهم ﴿وأملى لهم﴾ قال الحسن: يعني: وسوس

---

(١) قرأ نافع: ﴿عَسِيتم﴾ بالكسر، وقرأ الباقون بفتحها. النشر (٢/ ٢٣٠)، وإتحاف الفضلاء (٢٠٧) وتفسير القرطبي (٣/ ٢٤٤) قال القرطبي: ﴿عسيتم﴾ بالفتح والكسر لغتان، وبالثانية قرأ نافع، والباقون بالأولى، وهي الأشهر.

إليهم أنكم تعيشون في الدنيا بغير عذاب، ثم تموتون فتصيرون إلى غير عذاب ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل اللَّه سنطيعكم في بعض الأمر﴾ أي: في الشرك وافقوهم على الشرك؛ في السِّرِّ ﴿واللَّه يعلم إسرارهم﴾.

قال محمدٌ: من قرأ بفتح الألف فهو جمع (سِرٍّ)[1].

﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ تفسير الحسن: ﴿توفتهم الملائكة﴾ حشرتهم إلى النار ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ في النار.

قال محمدٌ: المعنى: فكيف تكون حالُهم إذا فعلت الملائكة هذا بهم؟!

﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ وهم المنافقون ﴿أن لن يخرج اللَّه أضغانهم﴾ يعني: ما يكنون في صدورهم من الشرك.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾

﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم﴾ يعني: نعتهم من غير أن تعرفهم ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ يعني: تَعَلُّلَهم وما كانوا يعتذرون به من الباطل في الغَزْوِ، وفيما يكون منهم من القول، ثم أخبره اللَّه بهم، فلم يَخْفَ على رسول اللَّه بعد هذه الآية منافقٌ، وأَسَرَّهم النبي إلى حذيفة.

قال محمدٌ: (في لحن القول) أي: في لحن كلامهم ومعناه، وأصل الكلمة

---

(١) قرأ الأخوان وحفص بكسر الهمزة مَصْدرًا، وقرأ الباقون بفتحها جمع (سرّ) ينظر: الدر المصون (٦/ ١٥٦).

من قولهم: لَحِنْتُ أي: بيَّنتُ، وألْحَنْتُ الرجلَ فَلَحِنَ؛ أي: فهَّمتُه فَفَهِمَ[١].

﴿والله يعلم أعمالكم﴾ من قبل أن تعملوا.

﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ وهذا علم الفَعَال ﴿ونبلوا أخباركم﴾ أي: نختبركم؛ فنعلم من يصدق فيما أُعْطي من الإيمان ومن يكذب.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وشاقوا الرسول﴾ فارقوه وعادوه ﴿من بعد ما تبيَّن لهم الهدى﴾ من بعد ما قامت عليهم الحُجَّة ﴿لن يضروا الله شيئًا﴾ بكفرهم ﴿وسيحبط أعمالهم﴾ (. . .)[٢].

﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ تفسير السُّدي: لا تُحْبطوا أعمالكم (. . .)[٣].

﴿فلا تهنوا﴾ (ل٣٢٩) لا تضعفوا في الجهاد ﴿وتدعوا إلى السّلم﴾ الصلح، أي: لا تدعوا إلى الصلح ﴿وأنتم الأعْلَوْن﴾ أي: منصورون؛ يقوله للمؤمنين ﴿والله معكم﴾ ناصركم ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ أي: لن ينقصكم

---

(١) اللَّحَنُ: الفطنة إلى الحُجَّة، واللَّحْنُ: الخطأ في الإعراب ومخالفة وجه الصواب. لسان العرب (لحن).

(٢) طمس في الأصل بمقدار ثلاث كلمات تقريبًا.

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل.

شيئًا من ثواب أعمالكم.

قال محمدٌ: يقال: وَتَرَتْنِي حقِّي؛ أي: بَخَسْتَنِيه، وهو الوِتْر بكسر الواو والتِّرَةُ أيضًا[1].

يحيى: عن همام، عن قتادة، عن أنس بن مالك؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يَظْلم المؤمن حسنةً يُثاب عليها الرزق في الدنيا، ويُجْزى بها في الآخرة»[2] من حديث يحيى بن محمد.

﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾

قوله: ﴿إنما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهو﴾ أي: إن أهل الدنيا؛ يعني: المشركين الذين لا يريدون غيرها أهل لَهْوٍ ولعبٍ.

﴿وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم﴾ ثوابكم ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ يعني: النبي ﴿إن يسئلكموها فيُحْفكم﴾ بالمسألة ﴿تبخلوا﴾ أي: لو سألكم أموالكم لبخلتم بها ﴿ويخرج أضغانكم﴾ عداوتكم.

---

(١) ويقال: الوَتْر بفتح الواو أيضًا. ينظر: لسان العرب (وتر).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١١١ رقم ٣٢٧) عن همام بن يحيى به.
ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٣، ١٢٥، ٢٨٣) وعبد بن حميد (٣٥٥ رقم ١١٧٨) والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٣٢) ومسلم (٤/ ٢١٦٢ رقم ٢٨٠٨) وابن حبان (٢/ ١٠١ - ١٠٢ رقم ٣٧٧) من طريق همام به.
ورواه الطيالسي (٢٦٩ رقم ٢٠١١) ومسلم (٤/ ٢١٦٢ - ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٨/ ٥٧) والطبري في تفسيره (٥/ ٨٩، ٣٠/ ٢٧٠) من طرق عن قتادة به.

قال محمدٌ: يقال: أَحْفاني بالمسألة؛ أي: أَلَحَّ[١].

﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل اللَّه فمنكم من يبخل﴾ بالنفقة في سبيل اللَّه؛ يعني: المنافقين ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفْسه واللَّه الغني﴾ عنكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ إليه؛ يعني: جماعة الناس ﴿وإن تتولوا﴾ عن الإيمان ﴿يستبدل قومًا غيركم﴾ ويهلككم بالاستئصال ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ أي: يكونوا خيرًا منكم؛ يقوله للمشركين.

❊ ❊ ❊

(١) أي: ألحّ عليه في السؤال وجهده، وردّد الكلام واستقصاه. لسان العرب (حفى).

تفسير سورة الفتح وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٤) لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (٥)﴾

قوله: ﴿إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا . . .﴾ إلى قوله: ﴿مستقيمًا﴾.

يحيى[(١)]: عن قتادة، عن أنس بن مالك «أن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ عند مَرجعه من الحُدَيبية، وأصحابه مخالطو الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين مناسكهم ونحروا الهدي بالحديبية. فقال: لقد نزلت عليَّ آيةٌ لهي أحبُّ إلي من الدنيا جميعًا! فلما تلاها عليهم، قال رجُلٌ من القوم: هنيئًا مريئًا لك يا رسول اللَّه، قد بيَّنَ اللَّهُ لنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل اللَّه: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات. . .﴾ إلى قوله: ﴿فوزًا عظيمًا﴾»[(٢)].

---

(١) وضع بعدها الناسخ علامة لحق، ولم يظهر في الحاشية شيء، وإنما سقط من الإسناد شيخ يحيى الذي يروي هذا الحديث عن قتادة، وقد روى هذا الحديث عن قتادة جماعة - سيأتي بيانهم إن شاء اللَّه - وأظن يحيى رواه عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ لأن لفظ الكتاب أقرب ما يكون إلى رواية سعيد، واللَّه أعلم.

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ٢١٥) ومسلم (٣/ ١٤١٣ رقم ١٧٨٦) وأبو يعلى (٥/ ٣٠٨ رقم ٢٩٣٢ ، ٥/ ٤٧٢ رقم ٣٢٠٢ ، ٥/ ٤٧٢ - ٤٧٣ رقم ٣٢٠٤) والطبري (٢٦/ ٦٩ - ٧٠) =

قال محمدٌ: قوله: ﴿فتحنا لك فتحًا مبينًا﴾ قيل: المعنى: قضينا لك بإظهار دين الإسلام والنصرة على عدوك، وحكمنا لك بذلك، ويقال للقاضي: الفتاح[1]، والحديبية اسمُ بئر يُسَمَّى به المكانُ[2].

= وابن حبان (٢/ ٩٢ - ٩٣ رقم ٣٧٠) والبيهقي (٩/ ٢٢٢) والواحدي في أسباب النزول (ص٢٨١ - ٢٨٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٢، ١٣٤، ٢٥٢) ومسلم (٣/ ١٤١٣ رقم ١٧٨٦) والطبري (٢٦/ ٦٩) وأبو عوانة (٤/ ٢٩٩ رقم ٦٨١١) والواحدي في أسباب النزول (ص٢٨١) من طريق همام بن يحيى عن قتادة به.

ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٩٧) وعبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٢٥) والترمذي (٥/ ٣٥٩ - ٣٦٠ رقم ٣٢٦٣) وأبو يعلى (٥/ ٣٨٥ رقم ٣٠٤٥) من طريق معمر عن قتادة به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه مسلم (٣/ ١٤١٣ رقم ١٧٨٦) وعبد بن حميد (٣٥٨ رقم ١١٨٨) وأبو عوانة (٤/ ٢٩٩ رقم ٦٨١٠) من طريق شيبان عن قتادة.

ورواه مسلم (٣/ ١٤١٣ رقم ١٧٨٦) والطبري (٢٦/ ٦٩ وأبو عوانة (٤/ ٢٩٨ - ٢٩٩ رقم ٦٨٠٩) والواحدي في أسباب النزول (٢٨١) من طريق معتمر بن سليمان عن قتادة.

ورواه الحاكم (٢/ ٤٦٠) من طريق الحكم بن عبد الملك عن قتادة، وفيه زيادة.

قال الذهبي: قلت: الحكم ضعيف.

ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٧٣ - ١٧٤) والبخاري (٧/ ٥١٦ رقم ٤١٧٢) وأبو يعلى (٦/ ٢١ - ٢٢ رقم ٣٢٥٢) وأبو عوانة (٤/ ٣٠٠ رقم ٦٨١٥) والبيهقي (٩/ ٢٢٢) من طريق شعبة عن قتادة، قال شعبة: فأتيت الكوفة فحدثتهم بهذا الحديث عن قتادة عن أنس، فلما رجعنا إلى البصرة، سألت عنه قتادة فقال: أما الأول فتح الحديبية فهو فعن أنس، وأما هذا قول أصحابه: «هنيئًا لك» هذا عن عكرمة. انتهى وهذا لفظ أبي عوانة.

قلت: ولم يذكر الإمام مسلم رحمه الله هذه الزيادة المدرجة في رواياته، وقد بيَّن هذا الإدراج بطرقه وأسانيده الخطيب البغدادي رحمه الله في الفصل للوصل المدرج في النقل (١/ ٤٦٠ - ٤٧٣ رقم ٤٦) أتم بيان.

ورواه ابن حبان (٢/ ٩٣ - ٩٤ رقم ٣٧١) من طريق الحسن عن أنس رضي الله عنه بتمامه.

(١) لسان العرب (فتح).

(٢) معجم البلدان (٢/ ٢٦٥).

قوله: ﴿وينصرك اللَّه نصرًا عزيزًا﴾ يذلُّ به أعداءك ﴿هو الذي أنزل﴾ يعني: أثبت ﴿السكينة﴾ الوقار، في تفسير الحسن ﴿في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم﴾ أي: تصديقًا مع تصديقهم، يعني: يصدقونه بكل ما أُنزِلَ من القرآن.

﴿وللَّه جنُود السمٰوات والأرض﴾ ينتقم لبعضهم من بعض.

﴿وكان ذلك عند اللَّه فوزًا عظيمًا﴾ وهي النجاة من النار إلى الجنة.

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾

قوله: ﴿الظانِّين باللَّه ظن السَّوْءِ﴾ كانوا يقولون: يهلكُ محمدٌ وأصحابه ودينه ﴿عليهم دائرةُ السوء﴾ يعني: الهلاك في الآخرة ﴿وساءت مصيرًا﴾ أي: وبئست المصير.

﴿وكان اللَّه عزيزًا﴾ في نقمته ﴿حكيمًا﴾ في أمره.

﴿إنا أرسلناك شاهدًا﴾ على أمتك ﴿ومبشرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار ﴿لتؤمنوا باللَّه ورسوله﴾ يقوله للناس ﴿وتعزروه﴾ أي: وتنصروه ﴿وتوقروه﴾ أي: وتعظموه؛ يعني: النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير الكلبي ﴿وتسبحوه﴾ تسبِّحوا اللَّه: تصلوا له ﴿بكرةً وأصيلًا﴾ بكرة: صلاة الصبح، وأصيلًا: صلاة الظهر والعصر.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ

عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾

﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللَّه﴾ من بايع رسول اللَّه فإنما يبايع اللَّه، وهذا يوم الحديبية، وهي بيعة الرضوان؛ بايعوه على ألا يفروا ﴿يدُ اللَّهِ فوق أيديهم﴾ تفسير السُّدي يقول: فعل اللَّه بهم الخير أفضل من فعلهم في أمر البيعة.

يحيى: عن ابن لهيعة (. . . (ل٣٣٠) . . .)[1] يوم بيعة رسول اللَّه تحت الشجرة «أن رسول اللَّه بعث عثمان بن عفان إلى قريش بمكة يدعوهم إلى الإسلام، فلما راث عليه - أي: أبطأ عليه - ظنّ رسول اللَّه أن عثمان قد غُدِر به فقُتل؛ فقال لأصحابه: إني لا أظن عثمان إلا قد غُدر به؛ فإن فعلوا فقد نقضوا العَهْد، فبايعوني على الصبر وألا تفروا».

قوله: ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾ أي: فمن نكث؛ يعني: يرجع (. . .)[2] محمد فإنما ينكث على نفسه ﴿ومن أوفى بما عاهد عليه اللَّه فسيؤتيه أجرًا عظيمًا﴾ يعني: الجنة .

(١) طمس في الأصل نحو نصف سطر، ولم أجد الحديث بهذا اللفظ، واللَّه أعلم.
(٢) طمس في الأصل قدر ثلاث كلمات.

﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ يعني: المنافقين المتخلِّفين عن الجهاد؛ في تفسير الحسن ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ خِفْنَا عليهم الضَّيْعَةَ، فذلك الذي منعنا أن نكون معك في الجهاد.

﴿فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ أي: يعتذرون بالباطل ﴿قل فمن يملك لكم من اللَّه شيئًا إن أراد بكم ضرًا﴾ أن يهلككم بنفاقكم فيدخلكم النار ﴿أو أراد بكم نفعًا﴾ أن يرحمكم بإيمان يَمُنُّ به عليكم، وقد أخبر نبيَّه بعد هذه الآية أنه لا يتوب عليهم في قوله: ﴿لن يغفر اللَّه لهم﴾[١].

﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا﴾ كان المنافقون يقولون: لن يرجع محمدٌ إلى المدينة أبدًا ﴿وكنتم قومًا بورًا﴾ يعني: فاسدين.

قال محمدٌ: البور في بعض اللغات: الفاسدُ، يقال: أصبحت أعمالهم بورًا؛ أي: مُبْطَلة، وأصبحت ديارُهم بورًا؛ أي: معطلة خرابًا[٢].

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿ولله ملك السمٰوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ ولا يشاء أن يغفر إلا لمن تاب من الشرك وبرئ من النفاق، ويعذِّب من أقام عليه حتى

---

(١) المنافقون: ٦ .
(٢) لسان العرب: (بور).

يموت ﴿وكان اللَّه غفورًا رحيمًا﴾ (لمن)[1] آمن.

﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾ وهم المنافقون: ﴿ذرونا﴾ يقولونه للمؤمنين ﴿نتبعْكم﴾ وهذا حين أرادوا أن يخرجوا إلى خَيْبَر أحبوا الخروج ليصيبوا من الغنيمة، وقد كان اللَّه وعدها النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يترك ﷺ أحدًا من المنافقين يخرج معه إلى خيبر أمره اللَّه بذلك، وإنما كانت لمن شهد بيعة الرضوان يوم الحديبية ﴿يريدون أن يبدلوا كلام اللَّه قل لن تتبعونا﴾ أي: لن تخرجوا معنا ﴿كذلكم قال اللَّه من قبل﴾ ألا تخرجوا ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ إنما تمنعوننا من الخروج معكم للحسد ، قال اللَّه: ﴿بل كانوا لا يفقهون إلا قليلًا﴾ عن اللَّه، ثم استثنى المؤمنين فقال: ﴿إلا قليلًا﴾ فهم الذين يفقهون عن اللَّه.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قومٍ أولي بأس شديد﴾ والبأس: القتال.

﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ أي: تقاتلونهم على الإسلام.

قال الحسن ومجاهد: هم أهل فارس ﴿فإن تطيعوا يؤتكم اللَّه أجرًا حسنًا وإن تتولوا كما توليتم من قبل﴾ قال الكَلْبي: يوم الحديبية.

(١) تكررت في الأصل.

عَذَرَ اللَّه عند ذلك أهلَ الزّمانة[١] فقال: ﴿ليس على الأعمى حرجٌ﴾ إثمٌ ﴿ولا على الأعرج حرجٌ﴾ أن يتخلَّفوا عن الغزوة ﴿ولا على المريض حرجٌ﴾ فصارت رخصة لهم في الغزو، ووضع عنهم.

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

﴿لقد رضي اللَّه عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ قال جابر بن عبد اللَّه: «كانت سَمُرةً[٢] بايعناه تحتها وكنا أربع عشرة مائة - يريد ألفًا وأربعمائة - وعمر آخذٌ بيده فبايعناه كلنا غير جد بن قيس اختبأ تحت إبط بعيره. قال جابر: ولم نبايع عند شجرة إلا الشجرة التي بالحديبية»[٣].

قال: ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ أنهم صادقون ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ تفسير الحسن: السكينة: الوقار ﴿وأثابهم فتحًا قريبًا﴾ خيبر ﴿ومغانم كثيرة

---

(١) أي: المرض الشديد الملازم زمانًا، والذي أقعدهم دون الغزو.

(٢) ضرب من الشجر العظيم وجمعه: سَمُر، وأسْمُر. لسان العرب (سمر).

(٣) رواه مسلم (٤/١٤٨٣ - ١٤٨٤ رقم ١٨٥٦) وبعضه في صحيح البخاري (٣٥٧٦ ، ٤١٥٢، ٤١٥٣ ، ٤١٥٤ ، ٤٨٤٠ ، ٥٦٣٩).

يأخذونها﴾ يأخذها المؤمنون إلى يوم القيامة ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها (...)[١]﴾ .

﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾ وهم أسد وغطفان كانوا (...)[٢] خيبر، وكان (ل٣٣١) الله قد وعد نبيه خيبر؛ فأمر رسول الله ﷺ أن يوجهوا راياتهم إذا هموا إلى غطفان وأسد (...)[٢] ذلك، فألقى الله في قلوبهم الرعب، فهربوا من تحت ليلتهم[٣] فهو قوله: ﴿وكفَّ أيدي الناس عنكم...﴾ إلى آخر الآية؛ هذا تفسير الكلبي.

قوله: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ بعد ﴿قد أحاط الله بها﴾ يقول: أعلم أنكم ستظفرون بها وتفتحونها؛ يعني: كل غنيمة يغنمها المسلمون إلى يوم القيامة ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ في تلك الحال ﴿لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليًّا﴾ يمنعهم من ذلك القتل الذي يقتلُهم المؤمنون ﴿ولا نصيرًا﴾ ينتصر لهم ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ أي: بقتل من أظهر الشرك، إذْ أُمِرَ النبي بالقتال.

قال محمدٌ: ﴿سنة الله﴾ منصوب بمعنى: سنّ الله سنةً.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) طمس في الأصل نحو أربع كلمات.
(٢) طمس في الأصل.
(٣) هكذا في الأصل: ولعل المراد: هربوا تحت ظلام الليل. والله أعلم.

مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾﴾

﴿وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ قال الكَلْبي: كان هذا يوم الحديبية؛ فإن المشركين من أهل مكّة كانوا قاتلوا رسول اللَّه عليه السلام وكان شيءٌ من رمْي نَبْلٍ وحجارة بين الفريقين ثم هزم اللَّه المشركين وهم ببطن مكة، فهُزِمُوا حتى دخلوا مكة، ثم كفَّ اللَّه بعضهم عن بعضٍ.

﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ صدّ المشركون رسول اللَّه ﷺ عن البيت، فنحر ونحر أصحابه الهدي بالحديبيّة، وهو قوله: ﴿والهدي معكوفًا﴾ أي: محبوسًا ﴿أن يبلغ محله﴾.

قال محمدٌ: يقال: عَكَفْتُه عن كذا إذا حبَسْته، ومنه: العاكف في المسجد، إنما هو الذي يَحْبِس نفسه فيه[1]: والمحِلُّ: المَنْحَرُ[2]. ونصب (والهَدْيَ) على معنى: صدوكم وصدوا الهَدْيَ معكوفًا[3].

﴿ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ﴾ بمكة يدينون بالتقية ﴿لم تعلموهم أن تطئوهم﴾ فتقتلوهم ﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ إثم ﴿بغير علم﴾ أي: فتقتلوهم بغير علم ﴿ليدخل اللَّه في رحمته﴾ يعني: الإسلام ﴿من يشاء﴾

---

(١) لسان العرب (عكف).

(٢) لسان العرب (حلل).

(٣) وفيه تفصيل نحوي واسع. ينظر: إعراب القرآن (٣/ ١٩٣) البيان (٢/ ٣٧٨)، البحر (٨/ ٩٨).

فيسلموا، وقد فعل الله ذلك.

قال الله: ﴿لو تزيّلوا﴾ أي: زال المسلمون من المشركين، والمشركون من المسلمين، فصار المشركون مَحْضًا ﴿لعذبنا الذين كفروا منهم عذابًا أليمًا﴾ أي: لسلّطناكم عليهم فقتلتموهم.

﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحَمِيَّة﴾ هم المشركون؛ صدوا نبيَّ الله يوم الحديبية عن المسجد الحرام، وحُبِسَ الهدي أن يبلغ محله، وإنما حملهم على ذلك حَمِيَّةُ الجاهلية والتَّمَاسُك بها ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى﴾ لا إله إلا الله ﴿وكانوا أحق بها وأهلها﴾ في الدنيا، وعليها وقع الثواب في الآخرة.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلُن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ كان رسول الله عليه السلام - في تفسير الكلبي - رأى في المنام في خروجه إلى المدينة كأنه بمكّة، وأصحابه قد حلقوا وقصروا؛ فأخبر رسول الله بذلك المؤمنين، فاستبشروا وقالوا: وَحْيٌ . فلما رجع رسول الله من الحديبيّة ارتاب ناس؛ فقالوا: رأى فلم يكن الذي رأى، فقال الله - عز وجل -: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾.

قال محمدٌ: ذكر بعض العلماء أن العرب تستثني في الأمر الذي لابُدَّ منه، ومنه قول اللَّه - عز وجل -: ﴿لتدخلن المسجد الحرام﴾ فعزم لهم بالدخول، واستثنى فيه.

قال يحيى: وكان رسول اللَّه صالح المشركين على أن يرجع عامه ذلك، ويرجع من قابل، ويقيم بمكة ثلاثة أيام، فنحر رسول اللَّه ﷺ وأصحابه الهدي بالحُدَيبية، وحلقوا وقصروا ثم أدخله اللَّه العام المقبل مكة وأصحابه آمنين فحلقوا وقصروا.

﴿فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحًا قريبًا﴾ فتح خيبر.

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق﴾ (ل ٣٣٢) الإسلام ﴿ليظهره على الدين كله﴾ تفسير الحسن: حتى يحكم على الأديان. وتفسير ابن عباس: حتى يظهر النبي على الدين كله؛ أي: على شرائع الدين كلها، فلم يقبض رسول اللَّه حتى أتمَّ اللَّهُ ذلك .

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

﴿أشداء على الكفار رحماءُ بينهم﴾ يعني: متوادِّين ﴿تراهم ركعًا سجدًا﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿يبتغون فضلًا من اللَّه ورضوانًا﴾ بالصلاة والصَّوْم والدين كله ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ قال بعضهم: سيماهم في الآخرين يقومون غرًا مُحجَّلين من أَثَرِ الوضوء ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾

أي: نَعْتُهم ﴿ومثلهم في الإنجيل﴾ أي: ونعتهم في الإنجيل ﴿كزرع أخرج شطأه﴾ النعت الأول في التوراة، والنعت الآخر في الإنجيل و (شطأه): فِراخه ﴿فآزره﴾ فشدَّه ﴿فاستغلظ﴾ أي: فاشتد ﴿فاستوى على سوقه﴾ أي: أصوله.

قال محمدٌ: يقال: قد أشطأ الزرع فهو مُشْطِئ إذا أفرخ[1].

ومعنى (آزره): أعانه وقوَّاه[2]، و(السُّوق) جمع: ساق[3].

﴿يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ أي: يخرجون فيكونون قليلًا كالزرع حين يخرج ضعيفًا فيكثرون ويَقْوَوْن، فشبَّههم بالزرْع يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. يقول: إنما يفعل ذلك بهم ليغيظ بهم الكفار ﴿وعد اللَّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾ يعني: الجنة.

❊ ❊ ❊

---

(١) لسان العرب (شطأ).

(٢) لسان العرب (وزر).

(٣) لسان العرب (سوق).

تفسير سورة الحجرات
وهي مدينة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي اللَّه ورسوله...﴾ الآية، تفسير مجاهد: تفتاتوا على رسول اللَّه بشيء حتى يقضيه اللَّه على لسانه.

قال محمدٌ: يقال: فلان يقدم بين يدي الإمام وبين يدي أبيه؛ أي: يعجل بالأمر والنهي(١).

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم...﴾ الآية، تفسير الحسن: أن ناسًا من المنافقين كانوا يأتون النبي فيرفعون أصواتهم فوق صوته، يريدون بذلك أَذاه والاستخفاف به، فنسبهم إلى ما أعطوا من الإيمان في الظاهر، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ يقول: لا تقولوا: يا محمد، وقولوا: يا رسول اللَّه، ويا نبي اللَّه ﴿أن تحبط أعمالكم﴾.

قال محمدٌ: المعنى: فيكون ذلك سَببًا لأن تحبط أعمالكم.

---

(١) لسان العرب (قدم).

﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول اللَّه﴾ فيعظِّمونه بذلك؛ فلا يرفعونها عنده ﴿أولئك الذين امتحن اللَّه قلوبهم﴾ أخلص اللَّه قلوبهم ﴿للتقوى﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات...﴾ الآية، تفسير الكلبي: بلغنا أن ناسًا من بَني العَنْبر، وكان رسول اللَّه وأصحابه قد أصابوا من ذراريهم فأقبلوا ليقادوهم، فقدموا المدينة ظُهْرًا فإذا هم بذراريهم عند باب المسجد، فبكى إليهم ذراريهم فنهضوا فدخلوا المسجد، وعجلوا أن يخرج إليهم النبي، فجعلوا يقولون: يا محمد، اخرج إلينا.

قال اللَّه: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم﴾ تفسير الحسن: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم؛ فعظموك ووقروك، لكان لهم خيرًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ...﴾ الآية، تفسير الكلبي: بلغنا أن رسول اللَّه ﷺ بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق وهم حيٌّ من خزاعة؛ ليأخذ منهم صدقاتهم، ففرحوا بذلك وركبوا يَلْتمسونه، فبلغه أنهم قد

ركبوا يتلقونه، وكان بينهم وبين الوليد ضِغْنٌ في الجاهلية، فخاف الوليد أن يكونوا إنما ركبوا إليه ليقتلوه، فرجع إلى رسول اللَّه ولم يلقهم فقال: يا رسول اللَّه، إن بني المصطلق منعوا صَدَقاتهم، وكفروا بعد إسلامهم (. . .)[١] قالوا: يا رسول اللَّه، (. . .)[٢] إلينا (ل٣٣٣) (. . .)[٣] إنما رده غضبة غضِبْته علينا؛ فإنا نعوذ باللَّه من غضبه وغضب رسوله. فأنزل اللَّه [عذرهم][٤] في هذه الآية.

﴿واعلموا أن فيكم رسول اللَّه﴾ مقيمًا بينكم؛ فلا تضلون ما قبلتم منه ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ أي: في دينكم، العنتُ: الحرج والضيق[٥] ﴿ولكن اللَّه حبّب إليكم الإيمان وزيّنه في قلوبكم﴾ بما وعدكم عليه من الثواب ﴿وكَرَّهَ إليكم الكفر والفسوق﴾ الفسوق والعصيان واحدٌ ﴿أولئك هم الراشدون﴾ الذين حبَّب إليهم الإيمان ﴿فضلًا من اللَّه ونعمة﴾ أي: بفضل من اللَّه ونعمته فعل ذلك بهم ﴿واللَّه عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في أمره.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ تفسير الكلبي: بلغنا

---

(١) طمس في الأصل نحو نصف سطر.
(٢) طمس في الأصل قدر ثلاث كلمات.
(٣) طمس في الأصل قدر سطر.
(٤) مشتبهة في الأصل، ولعلها كما أثبته.
(٥) لسان العرب (عنت).

«أن رسول الله ﷺ أقبل على حمارٍ حتى وقف في مجلس من مجالس الأنصار؛ فكره بعض القوم موقفه، وهو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، فقال له: خل لنا سبيل الريح من نتن هذا الحمار، أف! وأمسك بأنفه، فمضى رسول الله وغضب له بعض القوم، وهو عبد الله بن رواحة فقال: ألرسول الله قلت هذا القول؟! فوالله لَحِمَارهُ أطيبُ ريحًا منك! فاستبَّا ثم اقتتلا واقتتلت عشائرهما، فبلغ ذلك رسول الله، فأقبل يصلح بينهما؛ فكأنهم كرهوا ذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾»[1].

قال محمدٌ: قوله: ﴿اقتتلوا﴾ يريد جماعتهم، وقوله: ﴿بينهما﴾ يريد الطائفتين[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ تفسير مجاهد: لا يهزأ قوم بقوم ورجال من رجال ﴿عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكن خيرًا منهن ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي: لا يطعن بعضُكم على بعضٍ ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ تفسير الحسن: يقول الرّجُل للرجل - قد كان يهوديًا

---

(١) روى البخاري (٥/ ٣٥١ رقم ٢٦٩١)، ومسلم (٣/ ١٤٢٤ رقم ١٧٩٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه نحوه.

(٢) ينظر الدر المصون (٦/ ١٧٠).

أو نصرانيًا؛ فأسلم -: يا يهودي، يا نصراني، أي: يدعونه باسمه الأول، ينهى اللَّه المؤمنين عن ذلك وقال: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ بئس الاسم: اليهودية والنصرانية بعد الإسلام.

قال محمدٌ: الألقاب والأنباز واحدٌ[1]، المعنى: لا تتداعَوْا بها، وهو تفسير الحسن.

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثمٌ﴾ تفسير الحسن: إذا ظننت بأخيك المسلم ظنًّا حسنًا؛ فأنت مأجورٌ، وإذا ظننت به ظنًّا سيئًا؛ فأنت آثِمٌ ﴿ولا تجسَّسوا﴾ لا يتَّبع الرجل عَوْرة أخيه المسلم.

يحيى: عن النضر بن بلال، عن أبان بن أبي عيَّاش، عن أنس بن مالك «أن رسول اللَّه ﷺ خرج يومًا فنادى بصَوْت أسمع العواتقَ في الخُدُورِ: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تعيبوهم ولا تتَّبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع اللَّه عورته؛ ومن يتبع اللَّه عورته فضحه في بيته»[2].

قوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه﴾ قال الكلبي: «إن رسول اللَّه ﷺ قال لقوم اغتابوا رجلَيْن: أيحبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا بعدما يموت؟! فقالوا: لا واللَّه يا رسول اللَّه، ما نستطيع أَكْله ولا نحبه. فقال رسول اللَّه: فاكرهوا الغيبة».

يحيى: عن عثمان، عن نعيم بن عبد اللَّه، عن أبي هريرة قال: قـال

---

(١) الدر المصون (٦/ ١٧١).

(٢) تقدم الكلام عليه في تفسير سورة الأحزاب، الآية: ٥٨ ، وأنه اختلف فيه على أبان بن أبي عياش، وأن له شواهد عن عدة من الصحابة.

رسولُ اللَّه ﷺ : «إذا ذكرتَ أخاك بما فيه فقد اغْتَبْتَهُ، وإذا ذكرتَهُ بما ليس فيه فقد بَهَتَّهُ»(١).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وجعلناكم شعوبًا وقبائل﴾ تفسير بعضهم: الشعوب: الأجناس،

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٣٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤٥٨) والبخاري في الأدب المفرد (٤٢٥) ومسلم (٤/ ٢٠٠١ رقم ٢٥٨٩) وأبو داود (٥/ ٣٠٣ رقم ٤٨٤١) والترمذي (٤/ ٢٩٠ رقم ١٩٣٤) والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٦٧ رقم ١١٥١٨) والدارمي (٢/ ٣٨٧ رقم ٢٧١٤) والطبري في تفسيره (٢٦/ ١٣٥ - ١٣٦): وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ.
وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.
ورواه ابن عدي في الكامل (٩/ ١٩٨ - ١٩٩) وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (١/ ٤٣٩ - ٤٤١ رقم ٧٩ ، ٨٠)وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/ ٤٥) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ.
ولما سُئل أبو حاتم عن هذا الطريق قال: هذا حديث منكر. علل الحديث (٢/ ١٣٠ رقم ١٨٨١).

والقبائل: قبائل العرب.

قال محمدٌ: واحد الشعوب: شَعب - بفتح العين[(١)] - والشِّعْب بالكسْر: الطريق؛ يعني: في الجبل[(٢)].

﴿لتعارفوا﴾ ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿إن أكرمكم عند اللَّه﴾ يعني: في المنزلة ﴿أتقاكم﴾ (في الدنيا)[(٣)].

﴿قالت الأعراب آمنا﴾ يعني: المنافقين (ل٣٣٤) من (...)[(٤)] ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ تفسير قتادة: ولكن قولوا: (...)[(٥)] السيف ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا اللَّه ورسوله﴾ في السر والعلانية ﴿لا يلتكم﴾ لا ينقصكم ﴿من أعمالكم شيئًا﴾.

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا باللَّه ورسوله ثم لمْ يرتابوا﴾ يشكوا ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل اللَّه أولئك هم الصادقون﴾ بما أعطوا من الإيمان مُخْلصة به قلوبهم، ليس كما صنع المنافقون.

﴿قل أتعلمون اللَّه بدينكم﴾ يعني: المنافقين أي: إنّ دينكم الذي تضمرون هو الشرك.

---

(١) هكذا في الأصل. والصواب: بفتح الشين؛ لأن واحد الشُّعوب: شَعْب - بإسكان العين - أما الشَّعَب بتحريك العين بالفتحة فهو بُعْد ما بين المنكبين، وما بين القَرْنين. وقيل: الشعوب في العجم، والقبائل في العرب، والأسباط في العجم. ينظر: القاموس المحيط (شعب) الدر المصون (٦/ ١٧١).

(٢) ويُجمع الشِّعْب على: شِعاب، والشَّعْب على: شعوب. لسان العرب (شعب).

(٣) مشتبهة في الأصل، ولعلها كما أثبتها.

(٤) طمس في الأصل قدر كلمة.

(٥) طمس في الأصل قدر كلمتين.

﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾ تفسير الحسن: هؤلاء مؤمنون وليسوا بمنافقين، ولكنهم كانوا يقولون لرسول اللَّه: أسْلَمْنا قبل أن يسلم بنو فلان، وقاتلنا معك قبل أن يقاتل بنو فلان؛ فأنزل اللَّه: ﴿بل اللَّه يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ أي: إن كنتم صادقين عُرِفْتُم بالصدق، إن المنّة للَّه ولرسوله عليكم.

﴿إن اللَّه يعلم غيب السمٰوات والأرض﴾ سر السمٰوات والأرض ﴿واللَّه بصير بما تعملون﴾.

* * *

تفسير سورة ق وهي مكيّة كلها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾

قوله: ﴿قٓ﴾ تفسير بعضهم: هو جبل محيط بالدنيا[1].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٢١): ﴿ق﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور، كقوله ﴿ص﴾ و ﴿ن﴾ و﴿الم﴾ و﴿حم﴾ و﴿طس﴾ ونحو ذلك، قاله مجاهد وغيره وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ﴿ق﴾ جبل محيط بجميع الأرض يقال له: جبل قاف، وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس؛ لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه التي من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمور وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته؟! وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول، ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل - والله أعلم - وقد أكثر كثير من السلف =

قال محمدٌ: وروي عن ابن عباسٍ أنه قال: هُوَ جبل أخضر من زمرد، خضرة السماء منه. وذكر قطرب أن قراءة الحسن ﴿ق﴾ بالجزم[1].

قال يحيى: وبَعْضُهم يجر قاف والقرآن المجيد؛ يجعله على القسم، ومعنى (المجيد): الكريم على اللّه، ومن جزم جعل القسم مِن (والقرآن المجيد)[2].

قال الحسن: وقع القسم على تعجب المشركين مما جاء به محمدٌ.

قوله: ﴿بل عجبوا﴾ أي: لقد عجبوا؛ يعني: المشركين ﴿أن جاءهم منذرٌ منهم﴾ يعني: النبي عليه السلام منهم في النَّسَب ينذر من عذاب اللّه ﴿فقال الكافرون هذا شيءٌ عجيب﴾ أي: عجب ﴿أئذا متنا وكنا ترابًا﴾ على الاستفهام ﴿ذلك رجعٌ بعيد﴾ ينكرون البعث؛ أي: إنه ليس بكائن، قال اللّه: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا، تأكل كل شيءٍ إلا عَجْبَ الذَّنَب[3] ﴿وعندنا كتابٌ حفيظ﴾ تفسير بعضهم: يقول: هو اللوح المحفوظ ﴿فهم في أمر مريج﴾ مُلْتبسٍ؛ يعني: في شكٍّ من البعث.

﴿كيف بنيناها وزيناها﴾ يعني: بالكواكب ﴿وما لها من فروج﴾ من شقوق.

﴿وألقينا فيها رواسي﴾ الرواسي: الجبال أَثْبَتَ بها الأرضَ ﴿وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ حسن، وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج ﴿تبصرة﴾

= من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، ولله الحمد والمنة.

(١) كذا في الأصل، عزا قراءة الجزم للحسن، والمعروف أن قراءة الجزم للعامة، وقرأ الحسن بالكسر. انظر الجامع للقرطبي (١٧/ ١-٢) وإتحاف الفضلاء (٥١٤).

(٢) إعراب القرآن (٣/ ٢١١)، البيان (٢/ ٣٨٤)، البحر (٨/ ١٢٠).

(٣) مؤخرته عند رأس العُصْعُص. المعجم الوسيط (عجب).

أي: يتفكر فيه المؤمن، فيعلم أن الذي خلق هذا قادرٌ على أن يحيي الموتى، وأن ما وعد اللَّه من الآخرة حقٌ.

قال محمدٌ: (تبصرةً) منصوبٌ بمعنى: فصَّلنا ذلك للتبصرة، وليدل على القدرة[1].

﴿وذكرى لكل عبدٍ منيب﴾ مقبل إلى اللَّه بإخلاص له ﴿فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ وهو كل ما يحصد؛ في تفسير الحسن.

قال محمدٌ: (حب الحصيد) المعنى: الحب الحصيد، فأضاف الحب إلى الحصيد؛ كما يقال: صلاة الأولى؛ يراد الصلاة الأولى، ومسجد الجامع؛ يراد المسجدُ الجامع[2].

قوله: ﴿والنخل باسقات﴾ يعني: طوالًا.

قال محمدٌ: يقال: بسق الشيء بُسُوقًا إذا طال[3].

﴿لها طلع نضيد﴾ أي: منضودٌ بعْضُه فوق بعض ﴿رزقًا للعباد﴾ أي: أنبتناه رزقًا للعباد ﴿وأحيينا به﴾ بالمطر ﴿بلدة ميتًا﴾ يابسة ليس فيها نبات فأنبتت ﴿كذلك الخروج﴾ البعث. يرسل اللَّه مطرًا منيًا كمني الرجال ينبت به جسمانهم ولحمانهم، كما ينبت الأرض الثرى .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ

---

(١) أي: مفعول لأجله. ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٢١٣)، البيان (٢/ ٣٨٥) البحر المحيط (٨/ ١٢١).

(٢) وهو مذهب البصريين؛ لئلا يلزم إضافة الشيء إلى نفسه. ينظر: الدر المصون (٦/ ١٧٥).

(٣) لسان العرب (بسق).

جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قومك يا محمدُ ﴿قوم نوح وأصحاب الرس﴾ الرَّسُّ: بئر كان (ل٣٣٥) عليها قومٌ فنسبوا إليها.

﴿وإخوان لوط﴾ إخوان في النسب لا في الدين ﴿وأصحاب الأيكة﴾ الغيضة وقد فسَّرْنا أمرهم في سورة الشعراء[1] ﴿وقومُ تبع كلٌ كذب الرسل فحقّ وعيد﴾ يقول: جاءتهم الرسل يدعونهم إلى الإيمان، ويحذرونهم العذاب، فكذبوهم فجاءهم العذاب، يحذر بهذا مشركي العرب ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ تفسير الحسن: يعني: خلق آدمَ، أي: لم يعي به ﴿بل هم في لبس﴾ في شكٌ ﴿من خلق جديد﴾ يعني: البعث.

قال محمدٌ: المعنى: لم يعي بالخلق الأول، وكذلك لا يعيى بالخلق الثاني وهو البعث، وهو الذي أراد الحسن، ويقال: عَيِيَ بأمره يَعْيَى عَيَاءً، وأَعْيَا في المشي إعْيَاءً[2].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ ما تحدث به نفسه

---

(١) الشعراء: ١٧٦ .

(٢) لسان العرب (عيي).

﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ وهو نياط القلب.

قال محمدٌ: الوريد عرقٌ في باطن العنق، والحبل هو الوريد؛ فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظي اسمه[١].

قوله: ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ يعني: الملكين الكاتبيْن.

قال محمدٌ: يعني: يتلقيان ما يعمله ويَكْتُبَانه.

﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ أي: رصيدٌ يرصده ﴿ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد﴾ أي: حافظ حاضر يكتبان كل ما يلفظ به.

قال محمدٌ: ﴿قعيد﴾ أراد قعيدًا من كل جانب[٢]، فاكتفى بذكر واحد إذ كان دليلًا على الآخر، وقعيد بمعنى قاعد، كما يقال: قدير وقادر[٣].

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ بالبعث؛ أي: يموت ليبعث.

قوله: ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾ تهرب، قال الحسن: هو الكافر لم يكن شيء أبغض إليه من الموت ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ يعني: الموعود ﴿وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد﴾ سائق يسوقها إلى الجنة أو النار، وشاهد يشهد عليها بعملها، وتفسير بعضهم: هو ملكه الذي كتب عمله في الدنيا هو شاهد عليه بعمله.

﴿لقد كنت في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك﴾ غطاء الكفر ﴿فبصرك اليوم﴾ يعني: يوم القيامة ﴿حديد﴾ أي: بصيرٌ.

---

(١) الدر المصون (٦/ ١٧٧) وجامع القرطبي (١٧/ ٩).

(٢) أي: يراد به التثنية؛ لأن صيغة (فعيل) يستوي فيها الواحد والتثنية والجمع. ينظر كشف المشكلات (٢/ ١٢٦٥).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٨/ ١٢٣)، مجمع البيان (٥/ ١٤٤)، المخصص (١٧/ ٢٩).

قال محمدٌ: ﴿حديد﴾ في معنى: حاد، كما يقال: حفيظٌ وحافظ، ويقال: حدَّ بصره[1].

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿وقال قرينه﴾ هو الملك الذي كان يكتب عمله ﴿هذا ما لدي﴾ أي: عندي ﴿عتيد﴾ أي: حاضر؛ يعني: ما كتب عليه.

قال محمدٌ: (عتيدٌ) يجوز الرفع فيه بمعنى هو عتيدٌ[2].

قال اللَّه: ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾ أي: مُعَاند للحق مُجْتَنِبه ﴿مناع للخير﴾ للزكاة (مُعْتدٍ) هو من قِبَل العُدوان[3] ﴿مريب﴾ أي: في شكٍ من البعث.

قال محمدٌ: قوله: ﴿ألقيا في جهنّم﴾ قيل: يحتمل - واللَّه أعلم - أن يكون عَنَى السائق والشهيد؛ لقوله: ﴿معها سائق وشهيد﴾ فيكونا هما المأمورين، ويحتمل أن يكون واحدًا، وهي لغة بني تميم تقول: اذْهبا يا رجل، واذهبا يا قوم[4]، وقال الشاعر:

---

(١) ينظر المراجع السابقة، ولسان العرب (حدد).
(٢) ينظر: البيان (٢/ ٣٨٦)، البحر (٨/ ١٢٦)، إعراب القرآن (٣/ ٢٢٠).
(٣) لسان العرب (عدو).
(٤) ينظر: كشف المشكلات (٢/ ١٢٦٦)، مجمع البيان (٥/ ١٤٥)، البحر (٨/ ١٢٦).

فَإنْ تَزْجُراني يا ابْنَ مروان أَزْدَجِرْ وإنْ تَدَعَانِي أَحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعَا[١]

وجاء عن ابن عباس في قوله: ﴿فقلنا اذهبا﴾[٢] قال: يريد موسى وحده. قال ابن عباس: وقوله: ﴿ألقيا في جهنم﴾ هو من هذا.

﴿قال قرينه﴾ يعني: شيطانه ﴿ربنا ما أطغيته﴾ أي: ما أضللته بسُلْطان كان لي عليه ﴿ولكن كان في ضلالٍ بعيد﴾ من الهدى ﴿قال لا تختصموا لديّ﴾ عندي ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ في الدنيا ﴿ما يبدل القول لدّي﴾ أي: قد قضيت ما أنا قاضٍ ﴿يوم يقول[٣] لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد﴾ تفسير مجاهد: وعدها ليملأها، فقال: أوفيتُكِ؟ فقالت: أو هل من مسلك؟ أي: قد امتلأت.

قال محمدٌ: ﴿يومَ﴾ نصب على معنى [واذكر][٤] يوم يقول، وقد يكون على معنى: ما يُبَدَّل القول لدي في ذلك اليوم[٥]. والله أعلم بما أراد.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾

---

(١) البيت من بحر الطويل، ويروى: (يا بن عفان) بدل (يابن مروان) وهو لسويد بن كراع. ينظر: الصاحبي (١٨٦)، شرح شواهد الشافية (٤٨٤) الدر المصون (٦/ ١٧٨).

(٢) الفرقان: ٣٦ .

(٣) قرأ نافع وأبو بكر: ﴿يقول﴾ بالياء، وقرأ الباقون: ﴿نقول﴾ بالنون. النشر (٢/ ٣٧٦) وإتحاف الفضلاء (٥١٤) وتفسير القرطبي (١٧/ ١٨).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من الدر المصون (٦/ ١٧٩).

(٥) أي: أن النصب على الظرف أو المفعول به. ينظر: البحر (٨/ ١٢٥) الدر المصون (٦/ ١٧٩).

﴿وأزلفت الجنة﴾ أي: أدنيت ﴿للمتقين﴾.

﴿هذا ما توعدون﴾ يعني: الجنة ﴿لكل أواب حفيظ﴾ (ل٣٣٦) الأَوَّاب: الراجع عن ذنبه ﴿وجاء بقلب منيب﴾ أي: لقي الله (...)[1].

﴿ادخلوها بسلام﴾ تفسير السُّدي: تقوله لهم الملائكة ﴿ذلك يوم الخلود﴾.

يحيى: عن عثمان، عن نافع، عن ابن عمر قال: سمعتُ رسول الله يقول: «إذا دخل أهلُ الجنة الجنة وأهلُ النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة، خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت»[2].

﴿لهم ما يشاءون فيها﴾ إذا اشتهوا الشيء جاءهم من غير أن يدعوا به ﴿ولدينا مزيد﴾.

يحيى: عن المسعودي، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن عتبة[3]، عن ابن مسعودٍ قال: «سارعوا إلى الجمع في الدنيا؛ فإن الله -

---

(١) طمس في الأصل قدر كلمتين.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٣٠) وعبد بن حميد (٢٤٥ رقم ٧٦١) والبخاري (١١/ ٤١٤ رقم ٦٥٤٤) ومسلم (٤/ ٢١٨٩ رقم ٢٨٥٠/ ٤٢) وغيرهم من طريق نافع به.
ورواه الإمام أحمد (٢/ ١١٨، ١٢٠ - ١٢١) والبخاري (١١/ ٤٢٣ رقم ٦٥٤٨) ومسلم (٤/ ٢١٨٩ رقم ٢٨٥٠/ ٤٣) وابن حبان (١٦/ ٥١٥ رقم ٧٤٧٤) وغيرهم من طريق محمد ابن زيد عن ابن عمر رضي الله عنهما به.
ورواه البخاري (٨/ ٢٨٢ رقم ٤٧٣٠) ومسلم (٤/ ٢١٨٨ - ٢١٨٩ رقم ٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
ورواه البخاري (١١/ ٤١٤ رقم ٦٥٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كذا في الأصل، وكذا نقله القرطبي في تفسيره (١٧/ ٢١، ١٨/ ١١٨) وفي التذكرة (٥٧٧) عن يحيى بن سلام به، وقد جاء في كل الكتب التي روت الحديث «عن أبي عبيدة» مهملا، إلا المختار من الإبانة ففيه: «عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود» وسيأتي في كلام =

عز وجل - يبرز لأهل الجنة في كل يوم جمعة في كثيبٍ من كافور أبيض، فيكونون منه في القرب كمسارعتهم إلى الجمع في الدنيا، فيُحْدِث لهم من الكرامة شيئًا لم يكونوا رأوه قبل ذلك»[1].

قال يحيى: وسمعتُ غير المسعودي يزيد فيه: وهو قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾.

يحيى: عن خالد، عن عمرو بن عُبيد، عن بكر بن عبد اللَّه المزني، قال:

= المنذري والهيثمي أنه «أبو عبيدة بن عبد اللَّه بن مسعود»، وذكره ابن حجر في إتحاف المهرة (١٠/ ٥٣٤ - ٥٣٥ رقم ١٣٣٦٨) في أحاديث أبي عبيدة بن عبد اللَّه بن مسعود عن أبيه، قال: ولم يسمع منه.

(١) رواه ابن المبارك في الزهد - زوائد نعيم بن حماد (١٣١ رقم ٤٣٦) - ومن طريقه عبد اللَّه ابن أحمد في السنة (١/ ٢٥٩ رقم ٤٧٦) والدارقطني في الرؤية (٢٦٨ رقم ١٦٥) - عن المسعودي به.
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٣٨ رقم ٩١٦٩) من طريق أبي نعيم عن المسعودي به.
ورواه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٢/ ٢٢٧ - ٢٢٨ رقم ٣٩٦) من طريق أبي النضر عن المسعودي به.
ورواه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٨٩٣ رقم ٦٠٢) من طريق أبي داود الطيالسي عن المسعودي به.
ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٦٨ - ٢٦٩ رقم ١٦٦) وابن بطة في الإبانة - المختار من الإبانة (٤٢ - ٤٣ رقم ٣١) - من طريق شبابة بن سوار عن المسعودي به.
ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق١٣ - أ) من طريق يحيى بن كثير عن المسعودي به.
قال المنذري في الترغيب (١/ ٥٠٣): رواه الطبراني في الكبير، وأبو عبيدة اسمه عامر، ولم يسمع من أبيه عبد اللَّه بن مسعود ﷺ وقيل: سمع منه.
وقال الذهبي في العلو (١/ ٥٨٥): موقوف حسن.
وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ١٧٨): رواه الطبراني في الكبير، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.
وقال ابن حجر في إتحاف المهرة (١٠/ ٥٣٥): قلت: فيه علتان.

«إن أهل الجنة ليَرَوْن ربهم في مقدار كل عيد هو لكم - كأنه يقول: في كل سبعة أيام - مرة، فيأتون ربَّ العزة في حُلَلٍ خُضر (وجوههم مشرقة)[١] وأساور من ذهب مُكَلَّلةٍ بالدُّر والزُّمُرُّد وعليهم أكاليل (الدر)[٢] ويركبون نجائبهم[٣] ويستأذنون على ربهم فيدخلون عليه؛ فيأمر لهم ربنا بالكرامة»[٤].

قال يحيى: وأخبرني رجلٌ من أهل الكوفة، عن داود بن أبي هند، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم في كل يوم جمعة في كثيب من كافور لا يُرى طرفاه، وفيه نهر جارٍ حافتاه المِسْك عليه جوارٍ يقرأن القرآن بأحسن أصوات سمعها الأوَّلون والآخرون؛ فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل ما شاء منهن، ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم، فلوْلا أن الله يهديهم إلى منازلهم ما اهتدوا إليها؛ لما يحدث الله لهم في كل يوم جمعة»[٥].

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾

وقوله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ يعني: قبل مشركي العرب ﴿من قرن هم

---

(١) في التذكرة: ووجوه مشرقة.
(٢) في التذكرة: الذهب.
(٣) النجيب: الفاضل من كل حيوان، وقد نَجُب يَنْجُب نجابة؛ إذا كان نفيسًا في نوعه. النهاية (٥/١٧).
(٤) عزاه القرطبي في التذكرة (ص٥٧٧) ليحيى بن سلام فقط.
(٥) ذكره القرطبي في التذكرة (ص٥٧٦ - ٥٧٧) عن يحيى بن سلام بإسناده إلى الحسن.

أشد منهم بطشًا﴾ يعني: قوة ﴿فنقبوا في البلاد﴾ أي: جوّلوا؛ في قراءة من قرأها بالتثقيل، يقول: جوَّلوا في البلاد حين جاءهم العذاب، ومن قرأها بالتخفيف يقول: فجالوا في البلاد[1] ﴿هل من محيص﴾ هل من ملجأ يلجئون إليه من عذاب اللَّه، فلم يجدوا ملجأً حتى هَلَكُوا.

قال محمدٌ: (نقَّبوا في البلاد) أي: طافوا وفتَّشوا[2]، وهو الذي أراد يحيى، ومثله قول امرئ القيس:

وَقَدْ نَقَّبْتُ في الآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ[3]

قوله: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ وهو المؤمنّ ﴿أو ألقى السمع وهو شهيد﴾ تفسير مجاهد: أو ألقى السمع، والقلب شهيد.

قال محمدٌ: المعنى: استمع كتاب اللَّه وهو شاهدُ القلب والفهم، ليس بغافلٍ ولا ساهٍ، وهذا ما أراد مجاهد.

﴿ولقد خلقنا السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ واليوم منها ألف سنة ﴿وما مسنا من لغوب﴾ من إعياء؛ وذلك أن اليهود - أعداءُ اللَّه - قالت: لما فرغ اللَّه من خلق السمٰوات والأرض أعيى فاستلقى ووضع إحدى رجليْه على الأخرى استراح. فأنزل اللَّه: ﴿ولقد خلقنا السمٰوات والأرض...﴾ الآية، ليس كما قالت اليهود.

قال محمدٌ: الأجود في القراءة (لُغُوب) بضم اللام[4] يقال منه: لَغَبَ -

---

(١) ينظر البحر المحيط (٨/ ١٢٩)، الدر المصون (٦/ ١٨١).

(٢) لسان العرب (نقب).

(٣) البيت من بحر الوافر. ينظر: ديوانه (٩٩)، الكامل (٢/ ١٤٣)، العمدة (١/ ١٠٣).

(٤) العامة على ضم لام (لغوب)، وقرأ علي وطلحة والسلمي ويعقوب بفتحها. ينظر الدر المصون (٦/ ١٨١)، البحر (٨/ ١٢٩).

بفتح الغين - لَغَبًا ولُغُوبًا، وفيه لغة أخرى: لَغِبَ - بكسر الغين - واللُّغوب: الإعياء[1].

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ ما يقول لك قومك: أنك ساحر، وأنك شاعر، وأنك كاهن، وأنك مجنون، وأنك كاذب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ تفسير الحسن: يعني: صلاة الصبح والظهر والعصر ﴿ومن الليل فسبحه﴾ يعني: صلاة المغرب وصلاة العشاء (ل٣٣٧) ﴿وإدبار السجود﴾.

يحيى: عن عثمان، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحارث، عن علي قال: «سئل رسول الله ﷺ عن ﴿أدبار السجود﴾ فقال: هما (الركعتين)[2] بعد صلاة المغرب، وسئل عن ﴿إدبار النجوم﴾[3] فقال: هما الركعتان قبل صلاة الصبح»[4].

---

(١) لسان العرب (لغب).

(٢) هكذا في الأصل. والصواب: الركعتان.

(٣) الطور: ٤٩ .

(٤) رواه مسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/ ١٦١ رقم ٣٧٣٨) - عن عبد الوارث، عن محمد بن إسحاق، عن أبي إسحاق به

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٢١) لابن المنذر وابن مردويه في تفسيريهما أيضًا.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ١٨٠) من طريق عنبسة وسفيان والأجلح - من رواية مصعب ابن سلام عنه - كلهم عن أبي إسحاق ، عن الحارث، عن علي ﷺ موقوفًا.

ولما سئل الدارقطني على هذا الحديث قال في العلل (٣/ ١٧٧ رقم ٣٤٠): يرويه أبو إسحاق السبيعي، واختلف عنه:

رواه ابن عيينة والعلاء بن المسيب وإسرائيل والثوري عن أبي إسحاق موقوفًا.

واختلف عن الأجلح: فرواه يعلى بن عبيد وأبو معاوية عن الأجلح عن أبي إسحاق =

قال محمدٌ: ومن قرأ ﴿وإدبار﴾[1] بكسر الألف فعلى المصدر، يقول: أَدْبَرَ إِدْبارًا.

﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

قوله: ﴿واستمع﴾ أي: إنك ستستمع ﴿يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ والمنادي: صاحب الصور، ينادي من الصخرة من بيت المقدس؛ في تفسير

= موقوفًا أيضًا.

وخالفهما محمد بن كثير الكوفي رواه عن أجلح، ورفعه إلى النبي ﷺ.

وكذلك رواه محمد بن إسحاق عن أبي إسحاق – من رواية عبد الوارث عنه – مرفوعًا أيضًا.

والصحيح موقوف . اهـ.

وقال البوصيري في مختصر الإتحاف (٢/ ٤٠٦): رواه مسدد بسند ضعيف؛ لضعف الحارث الأعور، وتدليس ابن إسحاق.

ورواه الترمذي (٥/ ٣٦٦ رقم ٣٢٧٥) والطبري في تفسيره (٢٦/ ١٨١) وابن عدي في الكامل (٤/ ٦٧) والحاكم (١/ ٣٢٠) من طريق محمد بن فضيل، عن رشدين بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. فتعقبه الذهبي بقوله: رشدين ضعفه أبو زرعة والدارقطني.

وضعف هذا الحديث ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٣٠) وابن رجب في فتح الباري (٣/ ١٨) وابن حجر في الفتح (٨/ ٤٦٣).

(١) قرأ نافع وابن كثير وحمزة ﴿إدبار﴾ بكسر الهمزة، والباقون بالفتح (أدبار) جمع (دبر). ينظر البحر المحيط (٨/ ١٣٠)، الدر المصون (٦/ ١٨٢)، النشر (٢/ ٣٧٦).

قتادة. قال: وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلًا.

﴿تشقق الأرض عنهم سراعًا﴾ إلى المنادي - صاحب الصور - إلى بيت المقدس قال عز وجل: ﴿ذلك حشرٌ علينا يسير﴾ هَيِّنٌ ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أنك شاعرٌ، وأنك ساحرٌ، وأنك كاهِنٌ، وأنك كاذبٌ، وأنك مجْنُونٌ؛ أي: فسيجزيهم بذلك النار ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بربٍّ تجبرهم على الإيمان.

قال محمدٌ: وقد قيل: ليس هو من: أجبرت الرَّجُل على الأمر إذا قهرته عليه، لا يقال من ذلك فعَّال؛ والجبار: الملك، سمي بذلك؛ لتجبره[(١)]، فالمعنى على هذا: لست عليهم بِمَلِكٍ مسلَّطٍ، إنما يؤمن من يريد اللَّه أن يؤمن، وهذه منسوخة نسختها القتال[(٢)].

﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي﴾[(٣)] وهو المؤمن يقبل التذكرة، أي: إنما يقبل نَذَارتك بالقرآن من يخاف وعيدي؛ أي: وعيدي بالنار.

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٦/ ١٨٥) وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٨).
(٢) الناسخ والمنسوخ (٨٦).
(٣) أثبت الياء وصلا ورش، وأثبتها في الحالين يعقوب، النشر (٢/ ٣٧٦).

تفسير سورة والذاريات
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)﴾

قوله: ﴿والذاريات ذروًا﴾ وهي الرياح، ذَرْوُها: جَرْيها ﴿فالحاملات وقرًا﴾ السَّحاب ﴿فالجاريات يسرًا﴾ السُّفن تجري بتيسير اللَّه ﴿فالمقسمات أمرًا﴾ الملائكة.

قال محمدٌ: يقال: ذَرَتِ الريحُ تَذْرُو ذرْوًا إذا فَرَّقت التراب وغيره فهي ذاريةٌ. وفيه لغة أخرى: أَذْرَت فهي مُذْرِية ومُذْرِيات للجماعة[(١)].

ومعنى ﴿فالحاملات وقرًا﴾: أن السحاب تحمل الوِقْر[(٢)] من الماء. ورأيت في تفسير ابن عباس أن معنى: ﴿فالمقسمات أمرًا﴾ أن اللَّه قسم للملائكة الفعل.

قال يحيى: أقسم بهذا كله ﴿إن ما توعدون لصادق﴾ لصدق، يعني: يوم البعث ﴿وإن الدين﴾ الحساب ﴿لواقع﴾ لكائن.

---

(١) لسان العرب (ذرو).

(٢) الوِقر: كل ما يُوقر؛ أي: يُحْمل. لسان العرب (وقر) الدر المصون (٦/ ١٨٣).

﴿والسماء ذات الحبك﴾ تفسير ابن عباس: يعني: استواءها. وتفسير غيره مثل حُبُك الماء إذا هاجت الريح، ومثل حبك الزرع إذا أصابته الريح.

قال محمد: الحبك عند أهل اللغة: الطرائق (الإناء القائم)[١] إذا ضربته الريح فصارت فيه طرائق له حُبُك، وكذلك الرمل إذا هبَّتْ عليه الريح فرأيتَ فيه الطرائق فذلك حُبُكه، واحدها: حِبَاكٌ مثل مِثَال ومُثُل، ويكون واحدُها أيضًا: حبيكة مثل: طريقة وطرق[٢].

﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ أي: لفى اختلاف من البعث ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ يُصَدُّ عنه من صُدَّ عن الإيمان به ﴿قتل﴾ أي: لُعِنَ ﴿الخراصون﴾ الذين يكذبون بالبعث وذلك منهم تخرص ﴿الذين هم في غمرة﴾ أي: في غفلة. وقيل: في حيرة ﴿ساهون﴾ أي: لاهون لا يُحِقُّونه.

قال محمدٌ: تقول: تخرص على فلان الباطل إذا كذب، ويجوز أن يكون الخراصون الذين يتظنَّوْن الشيء لا يُحِقُّونه؛ فيعملون بما لا يدرون صحته[٣].

﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ أي: متى يوم الدين؟ وذلك منهم استهزاء وتكذيب، أي: لا يكون. قال اللّه: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ يحرقون بها.

قال محمدٌ: (يوم) منصوب بمعنى: يقع الجزاء ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾[٤].

---

(١) هكذا في الأصل. وفي كتب اللغة: طرائق الماء. لسان العرب (حبك).

(٢) ينظر الدر المصون (٦/ ١٨٤)، لسان العرب (حبك).

(٣) لسان العرب (خرص).

(٤) وفي نصبه أقوال أخرى. ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٢٣١)، مجمع البيان (٥/ ١٥٢)، البيان (٢/ ٣٨٩)، البحر (٨/ ١٣٥).

﴿ذوقوا فتنتكم﴾ حريقكم ﴿هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾ في الدنيا، لما كانوا يستعجلون بالعذاب في الدنيا استهزاءً وتكذيبًا.

قال محمدٌ: يقال للحجارة السود التي يحرق بها قد احترقت بالنار الفتين[١].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ وهي الأنهار ﴿آخذين ما آتاهم﴾ أعطاهم ﴿ربهم﴾ في الجنة.

قال محمدٌ: (آخذين) نصبٌ على الحال المعنى: في جناتٍ وعيون في حال أخذهم ما آتاهم (ل٣٣٨) ربهم[٢].

﴿كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون﴾ تفسير الحسن: يقول: كانوا لا ينامون منه إلا قليلًا.

﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾.

يحيى: عن خالد، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: «قال الله: إن من أحبِّ أحبَّائي إليَّ المشائين إلى المساجد المستغفرين بالأسحار

(١) هكذا في الأصل. وفي لسان العرب (فتن): الفتين: الأرض الحرّة السوداء، كأن حجارتها مُحْرَقة.
(٢) الدر المصون (٦/ ١٨٥).

المتحابين فيّ، أولئك الذين إذا أردتُ أهل الأرض بسوءٍ فذكرتهم صرفته عنهم بهم»[١].

قال محمدٌ: قوله: ﴿ما يهجعون﴾ جائز أن تكون (ما) مؤكدة صلة، وجائز أن يكون ما بعدها مصدرًا، المعنى: كانوا قليلًا من الليل هُجُوعُهم[٢].

﴿وفي أموالهم حقٌّ للسائل والمحروم﴾ السائل: الذي يسأل، والمحروم في تفسير الحسن: المتعفِّف القاعد في بيته الذي لا يسأل.

قوله: ﴿وفي الأرض آياتٌ﴾ أي: فيما خلق اللَّه فيها آياتٌ ﴿للموقنين﴾ .

﴿وفي أنفسكم﴾ أي: في بَدْء خَلْقكم من ترابٍ؛ يعني: آدم ثم خلق نسله من نطفة ﴿أفلا تبصرون﴾ يقوله للمشركين ﴿وفي السماء رزقكم﴾ المطر فيه أرزاقُ الخَلْقِ ﴿وما توعدون﴾ تفسير بعضهم يعني: من الوعد والوعيد من

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

وروى ابن عدي في الكامل (٥/ ٩٤) من طريق سعيد بن أشعث عن صالح المري عن جعفر ابن زيد عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن اللَّه - عز وجل - يقول: إني لأهم بأهل الأرض عذابًا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي وإلى المتحابين في وإلى المستغفرين بالأسحار صرفته عنهم».

وقال ابن عدي في آخر ترجمة صالح المري: ولصالح غير ما ذكرت، وهو رجل قاص حسن الصوت من أهل البصرة، وعامة أحاديثه التي ذكرت والتي لم أذكر منكرات ينكرها الأئمة عليه، وليس هو بصاحب حديث، وإنما أُتي من قلة معرفته بالأسانيد والمتون، وعندي مع هذا لا يتعمد الكذب؛ بل يغلط بينًا.

ورواه البيهقي في الشعب (٦/ ٢٠٩ - ٢١٠ رقم ٢٦٨٥) من طريق معاذ بن خالد، عن صالح، عن جعفر بن زيد وأبان وثابت، عن أنس ﷺ .

ورواه البهاء بن عساكر في المستقصي - كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٠) - من طريق منصور بن صقير عن ثابت عن أنس ﷺ .

وقال ابن عساكر: حديث غريب.

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٢٣٣)، مجمع البيان (٥/ ١٥٥)، البحر (٨/ ١٣٥).

السماء ﴿فورب السماء والأرض إنه﴾ أقسم بنفسه إن هذا القرآن ﴿لحقٌّ مثل ما أنكم تنطقون﴾.

قال محمدٌ: من نصب (مثلَ) فجائزٌ أن يكون على التوكيد بمعنى: إنه لحقٌ حقًّا مثل نطقكم[(١)].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾

﴿هل أتاك﴾ أي: قد أتاك ﴿حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ عند الله بالمنزلة والقربة؛ يعني: الملائكة الذين نزلوا به فبشروه بإسحاق، وجاءوا بعذاب قوم لوط ﴿إذ دخلوا عليه﴾ في صورة الآدميين ﴿فقالوا سلامًا﴾ أي: سلموا عليه ﴿قال سلامٌ﴾ ردّ عليهم ﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم حين لمْ يأكلوا من طعامه.

قال محمدٌ: ﴿قالوا سلامًا﴾ منصوبٌ [بتقدير][(٢)]: سلّمنا عليك سلامًا[(٣)].

وقوله: ﴿قال سلامٌ﴾ مرفوع بمعنى: قال: سلامٌ عليكم، ويجوز أن يكون على معنى: أمْرُنا سلامٌ[(٣)].

قوله: ﴿فراغ﴾ فمال ﴿إلى أهْله فجاء بعجل سمينٍ﴾ فلم يأكلوا.

---

(١) ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٢٣٥)، البيان (٢/ ٣٩١)، البحر (٨/ ١٣٦)، مجمع البيان (٥/ ١٥٤).

(٢) علامة لحق في الأصل، ولم يظهر بالحاشية شيء. والمثبت موافق لما في كُتُب إعراب القرآن.

(٣) ينظر: الدر المصون (٦/ ١٨٨).

قال محمدٌ: معنى (راغ): عدل إليهم في خُفْيَةٍ، قالوا: ولا يكون الرَّوَاغُ إلا أن تخفي مجيئك وذهابك[١].

﴿قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾ إسحاق.

قال محمدٌ: (أوجس) معناه: أضمَر[٢].

﴿فأقبلت امرأته في صرّة﴾ صيحة ﴿فصكت وجهها﴾ جبينها ﴿وقالت عجوزٌ عقيمٌ﴾ قالتِ ذلك تعجُّبًا؛ أي: كيف تلدُ وهي عجوزٌ؟!

وقال محمدٌ: (عجوزٌ) مرفوع بمعنى: أنا عجوزٌ[٣]، ويقال: عَقُمتِ المرأةُ عُقْمًا وعَقَمًا فهي بيِّنةُ العُقُومة، ورجلٌ عقيم أيضًا[٤].

﴿قالوا كذلكِ قال ربكِ﴾ أي: تلدي[٥] غلامًا اسْمُه: إسحاق .

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) لسان العرب (روغ).
(٢) لسان العرب (وجس).
(٣) الدر المصون (٦/ ١٨٩).
(٤) يقال: عَقَمَتِ المرأةُ والرجلُ عَقْمًا وعُقْمًا، وعَقُمَت عُقْمًا وعَقَمًا. فهو عَقيم، والجمع: عُقماء وعِقَام. وهي عَقِيم والجمع: عَقَائم وعُقُم. لسان العرب (عقم).
(٥) هكذا في الأصل، وهو خلاف الجادة. والصواب: تلدين.

﴿قال فما خطبكم﴾ فما أمْرُكم؟! ﴿قالوا إنا أُرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ مشركين؛ يعنون: قوم لوطٍ ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ قال ها هنا: ﴿من طين﴾ وقال في آية أخرى: ﴿من سجيل﴾[١].

قال محمدٌ: تفسير ابن عباس ﴿من سجيل﴾: من آجُرّ.

﴿مسوّمة﴾ أي: مُعْلَمَة أنها من حجارة العذاب، كان في كل حجر منها مثل الطابع.

﴿فأخرجنا﴾ فأنجينا ﴿من كان فيها﴾ في قرية لوطٍ ﴿من المؤمنين﴾ .

﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ يعني: أهل بيت لوط في القرابة، ومن كان معه من المؤمنين.

قال: ﴿وتركنا فيها﴾ أي: في إهلاكنا إياها ﴿آية للذين يخافون العذاب الأليم﴾ فيحذرون أن ينزل بهم ما نزل بهم ﴿وفي موسى﴾ أي: وتركنا في أمْر موسى ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾ بيِّن ﴿فتولى بركنه﴾ قال الكَلْبي: يعني: بجنوده ﴿ وقال ساحرٌ أو مجنون﴾ يعني: موسى.

قال محمدٌ: المعنى: هذا ساحرٌ أو مجنونٌ.

﴿فنبذناهم في اليم﴾ في البحر ﴿وهو مليمٌ﴾ مُذْنِبٌ، وذنبه: الشرك.

قال محمدٌ: يقال: ألامَ الرجُلُ إذا أتى بذنب يُلَامُ عليه[٢].

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ

---

(١) هود: ٨٢ ، الحجر: ٧٤ .
(٢) لسان العرب (لوم).

ﭐلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وفي عادٍ﴾ أي: وتركنا في عادٍ أيضًا آيةً، وهي مثل الأولى ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ التي لا تدع سحابًا ولا شجرًا وهي الدبور ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ (ل٣٣٩) مما مرّت به، وهو الإنسان ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ كرميم الشجر.

﴿وفي ثمود﴾ وهي مثل الأولى ﴿إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ إلى آجالكم بغير عذاب إن آمنتم، وإن عصيتم عذبتم ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ تركوا أمره ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ العذاب ﴿وهم ينظرون﴾ إلى العذاب ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ تفسير السُّدي: فما أطاقوا أن يقوموا للعذاب ﴿وما كانوا منتصرين﴾ ممتنعين.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وقوم نوح ...﴾ الآية.

قال محمدٌ: من قرأ ﴿قومَ نوحٍ﴾ بالنصب فعلى معنى: فأخذناه وجنوده، وأخذنا قوم نوح(١).

﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾ بقوة.

---

(١) قرأ الأخوان وأبو عمرو بجر الميم، والباقون بنصبها. وفي توجيه القراءتين تأويلات نحوية كثيرة. ينظر: الدر المصون (٦/ ١٩١).

قال محمدٌ: ﴿والسَّماء بنيناها﴾ المعنى: بنينا السماء بنيناها[١].

﴿وإنا لموسعون﴾ في الرزق ﴿والأرض فرشناها﴾ أي: وفرشناها كقوله: ﴿جعل لكم الأرض فراشًا﴾[٢] و﴿بِساطًا﴾[٣] و﴿مهادًا﴾[٤] ﴿فنعم الماهدون﴾.

قال محمدٌ: ﴿والأرض فرشناها﴾ أي: وفرشنا الأرض فرشناها، وقوله: ﴿فنعم الماهدون﴾ أي: فنعم الماهدون نحن.

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ تفسير الكلبي: هو كقوله ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾[٥] الذكر زوجٌ، والأنثى زوجٌ ﴿لعلكم تذكرون﴾ لكي تذَّكَّروا فتعلموا أن الذي خلق هذه الأشياء واحدٌ صَمَدٌ، جعلها لكم آية فتعتبروا ﴿ ففروا إلى اللَّه﴾ إلى دين اللَّه، أمر اللَّه النبي عليه السلام أن يقوله لهم: ﴿إني لكم منه نذيرٌ مبين﴾.

﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم﴾ من قبل قومك يا محمدُ، أي: هكذا ما أتى الذين من قبلهم ﴿من رسول إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون﴾.

قال محمدٌ: المعنى: إلا قالوا: هذا ساحرٌ أو مجنون.

﴿أتواصوا به﴾ على الاستفهام، أي: لَمْ يتواصَوْا به؛ لأنَّ الأمَّة الأولى لم تدرك الأمة الأخرى، قال: ﴿بل هم قوم طاغون﴾ مشركون.

---

(١) أي: النصب على الاشتغال. ينظر الدر المصون (٦/ ١٩٢).
(٢) البقرة: ٢٢ .
(٣) نوح: ١٩ .
(٤) النبأ: ٦ .
(٥) النجم: ٤٥ .

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿فتولَّ عنهم﴾ أي: فأعرض عنهم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فما أنت بملومٍ﴾ في الحجَّةِ؛ فقد أقمتها عليهم ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ إنما يَقبل التذكرة المؤمنون ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي: ليقروا لي بالعبودية[1] في تفسير ابن عباس.

قال يحيى: كقوله: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾[2] ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ أي: يرزقوا أنفسهم ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ أي: يطعموا أحدًا ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ الذي لا تضعف قُوَّته ﴿فإن للذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿ذنوبًا مثل ذنوب أصحابهم﴾ يعني: من مضى قبلهم من المشركين، تفسير سعيد بن جبير: الذَّنُوبُ: السَّجْلُ.

قال يحيى: والسَّجْلُ: الدَّلْوُ[3].

يحيى: عن تمام بن نجيح، عن الحسن ، عن أنس بن مالكٍ قال: قال

---

(١) كتب الناسخ قبالتها بالحاشية: «بالربوبية» كأنه يريد أن يثبتها في الأصل، والمعروف عن ابن عباس - رواية علي بن طلحة - في تفسير هذه الآية: «إلا ليقروا بالعبودية طوعًا وكرهًا». رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٢) ورجحه في تفسير الآية.

(٢) الزخرف: ٨٧ .

(٣) ويجمع الذَّنُوب على: أَذْنِبة وذَنَائب، والسَّجْل على: سُجول وسِجَال، والدلو على: أَدْلٍ ودِلاء ودُلِيّ. ينظر لسان العرب (ذنب - سجل - دلو).

رسول الله ﷺ: «لو أن غَرْبًا من جهنَّم وُضِعَ بالأرض لآذى حَرُّه ما بين المشرق والمغرب»[١]. قال تمام: والغَرْبُ: الدَّلْوُ العظيم[٢].

قال محمدٌ: الذَّنُوب في اللغة: الحظُّ والنصيبُ، وأصله: الدَّلْوُ العظيمة، وكانوا يستقون فيكون لكل واحدٍ ذَنُوبٌ، فَجُعِل الذَّنوب مكان الحظ والنصيب[٣]، قال أبو ذُؤَيْبٍ:

لَعَمْرُكَ وَالمَنَايَا غَالِبَاتٌ لِكُلِّ بَنِي أَبٍ مِنْهَا ذَنُوبُ[٤].

قوله: ﴿فلا يستعجلون﴾ أي: فلا يستعجلون بالعذاب لما كانوا يستعجلون به من العذاب استهزاءً وتكذيبًا ﴿فويل للذين كفروا﴾ في النار ﴿من يومهم الذي يوعدون﴾ في الدنيا.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٢٨٠) من طريق يحيى بن سلام به.
ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٨٧ - ٨٨ رقم ٣٦٨١) من طريق مبشر بن إسماعيل عن تمام بن نجيح به.
وقال ابن عدي: وهذا الحديث أيضًا يرويه تمام عن الحسن.
وذكر ابن عدي لتمام بن نجيح عدة أحاديث، ثم قال: ولتمام غير ما ذكرت من الروايات شيء يسير، وعامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليها. اهـ.
وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلا تمام بن نجيح.
وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٤٦٢): رواه الطبراني، وفي إسناده احتمال للتحسين.
وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٣٨٧): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه تمام بن نجيح، وهو ضعيف وقد وثق، وبقية رجاله أحسن حالاً من تمام.

(٢) لسان العرب (غرب).

(٣) لسان العرب (ذنب).

(٤) البيت من بحر الوافر. ينظر لسان العرب (ذنب).

تفسير سورة الطور وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤﴾

قوله: ﴿والطور﴾ الطُّور: الجبل.

قال محمدٌ: روي عن الحسن أنه قال: كل جبلٍ يُدْعى طُورًا.

﴿وكتابٍ مسطور﴾ مكتوب ﴿في رقٍّ منشور﴾ تفسير الحسن: القرآن في أيدي السَّفَرة ﴿والبيت المعمور﴾ تفسير ابن عباس قال: البيت المعمور: بيت في السماء حيال الكعبة، يَحُجُّه كلَّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه [. . .](١).

قال قتادة: قال اللَّه - عز وجل - لآدم: [أهبط معك](٢) (ل٣٤٠) بيتي يطاف حوله؛ كما يطاف حول عرشي، فحجَّه آدم ومن بعده من المؤمنين، فلما كان زمان الطوفان رفعه اللَّه وطهرَّه من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض؛

---

(١) طمس في الأصل قدر نصف سطر، ولعلها: «إلى يوم القيامة يسمى: الضراح» واللَّه أعلم.
(٢) طمس في الأصل، والمثبت من تفسير الطبري (١/ ٥٤١) وانظر مصنف عبد الرزاق (٥/ ٩٣ رقم ٩٠٩٦) وتفسير الطبري (٤/ ٨ ، ١٧/ ١٤٢) ، وتاريخه (١/ ٨٠).

فصار معمور السماء، فتتبع إبراهيم الأساس فبناه على أساس قديم كان قبله.

﴿والسقف المرفوع﴾ يعني: السماء بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام ﴿والبحر المسجور﴾ تفسير علي بن أبي طالب: البحر المسجور في السماء.

قال محمدٌ: المسجور معناه في اللغة: المَمْلُوء[١]، قال النَّمِر يصف وَعلًا:

إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورةً تَرَى حَوْلَهَا النَّبْعَ والسَّاسَما[٢]

أي: عينًا مملوءة. أقسم بهذا كله.

﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ بالمشركين ﴿ما له﴾ ما للعذاب ﴿من دافع﴾ يدفعه من اللَّه ﴿يوم تمور السماء مورًا﴾ فيها تقديم: إن عذاب ربك لواقع بهم ﴿يوم تمورُ السماء مورًا﴾ أي: تحرّك تحرُّكًا ﴿وتسير الجبال سيرًا﴾ كقوله: ﴿وإذا الجبال سيرت﴾[٣].

قال محمدٌ: المعنى: أنها تسير عن وجه الأرض، وهو الذي أراد يحيى.

﴿فويلٌ يومئذٍ للمكذبين الذين هم في خوضٍ يلعبون﴾ وخوضهم التكذيب.

قال محمدٌ: (الويلُ) كلمةٌ تقولها العرب في كل من وقع في هلكة.

﴿يوم يُدَعُّون﴾ يُدْفَعُون ﴿إلى نار جهنم دعًّا﴾ دَفْعًا ﴿هذه النار﴾ يقال لهم: هذه النار ﴿التي كنتم بها تكذبون﴾ في الدنيا أنها لا تكون .

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ

---

(١) لسان العرب (سجر).

(٢) البيت من بحر المتقارب، وهو للنمر بن تولب. ينظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٠) خزانة الأدب (٤/ ٤٣٤)، الكتاب (١/ ١١٣).

(٣) التكوير: ٣ .

إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿أفسحرٌ هذا﴾ يقال لهم ذلك على الاستفهام ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ يعني: في الدنيا إذ كنتم تقولون: هذا سحرٌ، أي: ليس بسحرٍ ﴿اصلوها﴾ يعني: النار ﴿فاصبروا أو لا تصبروا سواءٌ عليكم﴾ كقوله: ﴿سواءٌ علينا أجزعنا أم صبرنا﴾[(١)].

قال محمدٌ: (سواءٌ) مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف، فالمعنى: سواءٌ عليكم الصَّبْرُ والجزع[(٢)].

﴿إن المتقين في جناتٍ ونعيم فاكهين﴾ أي: مسرورين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ أي: أعطاهم.

قال محمدٌ: ﴿فاكهين﴾ نصبٌ على الحال[(٣)].

﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون﴾.

قال محمدٌ: ﴿هنيئًا﴾ منصوبٌ، وهي صفة في موضع المصدر، المعنى: يقال لهم: كلوا واشربوا هُنِئتم هنيئًا[(٤)].

﴿متكئين على سررٍ مصفوفة﴾.

---

(١) إبراهيم: ٢١ .

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٢٥١)، البحر (٨/ ١٤٨).

(٣) ينظر: الدر المصون (٦/ ١٩٧).

(٤) وفي إعرابها أقوال أخر. ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٢٥١)، البحر (٨/ ١٤٨).

يحيى: عن صاحب له، عن أبان بن أبي عياش، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليتنعَّم في تُكَأَةٍ واحدة سبعين عامًا، فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى: أما لنا منك دولة بعدُ؟ فيلتفت إليها فيقول: من أنت؟! فتقول: أنا من اللاتي قال الله: ﴿وَلَدَيْنَا مزيدٌ﴾[1] فيتحوّل إليها فيتنعَّم معها سَبْعين عامًا في تُكَأَةٍ واحدة، فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى فتقول: أما لنا منك دولة بعد؟ فيلتفت إليها فيقول: من أنتِ؟ فتقول: أنا من اللاتي قال الله: ﴿فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرةِ أعين جزاءً بما كانوا يعملون﴾[2] فيتحوّل إليها، فيتنعم معها في تُكَأَةٍ واحدة سبعين عامًا، فهم كذلك يَدُورون»[3].

﴿وزوجناهم بحورٍ عين﴾ الحور: البيض؛ في تفسير قتادة والعامة. والعينُ: عظام العيون.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا

---

(١) ق: ٣٠.

(٢) السجدة: ١٧.

(٣) نقله القرطبي في التذكرة (ص٥٨٤) عن يحيى بن سلام بإسناده.
ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق٢٨/ أ - ب) من طريق جعفر بن سليمان عن شيخ من أهل البصرة عن شهر بن حوشب قال: «إن الرجل من أهل الجنة ليتكئ ...» فذكر نحوه مختصرًا؛ فجعله من كلام شهر بن حوشب.

عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾(١).

يحيى: عن (سعيد)(٢) عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: «إن الله ليرفع للمؤمن وَلَدَه في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقرَّ بهم عَيْنُه»(٣).

---

(١) كذا بالأصل، وهي قراءة نافع؛ أي: قرأ ﴿واتبعتهم ذريتهم . . . ذرياتهم﴾ وقرأهما بالجمع أبو عمرو وابن عامر، وقرأهما الباقون بالإفراد.
وقرأ أبو عمرو وحده (وأتبعناهم). ينظر: السبعة (٦١٢)، النشر (٢/ ٣٧٧).

(٢) مشتبهة في الأصل، وتحتمل أن تكون «سفيان» وقد روى هذا الحديث عن عمرو بن مرة - فيما وقفت عليه - سفيان الثوري وشعبة وقيس بن الربيع، والله أعلم.

(٣) رواه سفيان الثوري في تفسيره (٢٨٣ رقم ٩١١) عن عمرو به.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٤٧) ومن طريقه الحاكم (٢/ ٤٦٨) والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٦٨) والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٦٩٠) عن الثوري به.
ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٤) من طريق مؤمل بن إسماعيل ومهران، عن الثوري به.
وقال البيهقي: لم يسمعه الثوري من عمرو، وإنما رواه غيره عن الثوري عن سماعة عن عمرو. اهـ.
قلت: قد رُوي عن الثوري عن شيخ له - يقال له: سماعة - عن عمرو بن مرة، واختلف عنه فيه، فرواه محمد بن بشر عنه، واختلف عليه أيضًا، فرواه موسى بن عبد الرحمن المسروقي عن محمد بن بشر عن الثوري عن سماعة عن عمرو بن مرة به موقوفًا. خرجه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٥).
ورواه أحمد بن شكيب الكوفي عن محمد بن بشر عن الثوري به مرفوعًا. خرجه الطحاوي في شرح المشكل (٣/ ١٠٦ رقم ١٠٧٥) والنحاس (٦٩٠).
ورواه الفريابي عن الثوري عن سماعة به موقوفًا. خرجه الطحاوي في المشكل (٣/ ١٠٧) أيضًا.
وتابع شعبةُ سفيان على الوجه الأول الموقوف؛ فرواه عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ موقوفًا. =

وكذلك الآباء يُرفَعُون للأبناء؛ إذا كانت الآباء دون الأبناء في العمل.

قوله: ﴿وما ألتناهم﴾ أي: وما نقصناهم ﴿من عملهم من شيء كل امرئ﴾ يعني: أهل النار ﴿بما كسب﴾ من عمل ﴿رهينٌ﴾ .

= خرجه هناد في الزهد (١٧٩) والطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٤ ، ٢٥) والطحاوي في المشكل (٣/ ١٠٥) والبيهقي في الكبرى.

قال الطحاوي: هكذا يحدث شعبة بهذا الحديث عن عمرو بن مرة لا يتجاوز به ابن عباس، وأما الثوري فكان يُحدث به عن شيخ له يقال له سماعة، عن عمرو بن مرة، فيروي محمد بن بشر العبدي عنه أنه رفعه إلى النبي ﷺ، ويروي محمد بن يوسف الفريابي عنه أنه أوقفه على ابن عباس.

ورواه قيس بن الربيع، واختلف عنه أيضًا:

فرواه الفريابي، عن قيس، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا. خرجه الطحاوي في المشكل (٣/ ١٠٧).

ورواه جبارة بن المغلس، عن قيس، عن عمرو به مرفوعًا.

خرجه ابن عدي في الكامل (٧/ ١٦٢) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٠٢) والبغوي في تفسيره (٧/ ٣٨٩).

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عمرو وسعيد، تفرد به عنه قيس بن الربيع.

وتابع الحسنُ بن حماد جبارة عليه، خرجه البزار في مسنده - كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٢٤١ - ٢٤٢).

وقال البزار: هذا حديث لا نعلم أحدًا أسنده إلا قيس، وقد رواه الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفًا. كذا نقله الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٣٧٢)، وفي مختصر زوائد البزار لابن حجر (٢/ ١٠٨ رقم ١٥٠٨): لا نعلم أسنده إلا الحسن عن قيس، وقد رواه الثوري عن عمرو موقوفًا، والثوري أحفظ من قيس وأوثق.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٧): رواه البزار وفيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف.

قلت: وذهب الطحاوي والنحاس إلى أن هذا الموقوف له حكم الرفع، قال الطحاوي في المشكل (٣/ ١٠٧): وهذا الحديث فنحن نحيط علمًا لو لم نجد أحدًا من رواته رفعه إلى النبي ﷺ أن ابن عباس لم يأخذه إلا عن النبي ﷺ، إذ كان الذي فيه إخبار عن الله - عز وجل - بمراده في الآية المذكورة فيه، وذلك مما لا يؤخذ من غير النبي ﷺ. اهـ. وقال النحاس نحوه.

﴿وأمددناهم بفاكهة﴾.

يحيى: عن [عثمان، عن][١] نعيم [بن][١] عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فرشهم ما تصل إلى يد [أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى][٢]».

(ل٣٤١) ﴿يتنازعون فيها﴾ أي: لا يتعاطون فيها ﴿كأسًا﴾ والكأس: الخَمْرُ ﴿لا لغوٌ فيها ولا تأثيم﴾ تفسير مجاهد: لا يَسْتَبُّون فيها، ولا يأثمون في شيء.

قال محمدٌ: الكَأْسُ في اللغة: الإناء المملوء؛ فإذا كان فارغًا فليس بكأسٍ[٣]. وتقرأ: ﴿لا لَغْوَ فيها ولا تأثيمَ﴾ بالنَّصْب[٤]، إلا أن الاختيار عند النحويين إذا كُررت «لا» في مثل هذا الموضع الرفعُ، والنصب جائزٌ، فمن رفع فعلى الابتداء و«فيها» هو الخبرُ، ومن نصبَ فعلى النفي والتبرئة[٥].

قوله: ﴿ويطوف عليهم غلمانٌ لهم كأنهم لؤلؤٌ مكنون﴾ يعني: صفاء ألوانهم والمكنون في أصدافه ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يُسَائل بعضهم بعضًا عن شفقتهم في الدنيا من عذاب الله ﴿قالوا إنا كنا قبل﴾ في الدنيا ﴿في أهلنا مشفقين﴾ من عذاب النار ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب

---

(١) سقطت من الأصل، والمثبت مما تقدم في تفسير سورة الزخرف، الآية: ٧٣، ونقله القرطبي في التذكرة (ص٥٨٥) عن يحيى بن سلام بإسناده.
(٢) بياض في الأصل، والمثبت مما تقدم.
(٣) ينظر لسان العرب (كأس). والجمع: أَكْؤُس وكئوس.
(٤) أي: بالبناء على الفتح؛ وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: السبعة (٦١٢)، النشر (٢/ ٢١١).
(٥) ينظر تفصيل الكلام على ذلك في: إعراب القرآن (٣/ ٢٥٣)، البحر (٨/ ١٤٩ - ١٥٠).

السموم﴾ النار ﴿إنا كنا من قبل ندعوه﴾ أن يقينا عذاب السموم ﴿إنه هو البر الرحيم﴾ برٌّ بالمؤمنين رحيمٌ بهم.

قوله: ﴿فذكر فما أنت بنعمة ربك...﴾ الآية.

قال محمدٌ: هو كما تقول: ما أنت بحمد اللَّه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿أم يقولون شاعرٌ نتربص به ريْبَ المنون﴾ أي: قد قالوا: نتربَّصُ به الدهر حتَّى يموت. في تفسير الحسن قال اللَّه للنبي: ﴿قل تربصوا فإني معكم من المتربّصين﴾ كانوا يتربَّصون بالنبي أن يموت، وكان النبي يتربَّصُ بهم أن يأتيهم العذاب.

و﴿رَيْب المنون﴾ في تفسير مجاهد: حوادثُ الدهر[1].

قال محمدٌ: المنونُ عند أهل اللغة: الدهْرُ، ورَيْبُه: حَوَادثُه وأوجاعه ومصائبه، والعرب تقول: لا أُكَلِّمُك آخر المنون[2]. وأنشد بعضهم قَوْلَ أبي ذُؤَيْب:

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ ... وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ[3]

يعني: أَمِنَ الدَّهْرِ ورَيْبه تتوجَّعُ؟!

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟

---

(١) لأن حوادث الدهر لا تدوم على حالٍ، كالريب وهو الشك فإنه لا يبقى بل هو متزلزل.

(٢) ينظر: لسان العرب (ريب - منن).

(٣) ينظر: ديوان أشعار الهذليين (١/١)، المفضليات (٥٨٠)، الدر المصون (٦/٢٠١).

بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله: ﴿أم تأمُرُهم أحلامهم بهذا﴾ بالتكذيب، أي: ليست لهم أحلامٌ ﴿أم هم قومٌ طاغون﴾ أي: بل هُمْ قومٌ طاغون يقول: إن الطغيانَ - وهو الشرك - يأمرهم بهذا ﴿أم يقولون تقوّله﴾ محمدٌ، يعني: القرآن؛ أي: قد قالوه ﴿فليأتوا بحديث مثله﴾ مثل القرآن ﴿إن كانوا صادقين﴾ أي: لا يأتون بمثله، وليس ذلك عندهم ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ أي: لمْ يخلقوا من غير شيء، خلقناهم من نطفة وأول ذلك من ترابٍ ﴿أم هم الخالقون﴾ أي: ليسوا بالخالقين وهم مخلوقون ﴿أم خلقوا السمٰوات والأرض﴾ أي: لمْ يخلقوها ﴿بل لا يوقنون﴾ بالبعث ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ يعني: علمَ الغيب ﴿أم هم المصيطرون﴾ يعني: الأرباب، أي: إنّ اللّهَ هو الرَّبُّ - تبارك اسْمُه.

قال محمدٌ: يقال: تَصيطرتَ عليَّ، أي: اتخذتّني خَوَلًا[1]. ويكتب بالسين والصاد، والأصْلُ السين وكل سين بعدها طاءٌ يجوز أن تقلب صادًا[2].

قوله: ﴿أم لهم سُلَّمٌ﴾ درجٌ ﴿يستمعون فيه﴾ إلى السماء، والسُّلّمُ أيضًا

---

(١) والخَوَل يُطْلق على العبيد والإماء وغيرهم من الأتباع والحَشَم للواحد والجمع والذكر والأنثى. ينظر لسان العرب (خول).

(٢) ينظر لسان العرب (سيطر).

السَّبَبُ وقوله (فيه) بمعنى: عَلَيْه[١] ﴿فليأت مستمعهم بسلطان مبين﴾ بحجّة بيّنة بما همْ عليه من الشرك، أي: ليس عندهم بذلك حُجّة ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾ وذلك لقولهم: إن الملائكة بناتُ اللَّه. وجعلوا لأنفسهم الغلمان ﴿أم تسألهم أجرًا﴾ على القرآن ﴿فهم من مغرَم مثقلون﴾ فقد أثقلهم الغُرْمُ، أي: إنك لا تسألهم أجرًا ﴿أم عندهم الغيبُ﴾ يعني: علم غَيْب الآخرة ﴿فهم يكتبون﴾ لأنفسهم ما يتخيّرون؛ لقول الكافر: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾[٢] يعني للجنة إن كانت جنة، أي: ليس عندهم علم غيب الآخرة ﴿أم يريدون كيدًا﴾ بالنبي، أي: قد أرادوه (. . .)[٣] ﴿فالذين كفروا هم المكيدون﴾ كقوله: ﴿إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كيدًا﴾[٤] (. . .)[٣] لأريهم جزاء كيدهم وهو العذاب قال ﴿أم لهم إله غير اللَّه﴾ أي (. . .)[٥] (ل٣٤٢) ﴿شاعر نتربّصُ به﴾ إلى هذا الموضع كالاستفهام وكذبهم به كله .

﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

---

(١) وينظر في دلالة (في) على معنى (على). مغني اللبيب (١/ ١٩١).
(٢) فصلت: ٥٠ .
(٣) طمس في الأصل نحو أربع كلمات.
(٤) الطارق: ١٥- ١٦ .
(٥) طمس في الأصل قدر سطر.

﴿وإن يروا كسْفًا من السماء﴾ والكِسْفُ: القطْعة[١] ﴿ساقطًا يقولوا سحاب مركوم﴾ بعضُه على بعض، وذلك أنه قال في سورة سبأ: ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفًا من السماء﴾[٢] فقالوا للنبي: لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا؛ فأنزل اللَّه: ﴿وإن يروا كسفًا من السماء ساقطًا يقولوا سحابٌ مركوم﴾ أي: ولم يؤمنوا.

قال اللَّه: ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ أي: يموتون، وهي النفخة الأولى؛ في تفسير الحسن، يعني: كفار آخر هذه الأمة الذين يكون هلاكُهُم بقيام الساعة.

﴿يوم لا يغني عنهم كيدُهُم شيئًا﴾ لا تغني عنهم عبادة الأوثان ولا ما كادوا للنبي شيئًا ﴿ولا هم ينصرون﴾ إذا جاءهم العذاب.

قال: ﴿وإن للذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿عذابًا دون ذلك﴾ بالسيف؛ يعني: من أُهلك يوم بدر؛ في تفسير الحسن ﴿ولكن أكثرهم﴾ أي: جماعتهم ﴿لا يعلمون﴾ يعني: من لا يؤمن به.

﴿واصبر لحكم ربك﴾ أي: لما حكم اللَّه عليك، فأمَره بقتالهم ﴿فإنك بأعيننا﴾ أي: نرى ما تصنع وما يصنع بك، فسنجزيك ونجزيهم.

﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ من مقامك، يعني: صلاة الصُّبح؛ في تفسير الحسن.

﴿ومن الليل فسبحه﴾ يعني: صلاة المغرب وصلاة العشاء ﴿وإدبار النجوم﴾.

---

(١) وقيل: الكِسْفة: القطعة من الشيء. والجمع: كِسْف وكِسَف. قال الأخفش: من قرأ (كِسْفًا) جعله واحدًا، ومن قرأ (كِسَفًا) جعله جمعًا. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (كسف).

(٢) سبأ: ٩ .

يحيى: عن عثمان، عن أبي إسحاق الهَمْداني، عن الحارث، عن علي قال: «سُئِل رسولُ اللَّه ﷺ عن قوْله: ﴿وإدبار النجوم﴾. فقال: هما الرَّكْعتان قبل صلاة الصبح»[1].

* * *

(١) تقدم في تفسير سورة «ق» (الآية: ٤٠) تخريجه، وبيان أنه رُوي مرفوعًا وموقوفًا، والراجح وقفه، مع ضعف الحارث الأعور، وأن له شاهدًا عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند ضعيف، واللَّه أعلم.

تفسيرُ سُورَة وَالنَّجْم وهي مَكِّيَّةٌ كُلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (١٨)﴾

قوله: ﴿والنجم إذا هَوَى﴾ تفسير ابن عباسٍ قال: يقول: والوحي إذا نزل، وفي تفسير الحسن: يعني: الكواكب إذا انتثرت. والنجم عنده: جماعة النجوم[1] أقسم به ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ يعني: محمدًا ﷺ، يقوله للمشركين ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو﴾ إن القرآن الذي ينطق به محمدٌ ﴿إلا وحيٌ يوحى﴾.

قال محمدٌ: (إن) بمعنى (ما)[2] أي: ما هو إلا وحيٌ يوحى.

﴿علمّه﴾ علّمَ محمدًا ﴿شديد القوى﴾ يعني: جبريل شديد الخلق ﴿ذو مِرَّةٍ﴾ وهو من شدة الخلق أيضًا ﴿فاستوى﴾ استوى جبريل عند محمدٍ؛ أي: رآه في صورته، وكان محمدٌ يرى جبريل في غير صورته.

---

(١) وفيه أقوال أخرى. ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٠٣).
(٢) وفي دلالة (إن) على النفي. ينظر مغني اللبيب (١/ ٣٠).

﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ وجبريل بالأفق الأعلى، وهو المشرق.

﴿ثم دنا فتدلّى﴾ جبريل بالوحي إلى محمد ﴿فكان﴾ إليه ﴿قاب قوسين﴾ أي: قدر ذراعين ﴿أو أدنى﴾ أي: بل أدنى.

قال محمدٌ: قيل: إن القوسَ في لغة أزدِ شنوءة: الذراع[(١)].

﴿فأوحى إلى عبده﴾ إلى عبد اللَّه ﴿ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وهي تقرأ على وجهين: بالتثقيل والتخفيف، من قرأها بالتثقيل يقول: ما كذّب فؤاد محمدٍ ما رأى؛ أي: في ملكوت اللَّه وآياته، ومن قرأها بالتخفيف يقول: ما كذَبَ فؤادُ محمدٍ ما رأى؛ أي: قد صدق الرؤية فأثبتها[(٢)].

﴿أفتمارونه﴾ يقول للمشركين؛ أفتمارون محمدًا على ما يرى؟! ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ يعني: مرة أخرى رأى جبريل في صورته مرتين ﴿عند سدرة المنتهى﴾ قال ابن عباس: سألت كعبًا عن سدرة المنتهى. فقال: يُنْتَهى إليها بأرْوَاح المؤمنين إذا ماتوا لا يجاوزها روح مؤمن؛ فإذا قبض المؤمن تبعه مُقَرَّبو أهل السمٰوات حتى يُنْتَهى به إلى السِّدْرة فيوضع، ثم تصفُّ الملائكة المقربون فيصلون عليه كما تصلون على موتاكم أنتم ها هنا، فذلك قوله: ﴿سدرة المنتهى﴾.

سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول اللَّه ﷺ يذكر في حديث ليلة أسري به: «ثم رفعت لنا السدرة المنتهى، فإذا ورقُها مثل آذان الفِيلَة، وإذا

---

(١) أي: الذراع: التي يقاس بها، نقل ذلك عن ابن عباس، ونقل عنه أن ذلك لغة الحجازيين. والقوس مؤنثة. ينظر اللسان (قوس)، الدر المصون (٦/ ٢٠٦).

(٢) قرأ هشام بتشديد الذال، والباقون بتخفيفها. ينظر: البحر (٨/ ١٥٩)، الدر المصون (٦/ ٢٠٦).

نَبقها مثل قِلَال هَجَر، وإذا أربعة أنهار يخرجون [من أصلها نهران][(١)] باطنان [ونهران ظاهران][(١)]، قلت: يا جبريل، ما هذه الأنهار؟ فقال: أما الباطنان فنهران في الجنة [وأما الظاهران][(١)] (ل٣٤٣) فالنيل والفرات»[(٢)].

---

(١) بياض في الأصل، والمثبت من روايات الحديث.

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/ ٢١٠) والبخاري (٦/ ٣٤٨ - ٣٥٠ رقم ٣٢٠٧) ومسلم (١/ ١٤٩ - ١٥١ رقم ١٦٤/ ٢٦٤) وهناد في الزهد (١١٧) والترمذي (٥/ ٤١٢ - ٤١٣ رقم ٣٣٤٦) والنسائي في الكبرى (١/ ١٣٨ - ١٤٠ رقم ٣١٣) وابن خزيمة في صحيحه (١/ ١٥٣ - ١٥٥ رقم ٣٠١) وأبو عوانة في صحيحه (١/ ١٠٧ - ١١٢ رقم ٣٣٧ ، ٣٣٨) والطبراني (١٩/ ٢٧٠ - ٢٧٤ رقم ٥٩٩) وابن منده في الإيمان (٢/ ٧٢٥ - ٧٢٨ رقم ٧١٦) وأبو نعيم في المستخرج على صحيح مسلم (١/ ٢٣٢ - ٢٣٤ رقم ٤٢٠) والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٧٣ - ٣٧٧) وغيرهم من طريق سعيد - وهو ابن أبي عروبة - عن قتادة، عن أنس، عن مالك بن صعصعة ﷺ.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

فزادوا في الإسناد: «مالك بن صعصعة» ولم أقف عليه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعًا.

ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٦٤) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٥١ - ٢٥٢) وأبو يعلى (٥/ ٤٦٠ رقم ٣١٨٥) والدارقطني (١/ ٢٥ رقم ٢٩) والحاكم (١/ ٨١) من طريق معمر، عن قتادة، عن أنس مرفوعًا.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة، وله شاهد غريب من حديث شعبة عن قتادة عن أنس، صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. اهـ.

ورواه ابن طهمان في مشيخته (١١٩) - ومن طريقه أبو عوانة (٥/ ١٣٨ رقم ٨١٣٤) والطبراني في الصغير (٢/ ١٣١) والحاكم (١/ ٨١) - عن شعبة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ. وعلقه البخاري في صحيحه (١٠/ ٧٣ رقم ٥٦١٠) عن ابن طهمان به.

قال البخاري: ورواه هشام وسعيد وهمام عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ في الأنهار نحوه.

وقال الدارقطني في العلل (٦/ ٢٣٤ - ٢٣٥): وروى هذا الحديث عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، وأتى به بطوله.

وروى بعضه شعبة، عن قتادة، عن أنس عن النبي ﷺ قصة النهرين، حدَّث به إبراهيم بن طهمان عن شعبة.

=

قوله: ﴿عندها جنة المأوى﴾ والجنة عندها السِّدْرة والمأوى: مأوى المؤمنين ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ تفسير بعضهم: قال: غشيها فراش من ذهب ﴿ما زاغ البصر﴾ بصر النبي عليه السلام فلم يُثْبت ما رأى، ﴿وما طغى﴾: ما قال ما لم يَرَ.

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ يعني: ما قصّ مما رأى، ثم قال للمشركين:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ بعد الاثنتين: اللات كانت لثقيف، والعُزَّى لقريش، ومناة لبني هلال ﴿ألكُم الذكر وله الأنثى﴾ على الاستفهام؛ وذلك أنهم جعلوا الملائكة بنات الله - عز وجل - وجعلوا لأنفسهم الغلمان، وقالوا: إن الله صاحبُ بنات، فسمّوا هذه الأصنام

= ويشبه أن يكون الأقاويل كلها صحاحًا؛ لأن رواتهم أثبات.
وقد روى خالد بن قيس، عن قتادة، عن أنس عن النبي ﷺ: «فرضت علي الصلاة» وهو صحيح عنه.
وكذلك عمرو بن الحارث عن عبد ربه بن سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ. اهـ.
ولما ذكر أبو نعيم حديث الإسراء في معرفة الصحابة (٥/ ٢٤٥٢ - ٢٤٥٣) من طريق شيبان، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، قال: رواه هشام وهمام وشعبة وسعيد ابن أبي عروبة وأبو عوانة وعمران القطان والخليل بن مرة ومجاعة بن الزبير في آخرين عن قتادة ومنهم من طوله ومنهم من اختصره. اهـ.

فجعلوهن إناثًا، قال اللَّه: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ أي: ليس ذلك كذلك.

﴿تلك إذًا قسمة ضيزى﴾ جائرة أن جعلوا للَّه البنات ولهم الغلمان هذا تفسير الحسن.

قال محمدٌ: يقال: ضِزْت في الحُكْم أي: جُرْت، وضازه يضيزه إذا نقصه حقه[١].

وأنشد بعضهم لامرئ القيس:

ضَازَتْ بَنُو أَسَدٍ بِحُكْمِهِم   إذ يَجْعَلُونَ الرَّأْسَ كَالذَّنَبِ[٢]

وأصل ضِيزَى ضُوزا فكُسِرت الضاد للياء وليس في النعوت فِعْلى[٣].

﴿إن هي إلا أسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ يعني اللات والعزّى ومناة ﴿ما أنزل اللَّه بها من سلطانٍ﴾ من حجة بأنها آلهة ﴿إن يتبعون﴾ يعني: المشركين ﴿إلا الظنّ﴾ أي: ذلك منهم ظنٌّ ﴿وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ القرآن، قال الكلبي: «كان النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ يصلي عند البيت والمشركون جلوسٌ فقرأ: ﴿والنجم إذا هوى﴾ فحدَّث نفسه حتى إذا بلغ ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان على لسانه: فإنها من الغرانيق العُلى - يعني: الملائكة - وإن شفاعتها ترتجى أي: هي المرتجى. فلما انصرف النبي من صلاته قال المشركون: قد ذكر محمدٌ آلهتنا بخير، فقال النبي: واللَّه ما كذلك نزلت عليَّ. فنزل عليه جبريل فأخبره النبي، فقال: واللَّه ما هكذا علّمْتُك وما جئت بها هكذا، فأنزل اللَّه: ﴿وما أرسلنا من قبلك

(١) لسان العرب (ضيز).
(٢) البيت من بحر البسيط. ينظر: البحر (٨/ ١٦٢)، الدر المصون (٦/ ٢٠٩).
(٣) لمزيد من التفصيل راجع الدر المصون (٦/ ٢٠٩)، إعراب القرآن (٣/ ٢٦٩)، مجمع البيان (٥/ ١٧٦).

من رسولٍ ولا نبيٍّ إلا إذا تمنى ألقى الشيطانُ في أمنيته. . .﴾ الآية وقد مضى تفسير هذا[١].

قوله: ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ وذلك لفرح المشركين بما ألقى الشيطان على لسان النبي من ذكر آلهتهم.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾

قوله: ﴿وكم من ملكٍ في السمٰوات لا تغني شفاعتهم شيئًا﴾ لا تنفع شفاعتهم المشركين شيئًا، إنما يشفعون للمؤمنين ولا يشفعون ﴿إلا من بعد أن يأذن اللَّه لمن يشاء ويرضى﴾ ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى﴾ .

﴿وما لهم به من علم﴾ بأنهم إناثٌ ولا بأنهم بنات اللَّه ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ أي: إن ذلك منهم ظن.

﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا﴾ هذا منسوخٌ نسخه القتال[٢].

﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ أي: إن علمهم لم يبلغ الآخرة.

---

(١) في تفسير سورة الحج، الآية: ٥٢، ولا تصح هذه القصة، ولفضيلة العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة «نصب المنجنيق لنسف قصة الغرانيق» فراجعها.

(٢) الناسخ والمنسوخ (ص٨٧).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى (٣١) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (٣٢)﴾

﴿ليجزي الذين أساءوا﴾ أشركوا ﴿بما عملوا﴾ يجزيهم النار ﴿ويجزي الذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿بالحسنى﴾ يعني الجنة.

قوله عزّ ذكره: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللّمَم﴾ تفسير الحسن: إلا اللمّة يلمُّ بها من الذنوب.

قال محمدٌ: المعنى: إن اللَّه - عز وجل - وَعَد المغفرة من اجتنب الكبائر، ووعد المغفرة أيضًا من ألمَّ بشيء منها، ثم تاب من ذلك واستغفر اللَّه. والإلمام في اللغة معناه: ألا يتعمّق في الشيء ولا يلزمه[1]، وهذا معنى ما ذهب إليه الحسن.

قوله: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم﴾ خلقكم ﴿من الأرض﴾ يعني: خلق (...)[2] والأجنّةُ من باب الجنين في بطن أمه.

قوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ (...)[2].

يحيى: عن ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن ثابت بن الحارث (ل٣٤٤) الأنصاري قال: «كانت اليهود تقول إذا هلك صبي صغير: هذا صدِّيق. فبلغ ذلك رسول اللَّه فقال: كذبت يهود، ما من نسمة خلقها اللَّه في

---

(١) لسان العرب (لمم)، الدر المصون (٦/ ٢١١).

(٢) بياض في الأصل نحو خمس كلمات.

بطن أمها إلا أنه شقي أو سعيد. فأنزل اللَّه عند ذلك هذه الآية ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض...﴾ إلى آخرها»[١]. من حديث يحيى بن محمد.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ (٣٤) أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤)﴾

﴿أفرأيت الذي تولّى﴾ يعني: المشرك تولّى عن الإيمان، ﴿وأعطى قليلًا وأكدى﴾ تفسير عكرمة قال: أعطى قليلًا ثم قطعه.

قال محمدٌ: وأصل الكلمة من كُدْيَة البئر، وهي الصَّلابة فيها، وإذا بلغها الحافر يئس من حفرها؛ فقطع الحفر، فقيل لكل من طلب شيئًا فلم يبلغ آخره وأعطى ولم يتمم: أَكْدَى[٢].

قال يحيى: قوله: ﴿أعطى قليلًا﴾ إنما قلَّ؛ لأنه كان لغير اللَّه.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٨١ - ٨٢ رقم ١٣٦٨) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/ ٤٧٨ رقم ١٣٦٢) والواحدي في أسباب النزول (ص٢٩٣) من طريق ابن لهيعة به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٤٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه أيضًا.

(٢) لسان العرب (كدو)، الدر المصون (٦/ ٢١٢).

﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ يختار لنفسه الجنة إن كانت جنة. كقوله: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾[١] للجنة إن كانت جنة هذا تفسير الحسن ﴿أم لمْ يُنبّأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفّى﴾ يعني: وفّى ما فرض اللَّه عليه في تفسير مجاهد.

﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ ما عمل ﴿وأن سعْيَه سوف يُرى﴾.

قال محمدٌ: قيل: المعنى: يرى عمله في ميزانه.

﴿وأنَّ إلى ربك المنتهى﴾ يعني: المصير ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ أي: خلق الضَّحِكَ والبكاء. ﴿وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ الواحِدُ منهما: زَوْجٌ ﴿من نطفة إذا تُمنى﴾ إذا يمنيها الذكر ﴿وأنَّ عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى﴾ أغنى عبده، وأقناه من قِبَل القِنْيَة[٢].

قال محمدٌ: تقول: أَقْنَيْتُ كذا أي: عملتُ على أنه يكون عندي لا أخرجه من يدي؛ فكأنَّ معنى (أَقْنَى) جعل الغنى أصلًا لصاحبه ثابتًا[٣].

﴿وأنه هو ربُّ الشعرى﴾ الكوكب الذي خلف الجوزاء كان يَعْبُدها قومٌ[٤] ﴿وأنه أهلك عادًا الأولى﴾ وهي عادٌ واحدة، لمْ يكن قبلها عادٌ[٥] قال:

---

(١) فصلت، الآية: ٥٠ .

(٢) بضم القاف وكسرها، ويقال فيها: القنوة بضم القاف وكسرها أيضًا. لسان العرب (قنى)، المفردات للراغب (٦٥٢).

(٣) لسان العرب (قنى).

(٤) هم خزاعة. ينظر الدر المصون (٦/ ٢١٤).

(٥) وقيل: إن عادًا الأولى عاد بن إرم، وهم الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية، وعادًا الآخرة قوم هود، وقيل: إن عادًا الأولى قوم هود، والآخرة قوم كانوا بحضرموت، قاله قتادة. انظر تفسير الماوردي (٥/ ٤٠٥) وتفسير القرطبي (١٧/ ١٢٠).

﴿وثمودًا[1] فما أبقى﴾ أهلكهم فلم يبقهم ﴿وقوم نوحٍ﴾ أي: وأهلك قوم نوحٍ ﴿من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى﴾ كانوا أول من كذب الرسل.

﴿والمؤتفكة أهوى﴾ يعني قرى قوم لوط رفعها جبريل بجناحه، حتى سمع أهل سماء الدنيا ضواغي كلابهم ثم قلبها، والمؤتفكة: المنقلبة.

قال محمدٌ: أهوى: أسقط. يقال: هوى وأهواه اللَّه: أسقطه[2].

قال: ﴿فغشاها ما غشى﴾ يعني: الحجارة التي رمي بها من كان منهم خارجًا من المدينة وأهل السفر منهم.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۝٦٢﴾

قال: ﴿فبأي آلاء﴾ يعني نعماء ﴿ربك تتمارى﴾ تشك أي: إنك لا تشك ثم قال للناس: ﴿هذا نذيرٌ﴾ يعني: محمدًا ﴿من النذر الأولى﴾ أي: جاء بما جاءت به الرسل الأولى ﴿أزفت الآزفة﴾ أي: دنت القيامةُ ﴿ليس لها من دون اللَّه كاشفة﴾ كأن المعنى: ليس لها وقعةٌ كاشفةٌ، واللَّه أعلم ﴿أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون﴾ يعني: المشركين، أي: قد فعلتم ﴿ولا تبكون﴾ أي: ينبغي لكم أن تبكوا ﴿وأنتم سامدون﴾ قال: غافلون ﴿فاسجدوا للَّه﴾ فصلوا للَّه ﴿واعبدوا﴾ أي: واعبدوه ولا تشركوا به شيئًا.

قال محمدٌ: سامدون معناه لاهون وهي لُغةُ اليمن[3].

---

(١) قرأ عاصم وحمزة ويعقوب بغير تنوين، والباقون بالتنوين، وتقدم.
(٢) لسان العرب (هوى).
(٣) وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٦/ ٢١٩)، لسان العرب (سمد).

تفسير سورة اقتربت الساعة
وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿اقتربت السَّاعة﴾ أي: دنت.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إنما مَثَلي ومَثَل الساعة كهاتين، فما فضل إحداهما على الأخرى، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي يقول الناس السَّبَّابة»(١).

﴿وانشق القمر﴾ قال ابن مسعود: «انشق القمر شقين حتى رأيت أبا قبيس بينهما»(٢) ﴿وإن يروا آية﴾ يعني: المشركين ﴿يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾

---

(١) تقدم في تفسير سورة محمد، الآية: ١٩ .

(٢) رواه البخاري (٣٦٣٦ ، ٣٨٦٩ ، ٣٨٧١ ، ٤٨٦٤ ، ٤٨٦٥) ومسلم (٤/ ٢١٥٨ - ٢١٥٩ رقم ٢٨٠٠) بنحوه.

ولقد روى انشقاق القمر جماعةٌ كثيرةٌ من الصحابة: منهم أنس - في الصحيحين - وابن عباس- في الصحيحين أيضًا - وابن عمر - في صحيح مسلم - وعلي وحذيفة وجبير بن مطعم وغيرهم، انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٢٦١ - ٢٦٣) والبداية والنهاية (٧/ ٧٧ - ٧٩) =

ذاهب ﴿وكل أمر مستقر﴾ لأهله من الخير والشر.

قال محمدٌ: يقول: يستقر لأهل الجنة عملهم، ولأهل النار عملهم. والاختيار (. . .)[١] لأنه ابتداء.

﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ يعني: أخبار الأمم (. . .)[٢] (ل٣٤٥) فأهلكهم اللَّه ﴿ما فيه مزدجر﴾ عَمَّا هم عليه من الشرك ﴿حكمة بالغة﴾ يعني: القرآن.

قال محمدٌ: (حكمةٌ بالغة) بالرفع على معنى: فهو حكمة بالغة[٣].

﴿فما تغن النذر﴾ عمن لا يؤمن ﴿فتول عنهم يوم يدع الداعي[٤] إلى شيء نكر﴾ عظيم، والداع هو صاحب الصور.

قال محمد: ﴿يدع﴾ كتب بحذف الواو على ما يجري في اللفظ لالتقاء الساكنين الواو من (يدعو) واللام من (الداع)[٥] وقوله: (نكر) بضم الكاف وإسكانها[٦]، والنكر والمنكر واحدٌ[٧].

= والدر المنثور (٦/ ١٤٧ - ١٤٨).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٧٧): وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول اللَّه ﷺ، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة.

(١) طمس في الأصل نحو نصف سطر.

(٢) طمس في الأصل نحو خمس كلمات.

(٣) وقيل بالرفع على البدل من (ما). ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٢٨٢) البيان (٢/ ٤٠٣)، البحر (٨/ ١٧٤).

(٤) أثبت الياء وصلًا أبو جعفر وأبو عمرو وورش، وأثبتها في الحالين يعقوب والبزي. النشر (٢/ ٣٨٠) وإتحاف الفضلاء (٥٢٤).

(٥) قال السَّمين الحلبي: حذفت الواو من (يدع) خطًا إتباعًا للفظ، والياء من (الداع) مبالغة في التخفيف إجراء لأل مجرى ما عاقبها وهو التنوين، فكما تحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبها. ينظر الدر المصون (٦/ ٢٢٢).

(٦) قرأ العامة بضم الكاف، وابن كثير بسكونها. ينظر البحر (٨/ ١٧٥)، الدر المصون (٦/ ٢٢٢).

(٧) لسان العرب (نكر).

قال النابغة:

أَبَى اللَّهُ إلا عَدْلَهُ ووَفَاءَهُ فلا النُّكْرُ مَعْروفٌ ولا العُرْفُ ضَائعُ[1]

قوله: ﴿خشعًا أبصارهم﴾ يقول: فتولَّ[2] عنهم فستراهم يوم القيامة ذليلة أبصارهم، وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال[3] ﴿يخرجون من الأجداث﴾ من القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ تفسير الحسن شبَّهم بالجراد إذا أدركه الليل لزم الأرض، فإذا أصبح وطلع عليه الشمس انتشر ﴿مهطعين﴾ مسرعين ﴿إلى الداع﴾ صاحب الصور إلى بيت المقدس ﴿يقول الكافرون﴾ يومئذٍ ﴿هذا يوم عسر﴾ يعلم الكافرون يومئذٍ أن عسر ذلك اليوم عليهم، وليس لهم من يُسْرِه شيْء.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾

﴿وقالوا مجنونٌ وازدجر﴾ تُهُدِّدَ بالقتل في تفسير الحسن ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ أي: فانتقم لي من قومي.

قال محمدٌ: من قرأ ﴿أني﴾ بالفتح للألف - وهو الأجود - والمعنى: دعا

---

(١) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان النابغة، الدر المصون (٣/ ٤٤٩).

(٢) في الأصل (فتولَّى) بإثبات الياء.

(٣) ينظر الناسخ والمنسوخ (٨٨).

ربه بأني مغلوب[١].

﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ بعضه على بعض وليس بمطر.

قال محمدٌ: يقال: همَر الرجُلُ إذا أكثر من الكلامِ وأسرع[٢].

﴿وفجرنا الأرض عيونًا فالتقى الماء﴾ ماء السماء وماء الأرض ﴿على أمرٍ قد قُدِر﴾ على هلاك قوم نوح ﴿وحملناه﴾ يعني: نوحًا ﴿على ذات ألواح﴾ يعني: السفينة و﴿دسر﴾ الدُّسُر: المسامير؛ في تفسير قتادة.

قال محمدٌ: واحدها دِسَارٌ[٣]، مثل حمار وحُمُر.

﴿تجري بأعيننا﴾ كقوله: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾[٤].

﴿جزاءً لمن كان كُفر﴾ جزاءً لنوحٍ كفره قوْمُه، وجحدوا ما جاء به إنجاء اللَّه إيَّاه في السفينة ﴿ولقد تركناها آية﴾ لمن بعدهم، يعني: السفينة.

قال محمدٌ: قوله: (آية) يعني: علامة؛ ليعتبر بها.

﴿فهل من مدكر﴾ أي: متفكر، يأمرهم أن يعتبروا ويحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم.

قال محمدٌ: مُدَّكِر أصله مذتكر مفتَعِل من الذِّكْرِ، فأدغمت الذال في التاء ثم قلبت دالًا مشدودة[٥].

﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ إنذاري أي كان شديدًا ﴿ولقد يسرنا القرآن

---

(١) العامة على فتح الهمزة، وقرأ ابن أبي إسحاق والأعمش، ورويت عن عاصم بالكسر. ينظر: البحر (٨/ ١٧٦)، الدر المصون (٦/ ٢٢٥).

(٢) لسان العرب (همر).

(٣) وقيل: الواحد دَسْر. ينظر لسان العرب (دسر)، الدر المصون (٦/ ٢٢٧).

(٤) طه: ٤٦ .

(٥) وقد تقدم مثل هذا مرارًا.

للذكر﴾ ليذكروا الله ﴿فهل من مدّكر﴾ وهي مثل الأولى.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿كذبت عادٌ﴾ أي: فأهلكتهم ﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ أي: كان شديدًا ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحًا صرصرًا﴾ والصرصر: الباردة الشديدة البرد، وهي ريح الدَّبور ﴿في يوم نحسٍ﴾ أي: مشئوم ﴿مستمر﴾ استمر بالعذاب، وكان ذلك من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء.

﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ شبّههم في طولهم وعظمتهم بالأعجاز، وهي النخل الذي قد انقلعت من أصولها فسقطت على الأرض.

قال محمدٌ: قوله: ﴿منقعر﴾ قالوا: قعرتُ النخلة أَقْعَرُها - بفتح العين - إذا قطعتَها قَعْرًا. وقعَرْتُ البئر أَقْعِرُها - بكسْر العين - إذا بلَغْتَ قَعْرها بنزول أو حَفْرٍ[1]. والنخل تذكَّر وتؤنّث[2]؛ يقال: هذا نخلٌ وهذه نخلٌ، فمنقعر على من قال: هذا نخلٌ، ومن قال هذه نخل مثل قوله: ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾[3].

ومعنى ﴿يسرنا﴾ أي: سهلنا، وروي أن كتب أهل الأديان نحو التوراة

(١) ويقال في كلا المعنيين: قَعَر يَقْعَر بفتح العين. لسان العرب (قعر).

(٢) لسان العرب (نخل).

(٣) الحاقة: ٧ . وقال السمين الحلبي: (منقعر) صفة لنخل باعتبار الجنس، ولو أنّث لاعتبر معنى الجماعة كقوله: (نخل خاوية)، وإنما ذكر هنا وأنث في الحاقة مراعاة للفواصل في الموضعين، الدر المصون (٦/ ٢٢٨).

والإنجيل إنما يتلوها أهلها (نظرًا)[١] ولا يكادون يحفظونها من أوَّلها إلى آخرها؛ كما يحفظ القرآنُ .

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ بالرسل ﴿فقالوا أبشرًا منا واحدًا نتبعه﴾ أي: أنتَّبع بشرًا منا واحدًا ﴿إنا إذًا لفي ضلال﴾ فلا (نهتدي)[١] (ل٣٤٦) ﴿وسعر﴾ أي: وشقاء؛ في تفسير مجاهد.

قال محمدٌ: قوله: (وسُعُر) أصل الكلمة من [سعرت][٢] النار إذا التهبت[٣].

﴿أألقي عليه الذكر من بيننا﴾ على الاستفهام منهم، وهذا الاستفهام على إنكار أي: لِمْ ينزل الذكر عليه من بيننا يجحدون ما جاء به صالح ﴿بل هو كذابٌ أشرٌ﴾ من باب الأشر ﴿سيعلمون غدًا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿من الكذاب الأشر﴾.

قال محمدٌ: الأَشِرُ في اللغة: البَطِر المتكبر، يقال: أَشِرَ يأشَرُ أَشَرًا فهو

---

(١) مشتبهة في الأصل، ولعلها كما أثبته، والله أعلم.

(٢) في الأصل: سعر.

(٣) و(سُعُر) يجوز أن يكون مفردًا، أي: جنون، يقال: ناقة مسعورة، أي: مجنونة. وأن يكون جمع سعير وهي النار. الدر المصون (٦/ ٢٢٩).

أَشِر، وقالوا أيضًا: أَشْرَان وامرأة أَشْرَى[١].

﴿إنا مرسلوا الناقة﴾ أي: مخرجوها ﴿فتنة لهم﴾ أي: بليّة ﴿فارتقبْهم﴾ أي: انظرْ ماذا يصنعون ﴿واصطبر﴾ على ما يصنعون وعلى ما يقولون، أي: إذا جاءت الناقة. وقد مضى تفسير أمر الناقة في سورة الشعراء[٢] ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ وهذا بعد ما جاءتهم الناقة ﴿كل شرب محتضرٌ﴾ تشرب الناقة الماء يومًا ويشربونه يومًا.

قال محمدٌ: معنى ﴿محتضر﴾ يحضر القومُ الشِّرْبَ يومًا، وتحضره الناقة يومًا.

﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ والصيحة: العذاب ﴿فكانوا كهشيم المحتظِر﴾ وهو النبات إذا هاج فَذَرَتْهُ الرياحُ فصار حظائر، تفسير من قرأ (المحتظِر) بكسْر الظاء، ومن قرأها (المحتظَر) بفتح الظاء فالمعنى جُعِلَ حظائِرَ[٣].

قال محمدٌ: وقيل: الهشيم: ما يبِسَ من الورق وتكسّر وتحطّم، أي: فكانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة في تفسير من قرأه (المحتظِر) بكسْر الظاء يقول: احتظر حظيرة، ومن قرأ (المحتظَر) بفتح الظاء فهو اسمٌ للحظيرة[٤].

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾

---

(١) لسان العرب (أشر).

(٢) الآية ١٥٥ وما بعدها.

(٣) العامة على كسر الظاء، وقرأ أبو السّمال وأبو حيوة وأبو رجاء وعمرو بن عبيد بفتحها. ينظر الدر المصون (٦/ ٢٣٠).

(٤) ينظر: البحر (٨/ ١٨٠)، الدر المصون (٦/ ٢٣٠).

نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿كذبت قوم لوطٍ بالنذر﴾ بالرسل يعني لوطًا ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبًا﴾ يعني: الحجارة التي رُمي بها من كان منهم خارجًا من المدينة وأهل السّفر منهم، وأصاب مدينتهم الخسفُ ﴿إلا آل لوطٍ﴾ يعني من آمن ﴿نجيناهم﴾ إلى قوله: ﴿من شكر﴾ يعني: من آمن.

قال محمدٌ: تقول: أتيتُ فلانًا سَحَرًا أي: سَحَرًا من الأسحار، وإذا أردت سحر يومك قلت: أتيته بِسَحَرِ، وأتيته سَحَرَ، ونصْبه على الظرف[1].

﴿نعمة من عندنا﴾ بمعنى: نجيناهم بالإنعام عليهم.

قوله: ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا﴾ أي: عذابنا ﴿فتماروا بالنذر﴾ كذبوا بما قال لهم لوطٌ ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمَسْنا﴾ وقد مضى تفسير كيف أهلكوا في سورة هود[2] ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر﴾ استقرَّ بهم العذاب.

قال محمدٌ: (بكرةً) ها هنا نكرة، وإذا أردت بكرة يومك لم تَصْرِفْها[3] وكذلك (غدوةً) في مثل هذا.

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ

---

(١) وقيل: مبني على الفتح. الدر المصون (٦/ ٢٣١).
(٢) هود، الآيتان: ٨٢ ، ٨٣ .
(٣) للتعريف والتأنيث. الدر المصون (٦/ ٢٣١).

ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿ولقد جاء آل فرعونَ النذر﴾ يعني موسى وهارون ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعني التسع آيات، وقد مضى ذِكْرُها ﴿فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ على خلقه، عذَّبهم بالغرق ﴿أكفاركم﴾ يعني أهل مكة ﴿خيرٌ من أولئكم﴾ يعني: من أهلك من الأمم السالفة، أي: ليسوا بخير منهم، يعني: كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالًا وأولادًا ﴿أم لكم براءةٌ﴾ أي: من العذاب ﴿في الزبر﴾ في الكتب ﴿أم يقولون﴾ بل يقولون ﴿نحن جميع منتصر * سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ يعني: يوم بدر ﴿بل الساعة موعدهم﴾ أي: بعذاب الاستئصال، يعني: كفار آخر هذه الأمة؛ في تفسير الحسن ﴿والساعة أدهى﴾ من تلك الأخذات التي أهلك بها الأمم السَّالفة ﴿وأمَرُّ﴾ أي: وأشد.

﴿إن المجرمين﴾ المشركين ﴿في ضلالٍ﴾ عن الهدى ﴿وسُعُر﴾ أي: شقاء في تفسير مجاهد ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ تسحبهم الملائكة أي: تجرهم ﴿ذوقوا مسَّ﴾ يقال لهم في النار: ذوقوا مسَّ سَقر، وسقر اسمٌ من أسماء جهنَّم .

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿إنا كل شيءٍ خلقناه بقدر﴾ تفسير سعيد بن جبير عن علي قال: كل شيء

بقدر حتى هذه، ووضع إصبعه السبابة على طرف لسانه، ثم وضعها على ظهر إبهامه اليسرى.

قال محمدٌ: ﴿كلّ شيءٍ﴾ منصوبٌ بفعل مضمر، المعنى: إنا خلقنا كلَّ شيءٍ خلقناه بقدر[١].

﴿وما أمرنا﴾ (ل٣٤٧) يعني مجيء الساعة ﴿إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ تفسير الحسن يعني: إذا جاء عذاب كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى.

قال محمدٌ: المعنى: أنه إذا أراد هلاكهم كانت سُرْعة الاقتدار على الإتيان به كسُرعة لمح البصر، وهو الذي أراد الحسن، ومعنى لمح البصر: أن البصَرَ يلمحُ السماء وهي مسيرة خمسمائة عام، وهذا من عظيم القدرة.

وقوله: ﴿إلا واحدة﴾ فإن المعنى: إلا قولة واحدة ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ يعني: من أهلك من الأمم السَّالفة يقوله للمشركين ﴿وكل شيء فعلوه في الزّبُر﴾ في الكتب قد كُتِب عليهم ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ مكتوبٌ.

﴿إن المتقين في جناتٍ ونهر﴾ يعني: جميع الأنهار.

قال محمدٌ: وهو واحدٌ يدل على جمع[٢].

﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ يعني: نفسه تبارك اسْمُه.

❊ ❊ ❊

---

(١) أي: منصوب على الاشتغال، وفيه أقوال أخرى. ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٣٢).

(٢) أي: اسم جنس. ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٣٤).

تفسير سورة الرَّحمن وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝١١ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٦﴾

قوله: ﴿الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علمّه البيان﴾ علمه الكلام ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ تفسير الكلبي: بحساب ومنازل معدودة، كل يوم منزل ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ النجم: ما كان من النبات على غير ساق، والشجرُ ما كان على ساق[1]. وسجودهما ظلُّهما.

قال محمدٌ: يقال: نَجَمَ النبات يَنْجُم نجُومًا[2]، وبَقَل يبْقُل بُقُولًا[3].

﴿والسماء رفعها﴾ بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام ﴿ووضع الميزان﴾ أي: وجعل الميزان في الأرض بين الناس ﴿ألا تطغَوْا﴾ ألا تظلموا ﴿في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي: لا تنقصوا الناس.

---

(١) لسان العرب (نجم).

(٢) ونَجْمًا. لسان العرب (نجم).

(٣) وبَقْلًا. لسان العرب (بقل).

قال محمدٌ: يقال: أَخْسَرتُ الميزان وخَسِرت[١]. والقراءة بضم التاء[٢].

﴿والأرض وضعها للأنام﴾ للخلق ﴿فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾ قال الحسن: الأكمام: الليف.

قال محمدٌ: أكمام النخلة: ما غطى جُمَّارها من السّعَف والليف والطلعة، كمُّها: قشرُهَا.

قوله: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ العصف: سوق الزرع، والريحان: الرزْقُ في تفسير الكلبي. وكان يقرأ ﴿والرّيحانِ﴾ بالجر ويجعل العصفَ والريحان جميعًا من صفة الزرع، وكان الحسن يقرأ (والريحانُ) بالرفع على الابتداء أي: وفيها الريحانُ[٣]. والريحان في تفسير الحسن: الرياحين التي تُشَمُّ.

قال محمدٌ: والعرب تسمي الرزق: الريحان، يقال: خرجت أطلب ريحان اللَّه[٤]. ومنه قول النَّمِر بن توْلَب[٥]:

سَلَامُ الإِلَهِ وَرَيْحَانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءٌ دِرَرْ[٦]

---

(١) أي: وخَسِرتُه. والمعنى: أنقصته. لسان العرب (خسر).

(٢) وهي قراءة العامة ضم التاء وكسر السين، وفيها قراءات أخرى. ينظر الدر المصون (٦/ ٢٣٧)، البحر (٨/ ١٨٩).

(٣) قرأ حمزة والكسائي بالجر، وابن عامر بالنصب، والباقون بالرفع. ينظر: السبعة (٦١٩)، التيسير (٢٠٦)، النشر (٢/ ٣٨٠).

وينظر التوجيه النحوي لهذه القراءات في البحر (٨/ ١٩٠)، الدر المصون (٦/ ٢٣٧).

(٤) وهو قوله الأكثرين. ينظر لسان العرب (ريح)، البحر (٨/ ١٩٠)، الدر المصون (٦/ ٢٣٨).

(٥) هو أحد الشعراء المخضرمين كان من ذوي الوجاهة والنعمة، ت(١٤هـ) وله ديوان مطبوع. تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (٨/ ٤٨).

(٦) البيت من بحر المتقارب، ينظر ديوانه وتفسير الطبري (٢٧/ ١٢٣)، وتفسير القرطبي (١٧/ ١٥٧).

معنى ريحانه: رزقه.

قوله: ﴿فبأي آلاء﴾ أي: نعماء ﴿ربكما تكذبان﴾ يعني: الثقلين الجن والإنس.

قال محمدٌ: قيل: ذكر اللَّه - عز وجل - في هذه السورة ما ذكر من خلق الإنسان وتعليم البيان، ومن خلق الشمس والقمر والسماء والأرض وغير ذلك مما ذكر من آلائه التي أنعم بها، وجعلت قِوامًا ووُصْلَةً إلى الحياة، ثم خاطب الإنس والجن فقال: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ أي: فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة، أي: أنكم تصدقون بأن ذلك كله من عنده، وهو أنعم به عليكم، وكذلك فوحِّدوه ولا تشركوا به غيره، والآلاء واحدها إلًا مثل معًا[١].

قوله: ﴿خلق الإنسان﴾ يعني: آدم ﴿من صلصال كالفخار﴾ وهو التراب اليابس الذي يُسْمَع له صلصلة إذا حُرِّك، وكان آدم في حالات قبل أن ينفخ فيه الروح، وقد قال في آية أخرى: ﴿من طين﴾[٢] وقال: ﴿من حمأ مسنون﴾[٣].

قوله: ﴿وخلق الجان﴾ إبليس ﴿من مارجٍ من نار﴾ أي: من لسان النار ولهبها في تفسير الحسن.

قال محمدٌ: يقال للهب النار: مارجٌ لاضطرابه، من مرج الشيء يعني اضطرب ولم يستقر[٤]. قال الحسن: الإنس كلهم من عند آخرهم ولد آدم.

---

(١) وقيل: واحدها الألَى، وقيل: الإِلْي، وقيل: الأَلْي. ينظر لسان العرب (ألا).
(٢) الأنعام: ٢ ، الأعراف: ١٢ ، المؤمنون: ١٢ ، السجدة: ٧ ، الصافات: ١١١ ، ص: ٧١، ٧٦ ، الذاريات: ٣٣ .
(٣) الحجر: ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣ .
(٤) يقال: مَرَجَ يَمْرُجُ مروجًا، ومَرِجَ يَمْرَجُ مَرَجًا. لسان العرب (مرج).

(ل٣٤٨) والجن كلهم من عند آخرهم ولد إبليس.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ومغرب الشتاء ومغرب الصيف.

﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ تفسير قتادة: أفاض أحدهما في الآخر.

قال محمدٌ: معنى مرج: خلط[1] وهو الذي أراد قتادة.

﴿بينهما برزخٌ لا يبغيان﴾ بين العذب والمالح حاجزٌ من قدرة الله لا يبغي أحدهما على صاحبه، لا يبغي المالح على العذب فيختلط به، ولا العذب على المالح فيختلط به.

﴿يخرج[2] منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ تفسير قتادة قال: اللؤلؤ: الكبار، والمرجان: الصغار.

قال يحيى: ومعنى (يخرج منهما) أي: من أحدهما.

قال محمدٌ: قال: ﴿يخرج منهما﴾ وإنما يخرج من البحر المالح؛ لأنه قد

---

(١) وقيل غير ذلك. ينظر: لسان العرب (مرج).

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿يُخْرَج﴾ بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول، وقرأ الباقون ﴿يَخْرج﴾ بفتح الياء وضم الراء، النشر (٢/ ٣٨٠ - ٣٨١) إتحاف الفضلاء (٥٢٦) القرطبي (١٧/ ١٦٣).

ذكرهما وجمعهما، فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما[١]، وهو الذي أراد يحيى. والواحدة: مرجانة[٢].

﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾ يعني: السفن التي عليها شُرُعها، وهي القُلُع[٣].

قال محمدٌ: كتبتْ بلا ياء، ومن وقف عليها وقف بالياء، والاختيار وَصْلُها؛ ذكره الزَّجاجُ[٤]، ومعنى المنشآت: التي أُنْشِئن، والأعلام: الجبال.

﴿كل من عليها﴾ يعني: على الأرض ﴿فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال﴾ يعني: العظمة ﴿والإكرام﴾ لأهل طاعته.

﴿يسأله من في السمٰوات والأرض﴾ يسأله أهل السماء الرحمة، ويسأله أهل الأرض الرحمة والمغفرة والرزق وحوائجهم، ويدعوه المشركون عند

---

(١) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ في أضواء البيان (٧/ ٧٤٨): اعلم أن جماعة من أهل العلم قالوا: إن المراد بقوله في هذه الآية ﴿يخرج منهما﴾ أي: من مجموعها الصادق بالبحر الملح، وأن الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضه، وأن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر الملح وحده دون العذب، وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية - مع كثرتهم وجلالتهم - لا شك في بطلانه؛ لأن الله صرح بنقيضه في سورة فاطر، ولا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل، وذلك في قوله تعالى ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كلٍّ تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ فالتنوين في قوله ﴿من كلٍّ﴾ عوض، أي: من كل واحدٍ من العذب والملح تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها، وهي اللؤلؤ والمرجان، وهذا لا نزاع فيه. اهـ.

(٢) والمرجان أعجمي، قال ابن دريد: لم أسمع فيه نقلًا متصرفًا. ينظر لسان العرب (مرج)، الدر المصون (٦/ ٢٤١).

(٣) واحدها: قلاع، وهو شراع السفينة. وهو أيضًا القِلْع وجمعه قلوع، وقِلاع وقِلَعَة. لسان العرب (قلع).

(٤) وعليها قراءة العامة بكسر الراء، لأنه منقوص على وزن مفاعل، والياء محذوفة لفظًا لالتقاء الساكنين. ينظر الدر المصون (٦/ ٢٤١).

الشدة، ولا يسأله المغفرة إلا المؤمنون ﴿كل يوم هو في شأنٍ﴾ يميت ويحيي ما يولد، ويجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، ويشفي مريضًا، ويفك عانيًا، وشأنه كثير لا يُحصَى؛ لا إله إلا هو.

قال محمدٌ: قيل المعنى: هو في تنفيذ ما قدر اللَّه أن يكون في ذلك اليوم، وهو مذهب يحيى.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿سنفرغ لكم أيه الثقلان﴾ الجن والإنس؛ أي: سنحاسبكم فنعذبكم، وهي كلمة وعيد؛ يعني: المشركين منهم.

قال محمدٌ: لغة أهل الحجاز: فَرَغ يَفْرُغُ - بضم الرَّاء - فُرُوغًا، وتميم تقول: فَرِغ يفرَغ - بفتح الراء - فراغًا[1].

﴿يا معشر الجن والإنس﴾ يعني: المشركين منهم ﴿إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض﴾ من نواحيها ﴿فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ إلا بحجة في تفسير مجاهد.

﴿يرسل عليكما﴾ يعني: الكفار من الجن والإنس ﴿شواظٌ من نار ونحاس﴾ الشُّواظ: اللهب الذي لا دُخان فيه، والنحاس: الدخان الذي لا

(١) ولغة أهل الحجاز هي الفصحى. ينظر الدر المصون (٦/ ٢٤٢)، لسان العرب (فرغ).

لهب فيه؛ هذا تفسير ابن عباس.

قال محمدٌ: من قرأ (نحاسٌ) بالرفع فعلى معنى: ويُرْسَلُ عليكما نحاسٌ [(١)].

﴿فلا تنتصران﴾ تمتنعان.

﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة﴾ محمّرة ﴿كالدهان﴾ يعني: كعكر الزيت؛ في تفسير زيد بن أسلم.

﴿فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ أي: لا يُطْلب علم ذلك من قِبَلِهِمْ.

﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿يُعْرَفُ المجرمون بسيماهم﴾ بسواد وجوههم وزرقة أعينهم.

﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ يجمع بين ناصيته وقدَميْه من خلفه، ثم يلقى في النار.

﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون﴾ المشركون ﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ يعني: الحارّ الذي انتهى حَرُه.

قال محمدٌ: أنى يأني وهو آنٍ [(٢)].

---

(١) قرئ (نحاس) بالرفع والجر، حيث قرأ بالجر ابن كثير وأبو عمرو، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: السبعة (٦٢١)، التيسير (٢٠٦) وفي توجيه القراءتين أقوال نحوية. ينظر: البحر (٨/ ١٩٥)، الدر المصون (٦/ ٢٤٣).

(٢) أي: مثل قَضَى يَقْضِي فهو قاضٍ. ينظر لسان العرب (أنى).

قال يحيى: بلغنا أن شجرة الزقوم نابتة في الباب السَّادس من جهنم على صخرة من نار، وتحتها عيْنٌ من الحميم أسود غليظ، فيسلّط على أحدهم الجوع، فيُنْطلق به فيأكل منها حتى يملأ بطْنَه، فتغلي في بطنه كغلي الحميم، فيطلب الشراب ليبرد به جوْفَه، فينزل من الشجرة إلى تلك العين التي تخرج من تحت الصَّخرة من فوقها الزقوم، ومن تحتها الحميمُ، فتزلّ قدماه فيقع لظهره وجنبه، فينشوي عليها كما ينشوي الحوت على المِقلى، فتسحبه الخُزَّان على وجهه، فينحدر إلى تلك العَيْنِ، فلا ينتهي إليها إلا وقد ذهب لحم وجهه حتى ينتهي إلى تلك العين فيسقيه الخُزَّان في إناء من (. . .)[1] فإذا (. . .)[1] (ل٣٤٩) فيه اشتوى وجهه، وإذا وضعه على شفتيه تقطعت شفتاه وتساقطت أضراسه وأنيابه من حره؛ فإذا استقر في بطنه أخرج ما كان في بَطْنه من دُبُره.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾

﴿ولمن خاف مقام ربه﴾ يعني: الذي يقوم بين يدي ربه للحساب في تفسير

(١) طمس في الأصل نحو كلمتين.

الحسن ﴿جنتان﴾ قال الحسن: هي أربع جنات: جنتان للسابقين وهم أصحاب الأنبياء، وجنتان للتابعين[١].

﴿ذواتا أفنان﴾ أغصان؛ يعني: ظلال الشجر؛ في تفسير الحسن.

قال محمدٌ: واحدها فننٌ[٢].

﴿فيهما من كل فاكهةٍ زوجان﴾ أي: نوعان.

﴿متكئين على فرشٍ بطائنها من إستبرق﴾ تفسير الحسن: بطائنها؛ يعني: ما يلي جلودهم، والإستبرق: الصَّفيق من الديباج[٣].

﴿وجنى الجنتين﴾ يعني: ثمارها ﴿دان﴾ قريب يتناولون منها وهم قعود ومضطجعون وكيف شاءوا.

﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ قصر طرْفهنَّ على أزواجهن لا يُرِدْن غيرهم ﴿لمْ يطمثهن إنس﴾ لم يَمْسَسْهُنَّ إنسٌ ﴿قبلهم ولا جان﴾ يعني: قبل أزواجهن في الجنة بعد خلق اللَّه إيّاهُنّ الخلق الثاني؛ يعني: من كان من المؤمنات من نساء الدنيا.

قال محمدٌ: من كلام العرب: ما طمث هذا البعيرَ حبلٌ قط[٤].

﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ يريد: صفاء الياقوت في بياض المرجان.

---

(١) وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿جنتان﴾: يريد بالتثنية المفرد، يعني جنة. ينظر معاني القرآن (٣/ ١١٨)، كشف المشكلات (٢/ ١٣٠٧).

(٢) وقيل: واحدها (فنّ)، والمعنى: ذواتا أنواع وأشكال، إلا أن الكثير في (فن) أنه يجمع على (فنون). ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٤٦)، لسان العرب (فن).

(٣) وقيل: إستبرق على وزن إستفعل، وقيل: هو فارسي معرب، وتصغيره: أبيرق. ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٤٧)، لسان العرب (برق) (إستبرق)، المختار من صحاح اللغة (برق).

(٤) أي: ما مسّه عِقَال. لسان العرب (طمث).

﴿هل جزاء الإحسان﴾ الإيمان ﴿إلا الإحسان﴾ الجنة.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿ومن دونهما﴾ يعني: الجنتين اللتين وصف ما فيهما ﴿جنتان﴾ وهاتان الجنتان [الأخريان][١] لأصحاب اليمين الذين ليسوا من السابقين.

﴿مدهامتان﴾ يعني: حمراوَيْن ناعمتَيْن.

﴿فيهما عينان نضاختان﴾ أي: فوَّارتان.

قال محمدٌ: يقال: ادهامّتْ ادْهيمامًا[٢]، والنضخ الفعل منه نَضَخ يَنْضَخُ وَيَنْضِخ، ونَضَح باليد بالحاء غير منقوطة، والنضخُ في اللغة أكثر من النضح[٣].

﴿فيهن خيراتٌ حسان﴾ يعني: النساء، الواحدة منهن: خيرة[٤].

---

(١) في الأصل: الأخروان.

(٢) والادهامُّ: السواد وشدة الخضرة جعلا مدهامتين؛ لشدة رِيِّهما، ولذلك قالوا: سواد العراق؛ لكثرة شجره وزروعه. ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٤٨)، لسان العرب (دهم).

(٣) ينظر لسان العرب (نضح - نضخ). وقال السمين الحلبي: النضخ فوق النضح بالحاء؛ لأن النضح بالحاء: الرش والرشح، والنضخ بالخاء: فوران الماء. ينظر الدر المصون (٦/ ٢٤٨).

(٤) قيل: الواحدة: (خَيْرة) بزنة فَعْلة، وقيل: الواحدة (خيرة) المخففة من (خيِّرة). الدر المصون (٦/ ٢٤٩) وينظر لسان العرب (خير).

قال محمدٌ: (خَيْراتٌ) أصْلُه في اللغة: خيراتٌ مخفف[1] كما يقال: هيْنٌ لَيْنٌ[2] المعنى: أنهنّ حسانُ الخلق.

﴿حورٌ﴾ أي: بيض ﴿مقصورات﴾ محبوسات ﴿في الخيام﴾ قال ابن عباس: الخيْمة: درّةٌ مجوَّفة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع.

﴿متكئين على رفرف خضر﴾ قال قتادة: يعني: المحابس[3] ﴿وعبقري حسان﴾ قال ابن عباس: يعني: الوسائد.

قال يحيى: الواحدة: عبقرة[4].

﴿تبارك اسم ربك﴾ تقدّس اسم ربك ﴿ذي الجلال﴾ العظمة ﴿والإكرام﴾ لأهل طاعته.

* * *

---

(١) أي مخفَّف من: خيِّرات.

(٢) وهو مخفَّف من: هَيِّن لَيِّن.

(٣) وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٦/ ٢٤٩).

(٤) وقيل: عبقري جمع عبقرية، بمعنى فتكون اسم جنس. وقيل: هو واحد دال على الجمع، و(عبقري) منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنها بلد الجن، فكل ما عظموه وتعجبوا منه قالوا: هذا عبقري. ينظر لسان العرب (عبقر)، الدر المصون (٦/ ٢٥٠).

تفسير سورة الواقعة وهي مكية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً (٧) فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٩)﴾

قوله: ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ القيامة ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ أي: هي كاذبة.

قال محمدٌ: المعنى: ليس لوقعتها وقعةٌ كاذبة.

﴿خافضة رافعة﴾ خفضت والله أقوامًا إلى النار، ورفعت أقوامًا إلى الجنة ﴿إذا رجّتِ الأرض رجًّا﴾ زلزلت زلزالًا ﴿وبُسّت الجبال بسًّا﴾ فُتّتْ فتاة[1] ﴿فكانت هباءً منبثًّا﴾ قال الحسن: يعني: غبارًا ذا هَبَاءٍ ﴿وكنتم أزواجًا﴾ أصنافًا ﴿ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة﴾ وهم الميامين على أنفسهم ﴿وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشمئة﴾ وهم المشائيم على أنفسهم.

قال محمدٌ: قوله: ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ هذا اللفظ في العربية مجراه مجرى التعجب، كأنه قال: أي شيء هُمْ؟ يقال في الكلام: فلانٌ ما فلانٌ، ومجراه من الله - عز وجلّ - في مخاطبة العباد مَجْرى ما يُعَظِّمُ به الشأن عندهُمْ، وكذلك هذا في قولــه: ﴿ما أصحاب المشأمة﴾ أي: أيّ شيء

(١) هكذا في الأصل، والمراد: فُتّت فَتًّا أو فُتاتًا.

هم؟![1] ويقول: يَمَنَ فلان على القوم ويَمُن وهو ميمونٌ[2]، وشأم القوم وشُئم عليهم فهو مشئوم[3].

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ تفسير الحسن: السّابقون أصحاب النبي ﷺ وأصحابُ الأنبياء ﴿ثُلّة من الأولين﴾ والثُلة: الطّائفة ﴿وقليلٌ من الآخرين﴾ يعني: أن سابقي جميع الأمم أكثر من سابقي أمّة محمدٍ ﴿على سرُرٍ موضونة﴾(ل٣٥٠) مَرْمولة، ورَمَلها نسجها بالياقوت واللُّؤلؤ ﴿متكئين عليها متقابلين﴾ لا ينظر بعضُهم إلى قفا بعضٍ.

قال يحيى: بلغني أنّ ذلك إذا تزاوروا ﴿ يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون﴾ لا يموتون ولا يشيبون على منازل الوُصَفاء، خُلِدوا على تلك الحال لا يتحوّلون عنها ﴿لا يُصَدَّعون عنها﴾ لا يصيبهم عليها صُدَاعٌ ﴿ولا يُنزفون﴾ لا تذهب

---

(١) ينظر البحر (٨/ ٢٠٤)، الدر المصون (٦/ ٢٥٣).

(٢) يقال: يَمَن فلان على القوم يَيْمن يَمْنًا فهو ميمون.

يقال: يَمُن فلان على القوم يَيْمُن يُمْنًا ومَيْمنة فهو يَامِن ويَمِين وأَيْمَن.

ويقال: يُمِنَ فلان على القوم فهو ميمون. والجمع: ميامين. ينظر لسان العرب (يمن).

(٣) أي: جرّ عليهم الشُؤم، والجمع: مشائيم. لسان العرب (شأم).

عقولُهُم أي: لا يسكرون ﴿وفاكهة مما يتخيَّرُون﴾ إذا اشْتهوا الشعْبَ من الشجرة انقض إليهم فأكلوا منه أيَّ الثمار شاءوا؛ إن شاءوا قيامًا، وإن شاءوا مُسْتلقين. ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ قال سَعِيد بن راشد: بلغني أن الطير تُصَفُّ بين يدي الرجل؛ فإذا اشتهى أحدها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجًا ﴿وحور عينٌ﴾ أي: بيضٌ، عينٌ أي: عظام العيون، الواحدة منهن عَيْنَاء.

وقال محمدٌ: ﴿وحورٌ عينٌ﴾ مَرْفوعٌ بمعنى: ولهُمْ حورٌ عين [(١)].

﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ يعني: صفاء ألوانهن، والمكنون الذي في أصدافه ﴿ جزاءً بما كانوا يعملون﴾.

قال محمدٌ: ﴿جزاءً﴾ مصدرٌ، المعنى: يجازون بأعمالهم جزاءً [(٢)].

﴿لا يسمعون فيها لغوًا﴾ أي: باطلًا ﴿ولا تأثيمًا﴾ لا يؤثم بعضهم بعضًا ﴿إلا قيلًا سلامًا سلامًا﴾ تفسير بعضهم: إلا خيرًا خيرًا.

قال محمدٌ: المعنى على هذا التفسير: لا يسمعون فيها إلا قيلًا يُسْلَمُ فيه من اللغو والإثم.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ

---

(١) وعليها قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي، فقد قرآ بالجر، وقرئ شاذًا بالنصب. ينظر: السبعة (٦٢٢)، التيسير (٢٠٧)، شواذ ابن خالويه (١٥١)، المحتسب (٢/ ٣٠٩). وينظر التوجيه النحوي في البحر (٨/ ٢٠٦)، الدر المصون (٦/ ٢٥٧).

(٢) أي بالنصب على المفعول من أجله أو المفعول المطلق، أجاز القولين الزجاج والنحاس وغيرهما. ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٣٢٧)، البيان (٢/ ٤١٥)، التبيان (١٢٠٤).

﴿٣٨ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ٤٠﴾

﴿وأصحابُ اليمين ما أصحاب اليمين﴾ يعني: أهل الجنة من غير السابقين، وأهل الجنة كلهم أصحاب اليمين ﴿ في سدرٍ مخضودٍ﴾ المخضودُ: الذي لا شوك له ﴿وطلح منضود﴾ أي: بعضه على بعضٍ يعني بالطلح: الشجر الذي بطريق مكة. قال مجاهد: كانوا يعجبون من وج[(١)] وظلاله من طَلْحٍ وسِدْرٍ، فخوطبوا ووُعِدوا بما يحبون مثله.

قوله: ﴿وظلٍّ ممدود﴾ أي: متصل دائم أبدًا ﴿وماءٍ مسكوب﴾ ينسكب بعضُه على بعض، وليس بالمطر ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال أبو أمامة: ارتفاعها من الأرض قدر مائة سنة ﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً﴾ خلَقْناهُنّ؛ يعني: نساء أهل الجنة ﴿فجعلناهن أبكارًا﴾ عَذَارى ﴿عُرُبًا﴾ يعني: متحبِّبات إلى أزواجهن ﴿أترابًا﴾ أي: على سنٍّ واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة.

قال محمدٌ: ﴿عُرُبًا﴾ جمع عَرُوبٍ، وأصل الكلمة: المُعَارَبة؛ وهي المداعَبة [(٢)] وقال: ﴿إنا أنشأناهُنّ إنشاء﴾ ولم يذكر النساء قبل ذلك؛ لأن الفرش محل النساء، فاكتفى بذكر الفُرش، المعنى: أنشأنا الصبية والعجوز إنشاءً جديدًا[(٣)].

قوله: ﴿ثلّة من الأولين وثلة من الآخرين﴾ الثُّلَّة: الطَّائفة.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ٤١ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٤٢ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ٤٣ لَّا بَارِدٍ

---

(١) وج: الطائف. معجم البلدان (٥/ ٤١٦).

(٢) والعَرُوب: هي المتحببة إلى زوجها. لسان العرب (عرب).

(٣) أجاز ذلك القرطبي (١٧/ ٢١٠). وقيل: يعود الضمير إلى قوله: ﴿وفرش مرفوعة﴾ لا إلى قوله: ﴿وحور عين﴾. وقيل غير ذلك. ينظر: كشف المشكلات (٢/ ١٣١٦)، الدر المصون (٦/ ٢٥٩).

وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ وهم أهلُ النار.

يحيى: عن فطر، عن عبدالرحمن بن سابطٍ، عن أبي بكر الصديق قال: «خلق الله الخلق فكانوا قبضته، فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام. وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي. فذهبتْ إلى يوم القيامة»(١).

قال يحيى: وبلغني أنه قوله: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾.

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ١٢٣ رقم ٢٠٠٩٤) ومن طريقه ابن بطة في الإبانة كتاب القدر (٢/ ١٢٥ رقم ١٥٥٥) عن الثوري عن فطر بن خليفة به.
ورواه الدارمي في الرد على المريسي (١/ ٢٦٨-٢٦٩) من طريق الثوري به.
ورواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ١٢٥-١٢٦رقم ١٥٥٦) من طريق يحيى بن سعيد القطان عن فطر.
ورواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٤/ ٦٦٢-٦٦٣ رقم ١٢٠٣، ١٢٠٤) من طريق مروان الفزاري وأبي إسحاق عن فطر به.
ورواه الفريابي في القدر (٤٢ رقم ٢١) وعنه الآجري في الشريعة (١/ ٣٩٤ رقم ٤٥٣) وابن بطة في الإبانة (٢/ ١٢٦ رقم ١٥٥٧) من طريق عمرو بن دينار، عمن أخبره عن عبدالله بن شداد، عن أبي بكر الصديق ﷺ.

قوله: ﴿في سموم وحميم﴾ في نار وحميم؛ يعني: الشراب الشديد الحرّ ﴿وظلّ من يحموم﴾ اليحموم: الدُّخان الشديد السَّواد ﴿لا باردٍ﴾ في الظِّل ﴿ولا كريم﴾ في المنزل، والكريم: الحسن ﴿إنهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ والمترفون أهل السَّعَة والنعمة في الدُّنيا ﴿وكانوا يصرون﴾ يقيمون ﴿على الحنث﴾ يعني: الذَّنب ﴿العظيم﴾ وهو الشرك ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا...﴾ الآية[1] لا نبعث نحن ولا آباؤنا ﴿فشاربون شرب الهيم﴾ يعني: الإبل العطاش؛ في تفسير الكلبي.

قال محمدٌ: بعيرٌ أهْيَمُ وناقة هَيْمَاء[2].

﴿هذا نزلهم يوم الدين﴾ يوم الحساب.

قال محمدٌ: نزلهم أي: رزقهم وطعامهم.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿نحن خلقناكم﴾ يقوله للمشركين ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿تصدقون﴾ بالبعث ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ يعني: النطفة ﴿أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ على الاستفهام أي: لستم الذين تخلقونه (ل٣٥١) ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ لكل عبد وقت لا يعدوه ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بمغلوبين ﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ آدميين خيرًا منكم يقوله للمشركين ﴿وننشئكم﴾ نخلقكم ﴿فيما لا

---

(١) بعدها في الأصل علامة إلحاق، ولم يظهر بالحاشية شيء، والله أعلم.

(٢) ينظر: لسان العرب (هيم)، وفي واحد (الهيم) أقوال كثيرة، ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٦١-٢٦٢).

تعلمون﴾ قال مجاهد: يعني في أي خلق شئنا ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ خلق آدم وذريته بعده ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿تذكرون﴾ فتؤمنوا بالبعث.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه﴾ أي: تنبتونه يقوله لهم على الاستفهام ﴿أم نحن الزارعون﴾ أي: لستم الذين تزرعونه، ولكن نحن الزارعون المنبتون ﴿لو نشاء لجعلناه﴾ يعني: الزرع ﴿حطامًا فظلتم تفكهون﴾ تفسير بعضهم: تعجبون، المعنى: يعجبون لهلاكه بعد خضرته[١] ﴿إنا لمغرمون﴾ أي: مهلكون ﴿بل نحن محرومون﴾ حُرِمْنا الزرع.

﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ من السحاب.

قال محمدٌ: واحدها مزنة[٢].

﴿لو نشاء جعلناه أُجاجًا﴾ مُرًّا ﴿فلولا تشكرون﴾ هلَّا تؤمنون؛ يقوله للمشركين ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ أي: تستخرجون من الزُّنود[٣] ﴿أأنتم أنشأتم شجرتها﴾ التي تخرج منها ﴿أم نحن المنشئون﴾.

---

(١) وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٦/ ٢٦٤).

(٢) والمُزْن: اسم جنس. ينظر لسان العرب (مزن).

(٣) أي: مأخوذ من أوريت الزند، أي: قدحته فاستخرجت ناره. الدر المصون (٦/ ٢٦٥).

قال محمدٌ: تقول: أوْرَيْتُ النار إيراءً، ولغة أخرى: وَرَيْتُها وَرْيًا[١] إذا قَدَحْتَها، وَوَرَتْ هي إذا ظهرتْ، ومن كلامهم: وَرِيَتْ بك زنادي[٢].

﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ للنار الكبرى ﴿ومتاعًا للمقوين﴾ للمسافرين ينتفعون بها؛ في تفسير الحسن.

قال محمدٌ: المقوي: الذي ينزل بالقَوَاء، وهي الأرض القفر[٣].

﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ يقوله لنبيه، فنزِّه اللهَ مما يقولون.

قال يحيى: وبلغني أنها لما نزلت قال رسول اللّه ﷺ: « اجعلوها في ركوعكم. ولما نزلت: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: اجعلوها في سجودكم»[٤].

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ

---

(١) ووُرِيًا ورِيَةً. لسان العرب (ورى).

(٢) لسان العرب (ورى).

(٣) يقال: أقوى الرجل إذا دخل في الأرض القواء وهي القفر، وأقوت الدار: خلت من أهلها لأنها تصير قفرًا. لسان العرب (قوى).

(٤) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٥٥)، والطيالسي (١٣٥ رقم ١٠٠٠)، وأبو داود (٢/ ٦ رقم ٨٦٥)، وابن ماجه (١/ ٢٨٧ رقم ٨٨٧)، والدارمي(١/ ٣٤١ رقم ١٣٠٥)، وابن خزيمة (١/ ٣٣ رقم ٦٠٠، ٦٠١، ١/ ٣٣٤ رقم ٦٧٠)، وابن حبان (٥/ ٢٢٥ رقم ١٨٩٨)، والحاكم (١/ ٢٢٥، ٢/ ٤٧٧)، وابن عبدالبر في التمهيد (١٦/ ١١٩)، والبيهقي في السنن (٢/ ٨٦) من طريق إياس بن عامر عن عقبة بن عامر ﷺ.

وقال ابن حبان بإثره: إياس بن عامر من ثقات المصريين.

وقال الحاكم: هذا حديث حجازي صحيح الإسناد، وقد اتفقا على الاحتجاج برواته غير إياس بن عامر، وهو عم موسى بن أيوب القاضي، ومستقيم الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

فتعقبه الذهبي بقوله: إياس ليس بالمعروف.

كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

قوله: ﴿فلا أقسم﴾ أي: أقسم، و(لا) زائدة[١] ﴿بمواقع النجوم﴾ نجوم القرآن إذ نزل جبريل على النبي ﴿إنه لقرآن كريم﴾ على الله ﴿في كتاب مكنونٍ﴾ عند الله ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ من الذنوب؛ يعني: الملائكة ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ نزل به جبريل، وفيها تقديمٌ يقول: تنزيل من رب العالمين في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون. ﴿أفبهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾ أي: تاركون له، يقوله للمشركين.

قال محمدٌ: يقال: أدهن في أمره وداهن؛ وهو الكذّاب المنافق[٢].

﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ أي: تجعلون مكان الرزق التكذيب.

قال محمدٌ: جاء عن ابن عباس «أنه كان يقرأ: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»[٣]. وقيل: إن لغة أزد شنوءة ما رزق فلان أي: ما شكر فلان[٤].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾

---

(١) أي: زائدة للتوكيد مثلها في قوله تعالى: ﴿لئلايعلم﴾ (الحديد ٢٩) والتقدير: فأقسم وليعلم. وقيل غير ذلك. ينظر: البحر (٨/ ٢١٤)، مجمع البيان (٥/ ٢٢٦)، الدر المصون (٦/ ٢٦٦).

(٢) لأنه يظهر خلاف ما يضمر، مأخوذ من المداهنة. لسان العرب (دهن).

(٣) وهي أيضًا قراءة علي بن أبي طالب (وتجعلون شكركم) مكان (رزقكم) ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٦٩).

(٤) لسان العرب (رزق)، الدر المصون (٦/ ٢٦٩).

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٩٦)﴾

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿إذا بلغت﴾ النفس التي زعمتم أن الله لا يبعثها ﴿الحلقوم﴾ ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿إن كنتم غير مدينين﴾ غير محاسبين ﴿ترجعونها إن كنتم صادقين﴾ بأنكم لا تبعثون ﴿فأما إن كان من المقربين فروح وريحان﴾ تقرأ: (رَوْحٌ) بفتح الراء وضمها، فمن قرأها بالفتح فمعناها: الراحة، ومن قرأها بالرفع فمعناها: الحياة الطويلة في الجنة[1]. والريحان: الرزق.

قوله: ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك﴾ أي: خيرٌ لك ﴿من أصحاب اليمين﴾وهؤلاء أصحاب اليمين من غير المقربين.

﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين...﴾ الآية.

يحيى: عن صاحب له، عن محمدِ بن عمرو، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الميت تحضره الملائكةُ؛ فإذا كان الرجلُ الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فيقال لها ذلك حتى تخرج، فيصعد بها إلى السماء فيستفتح لها؛ فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: مرحبًا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله - تبارك وتعالى - وإذا كان الرجل السَّوْءُ قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم

(١) العامة على فتح الراء من (روح)، وقرأ ابن عباس وعائشة والحسن وقتادة ﵃ بضمها. ينظر الدر المصون (٦/ ٢٧٠).

وغسَّاق، وآخر من شكله أزواج، فيقولون ذلك له حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لن يفتح لكِ! فترمى من السماء إلى الأرض، ثم تصير في القبر»[١].

يحيى: عن حماد، عن عطاء بن يسار، عن عبدالرحمن(ل٣٥٢) بن أبي (. . .)[٢] عن (. . .)[٢] يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «من أحبَّ لقاء الله

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٦٤-٣٦٥، ٦/ ١٤٠) والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٤٣-٤٤٤ رقم ١١٤٤٢) وابن ماجه (٢/ ١٤٢٣-١٤٢٤ رقم ٤٢٦٢، ٢/ ١٤٢٦ رقم ٤٢٦٨) وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٧٦-٢٧٧ رقم ١٧٦) والطبري في تفسيره (٨/ ١٧٧)، والآجري في الشريعة (٢/ ٢١٩ رقم ٩٧٩) وابن منده في التوحيد (٣/ ٢٧٧-٢٢٨ رقم ٨٤٩) وفي الإيمان (٢/ ٩٦٨ رقم ١٠٦٨) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٤٥ رقم ٣٥) وابن قدامة في العلو (٥٧- ٥٨ رقم ٢٤) والذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين (٨٦ - ٨٧ رقم ٢٢) من طريق محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب عن محمد بن عمرو به.

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: هذا حديث متفق على عدالة ناقليه، اتفق الإمامان محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج على ابن أبي ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء وسعيد ابن يسار، فهم من شرطهما، ورواه المتقدمون الكبار عن ابن أبي ذئب مثل ابن أبي فديك وعنه دحيم بن إبراهيم. انتهى، نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص ٢٧٦-٢٧٧) وابن القيم في الروح (٤٩).

وقال المنذري في الترغيب (٤/ ٣٧٠): وهو عند ابن ماجه بإسناد صحيح.

وقال القرطبي في التذكرة (ص ٥٨): وهذا إسناد صحيح ثابت.

وقال الذهبي في الأربعين: هذا حديث صحيح على شرط خ م، ولم يخرجاه.

ونحوه في العلو (٢/ ٣٦).

وقال ابن القيم في الروح(ص ١٨٤): وهو حديث صحيح.

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤١٨): وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة.

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/ ٣١١ رقم ١٥٢٥): هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢/ ٤٤٠ رقم ١٨٥١): رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

(٢) طمس في الأصل، ولم أستطع ضبط هذا الإسناد، والله أعلم.

أحبَّ اللهُ لقاءه، ومن كره لقاء الله كره اللهُ لقاءه»[(١)].

قوله: ﴿إن هذا لهو حقُّ اليقين﴾ هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة ليقينٌ حقٌّ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي: نزِّه الله من السوء.

* * *

(١) رواه البخاري (١١/ ٣٦٤-٣٦٥ رقم ٦٥٠٧) ومسلم (٤/ ٢٠٦٥ رقم٢٦٨٣) عن عبادة بن الصامت ﵁.
ورواه البخاري (١١/ ٣٦٥ رقم ٦٥٠٨) ومسلم (٤/ ٢٠٦٧ رقم ٢٦٨٦) عن أبي موسى الأشعري ﵁.
ورواه مسلم (٤/ ٢٠٦٥-٢٠٦٦ رقم ٢٥٨٤، ٢٥٨٥) عن عائشة وأبي هريرة ﵄.
وروى الإمام أحمد (٤/ ٢٥٩ - ٢٦٠) وابن أبي عمر - كما في المطالب (٣/ ٢٨٢ رقم ٣٢٢٨) - من طريق عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن رجل من الصحابة ﵁.
وفي الباب عن غير واحد من الصحابة ﵃.

تفسير سورة الحديد وهي مدنية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

قوله: ﴿سبح لله ما في السمٰوات والأرض وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿هو الأول﴾ يعني: قبل كل شيء ﴿والآخر﴾ بعد كل شيء ﴿والظاهر﴾ يعني: العالم بما ظهر ﴿والباطن﴾ يعني: العالم بما بطن.

﴿هو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام﴾ اليوم منها ألف سنة ﴿ثم استوى على العرش﴾ تفسير ابن عباسٍ قال: إن الكُرسي الذي وسع السمٰوات والأرض لموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ ما يدخل فيها من المطر ﴿وما يخرج منها﴾ من النبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من وحيٍ وغيره ﴿وما يعرج فيها﴾ يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد.

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وهو أخْذ كل واحد منهما من صاحبه ﴿وهو عليمٌ بذات الصدور﴾ بما في الصدور.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ بعد الأمم التي أهلك ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم﴾ في صلب آدم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالله والرسول؛ فأنتم مؤمنون بذلك الميثاق ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات﴾ يعني: القرآن ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ من الضلالة إلى الهدى، يعني: من أراد أن يهديه.

﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله﴾ رجع إلى الكلام الأول ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾.

﴿ولله ميراث السمٰوات والأرض﴾ يبقي ويهلك كل شيء ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ فيها تقديمٌ: لا يستوي من أنفق منكم من قبل الفتح وقاتل، وهو فتح مكة[1].

﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكلًّا وعد الله

---

(١) ولم يقل: (ومن أنفق من بعد الفتح)، وحذف، لأن قوله: ﴿من الذين أنفقوا من بعد﴾ يدل عليه. وكذلك أيضًا لوضوح الدلالة. ينظر: كشف المشكلات (٢/ ١٣٢١)، الدر المصون (٦/ ٢٧٣).

الحسنى﴾ يعني: الجنة؛ من أنفق وقاتل قبل فتح مكة وبعده.

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا﴾ أي: مُحْتسبًا هذا في النفقة في سبيل الله، وفي صدقة التطوع ﴿فيضاعفه له وله أجرٌ كريم﴾ الجنة.

قال محمدٌ: من قرأ (فيضاعفُهُ له) بالرفع فعلى الاستئناف، أي: فهو يضاعفه له، ومن قرأ بالنصب فعلى جواب الاستفهام بالفاء[1].

﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾ يقودهم إلى الجنة ﴿وبأيمانهم﴾ كتبهم، وهي بُشْراهم بالجنة.

﴿انظرونا﴾ انتظرونا ﴿نقتبس من نوركم﴾ وذلك أنه يعطي كل مؤمن ومنافق نورًا على الصراط، فيطفأ نورُ المنافقين ويبقى نورُ المؤمنين، فيقول المنافقون للمؤمنين: ﴿انظرونا﴾ انتظرونا نقتبس من نوركم، ويحسبون أنه قبسٌ كقبس الدنيا إذا طفئت نار أحدهم اقتبس، فقال لهم المؤمنون وقد عرفوا

---

(١) قرأ عاصم وابن عامر بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: السبعة(١٨٤-١٨٥)، التيسير (٨١)، النشر (٢/ ٢٢٨)، الدر المصون (١/ ٥٩٥)، (٦/ ٢٧٤-٢٧٥).

أنهم منافقون: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا؛ فرجعوا وراءهم فلم يجدوا شيئًا، فهنالك أدركتْهم خدْعةُ الله.

﴿فضرب بينهم بسور له بابٌ﴾ تفسير مجاهد: السور: الأعراف ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ الجنة ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ النار.

قال يحيى: والأعراف جبَلُ أُحُدٍ فيما بلغني يُمثَّلُ يوم القيامة بين الجنة والنار.

﴿ينادونهم﴾ ينادي المنافقون المؤمنين حين ضرب بينهم بسور ﴿ألم نكن معكم﴾ في الدنيا على دينكم ﴿قالوا بلى﴾ أي: فيما أظهرتم ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ يعني: أكفرتم أنفسكم فتربصتم بالنبي وقلتم: هلك فنرجع إلى ديننا ﴿وارتبتم﴾ شككتم ﴿وغرتكم الأماني﴾ أي ما كنتم تتمنون من قولكم: يهلك محمدٌ وأصحابه، فنرجع إلى ديننا ﴿حتى جاء أمر الله﴾ قال بعضهم: يعني الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ الشيطان أخبركم بالوسوسة إليكم أنكم لا ترجعون إلى الله ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فديةٌ﴾ وذلك أنهم (. . .)[1] الإيمان يوم القيامة فلا يقبل منهم (. . .)[1] الذين كفروا (. . .)[1] يعني (. . .)[1] (ل٣٥٣) الذين جحدوا في الدنيا في العلانية، وأما المنافقون فجحدوا في السر وأظهروا الإيمان، فآمنوا كلهم في الآخرة فلم يقبل منهم ﴿مأواكم النار﴾ يعني الكفار والمنافقين ﴿هي مولاكم﴾ أي كنتم تتولونها في الدنيا، فتعملون عمل أهلها.

قال محمدٌ: وقيل:(هي مولاكم) هي أولى بكم لما أسلفتم، وهو الذي أراد يحيى أيضًا.

---

(١) لم يظهر في مصورتنا لعيب في التصوير.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الخشوع الخوف ﴿وما نزل من الحق﴾ يعني: القرآن. قال محمدٌ: يقول: أنى الشيء يأني إذا حان[١] ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ يعني: اليهود ﴿فطال عليهم الأمد﴾ بقاؤهم في الدنيا ﴿فقست قلوبهم﴾ غَلُظَتْ ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ يعني: من ثبت منهم على الشِّرك، تفسير بعضهم نزلَتْ في المنافقين، أمرهم أن يخلصوا الإيمان؛ كما أخلص المؤمنون وقوله: ﴿للذين آمنوا﴾ يعني: أقروا بألسنتهم ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ يعني: المتصدِّقين والمتصدِّقات ﴿وأقرضوا الله قرضًا حسنًا﴾ يعني: يقدمون لأنفسهم، وهذا في التطوع. ﴿يضاعف لهم ولهم أجرٌ﴾ ثواب ﴿كريم﴾ الجنة. ﴿أولئك هم الصديقون﴾ صدّقوا بما جاء من عند الله ﴿والشهداء عند ربهم﴾ تفسير مجاهد: يشهدون على أنفسهم بالإيمان بالله.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ

---

(١) لسان العرب (أنى).

وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ﴾ أي: إنما أهلُ الدنيا أهلُ لعبٍ ولهوٍ، يعني: المشركين ﴿كمثل غيثٍ﴾ مطر ﴿أعجب الكفار نباتُه﴾ يعني: ما أنبتت الأرض من ذلك المطر ﴿ثم يهيج﴾ ذلك النبات ﴿فتراه مصفرًا ثم يكون حطامًا﴾ كقوله: ﴿هشيمًا تذروه الرياح﴾(١).

قال محمدٌ: لم يفسر يحيى معنى (الكفار)، ورأيت في كتاب غيره أنهم الزرّاع. يقال للزارع: كافر؛ لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كَفَره أي غطّاه(٢)، وقيل: قد يحتمل أن يكون أراد الكفار بالله، وهم أشد إعجابًا بزينة الدنيا من المؤمنين، والله أعلم بما أراد.

وقوله: ﴿ثم يهيج فتراه مصفرًّا﴾ أي: يأخذ في الجفاف فتبتدئ به الصفرة

(١) الكهف: ٤٥ .
(٢) لسان العرب: كفر.

﴿ثم يكون حطامًا﴾ أي: متحطِّمًا متكسِّرًا ذاهبًا. وقوله: ﴿وفي الآخرة عذابٌ شديد﴾ للكافرين ﴿ومغفرة من الله ورضوانٌ﴾ للمؤمنين ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغُرُور﴾ يغترُّ بها أهلها ﴿سابقوا﴾ أي: بالأعمال ﴿ إلى مغفرةٍ من ربكم وجنة عرضُها كعرض السماء والأرض﴾ يعني: جميع السمٰوات وجميع الأرض مبسوطات، كل واحدة إلى صاحبتها، هذا عرضها، ولا يصف أحدٌ طولها ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ يعني: الجدوبة ونقص الثمار ﴿ولا في أنفسكم﴾ يعني: الأمراض والبلايا في الأجساد ﴿إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ نخلقها تفسير بعضهم: من قبل أن يخلق السمٰوات والأرض ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ هينٌ.

﴿لكي لا تأسوا﴾ تحزنوا ﴿ على ما فاتكم﴾ يعني من الدنيا ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ يعني: من الدنيا.

قال محمدٌ: وقيل معنى (تفرحوا) ها هنا أي: تفرحوا فرحًا شديدًا تأشرون فيه وتبْطرون، ودليل ذلك ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور﴾ فدلّ بهذا أنه ذمَّ الفرحَ الذي يختالُ فيه صاحبه ويبطرُ، وأما الفرح بنعمة الله والشكر عليها فغيْر مذمومٍ، وكذلك ﴿ لكي لا تأسوا على ما فاتكم﴾ لا تحزنوا حزنًا شديدًا لا تعتدون فيه، سواء ما تُسْلَبُونه وما فاتكم.

﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ يعني: اليهود يأمرون إخوانهم اليهود بالبخل، بكتمان ما في أيديهم من نعت محمدٍ والإسلام ﴿ومن يتولّ فإن الله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ المستحمدُ إلى خلقه، استوجب عليهم أن يحمدوه.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ

بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿لقد أرسلنا رسُلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾ أي: وجعلنا الميزان ﴿بالقسط﴾ أي: بالعدل ﴿وأنزلنا الحديد﴾ أي: وجعلنا (ل٣٥٤) الحديد، أخرجه اللَّه من الأرض ﴿فيه بأسٌ شديد﴾ يعني: ما يصنع منه من السلاح. ﴿ومنافع للناس﴾ يعني: ما ينتفعون به من الحديد في معايشهم ﴿وليعلم اللَّه من ينصره ورسله بالغيب﴾ والغيب: البعث والحساب والجنة والنار، وإنما ينصر اللَّهَ ورسولَه من يؤمن بهذا، وهذا علم الفعَال ﴿إن اللَّه قوي عزيزٌ﴾ في نقمته.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَۖ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ فكان أول كتاب نزل فيه الحلال والحرام كتاب موسى قال: ﴿فمنهم مهتدٍ﴾ يعني:

من ذرّيتهما ﴿وكثير منهم﴾ من ذرّيتهما ﴿فاسقون﴾ مشركون ﴿ثم قفينا على آثارهم برسُلنا وقفينا بعيسى ابن مريم﴾ بعدهم.

قال محمدٌ: معنى (قفينا): أتبعنا، والمصْدَر: تقفية[١].

﴿وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ يرأف بعضهم ببعض، ويرحَم بعضهم بعضًا، ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ لم نكْتبها عليهم، إنما ابتدعوها ابتغاء رضوان اللَّه، ليتقرّبُوا بها إلى اللَّه. قال الحسن: ففرضها اللَّه عليهم حين ابتدعوها.

قال محمدٌ: (ورهبانية) بالنصْب على معنى: وابتدعوا رهبانية[٢].

قال ﴿فما رعوها﴾ يعني: الرهبانية ﴿حق رعايتها﴾ ولا ما فرضنا عليهم، أي: ما أدّوْا ذلك إلى اللَّه.

قوله: ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ يعني: أَجْرين ﴿ويجعل لكم نورًا تمشون به﴾ يعني: إيمانًا تهتدون به ﴿لئلا يعْلم أهل الكتاب﴾ هذه كلمةٌ عربيّة يقول: لئلا يعْ مَ وليعلمَ بمعنى واحد[٣] ﴿ألا يقدرون على شيء﴾ أي: أنهم لا يقدرون على شيء ﴿من فضل اللَّه وأن الفضل بيد اللَّه يؤتيه من يشاء واللَّه ذو الفضل العظيم﴾

❊ ❊ ❊

---

(١) لسان العرب (قفو).

(٢) وفيها أوجه نحوية أخرى ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٢٨)، الدر المصون (٦/ ٢٨١).

(٣) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٣٦٩)، البحر (٨/ ٢٢٩)، مجمع البيان (٥/ ٢٤٢)، الدر المصون (٦/ ٢٨٣).

تفسير سورة المجادلة
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾

قوله: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها...﴾ الآية قال: كان طلاق أهل الجاهلية ظهارًا، يقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي، وكانت خَوْلةُ بنت ثعلبة تحت أوس بن صامت فظاهر منها؛ فأتت النبي عليه السلام، فقالت: يا رسول الله، إنه حين كبرت سني ظاهر مني، قال الكلبي: وقالت: فهل من شيء يجمَعُني وإياه يا رسول الله؟ فقال لها: ما أُمِرْتُ فيك بشيء، ارجعي إلى بيتك فإن يأتني شيء أعلمتُك به. فلما خرجت من عنده رفعتْ يديْها نحوَ السّماءِ تدعو الله؛ فأنزل الله: ﴿قد سمع الله قولَ التي تجادلك في زوجها...﴾ إلى قوله: ﴿وإنهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا﴾ كذبًا، حيث يقول: أنتِ عليّ كظهر أمي فيُحرم ما أحل الله[1] قال: ﴿وإن الله لعفو﴾ عنهم ﴿غفور﴾ .

(١) انظر الدر المنثور (٦/١٩٨-٢٠١).

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ يعودون إلى ما حرَّمُوا أي: يريدون الوطء ﴿فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به﴾ الآية.

﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينًا ذلك لتؤمنوا باللَّه ورسوله وتلك حدود اللَّه﴾ أحكام اللَّه التي حدَّ في الظهار من العتق والصيام والإطعام.

قال محمد: قوله: (ذلك لتؤمنوا) المعنى: ذلك الذي وصفنا لتؤمنوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا أَحْصَىٰهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿إن الذين يحادون اللَّه﴾ أي: يعادون اللَّه ﴿ورسوله كبِتُوا﴾ أُخزوا ﴿كما كُبِتَ﴾ أُخزِي ﴿الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بيناتٍ﴾ القرآن.

﴿فينبئهم بما عملوا أحصاه اللَّه ونسوه﴾ أحصى عليهم ما عملوا في الدنيا ونسوه ﴿واللَّه على كل شيء شهيد﴾ شاهدٌ لأعمالهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا

ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ما يكون من خلوة ثلاثة يسرُّون شيئًا ويتناجون به، إلا هو رابعهم، أي: عالمٌ به.

﴿ألم تر إلى الذين نُهوا عن النجوى﴾ هم اليهود نُهُوا أن يتناجوا بمعصية اللَّه ومعصية الرسول، والطعن في دين اللَّه ﴿ثم يعودون لما نهوا عنه﴾ كانوا يخلون بعضهم ببعض﴿يتناجون بالإثم والعدوان﴾ (ل ٣٥٥) الإثم: المعصية، والعدوان: الظلم ﴿وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به اللَّه﴾ كانوا يسلمون على النبي وأصحابه فيقولون: السَّام عليكم، والسّامُ: الموت في قول بعضهم[١] قال: فكان رسولُ اللَّه يرد عليهم على حد السَّلَمِ[٢]؛ فأتاه جبريل فأخبره أنهم ليسوا يقولون ذلك على وجه التحية فقال رسول اللَّه عليه السلام لأصحابه: «إذا سلم عليكم[٣] من أهل الكتاب فقولوا: عليك»[٤] أي: عليك

(١) لسان العرب (سوم).

(٢) أي: السلام.

(٣) وضع الناسخ بعدها علامة إلحاق، ولم يظهر بالحاشية شيء.

(٤) روى البخاري (١١/ ٤٤ رقم ٦٢٥٨) ومسلم (٤/ ١٧٠٥-١٧٠٦ رقم ٢١٦٣) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم».
ورواه البخاري (١١/ ٤٤ رقم ٦٢٥٧) ومسلم (٤/ ١٧٠٦ رقم ٢١٦٤) عن ابن عمر رضي الله عنه نحوه.
ورواه البخاري (٦/ ١٢٤-١٢٥ رقم ٢٩٣٥) ومسلم (٤/ ١٧٠٦-١٧٠٧ رقم ٢١٦٥) عن عائشة رضي الله عنها نحوه مطولا.
ورواه مسلم (٤/ ١٧٠٧ رقم ٢١٦٦) عن جابر رضي الله عنه نحوه.

ما قلتَ.

﴿ويقولون في أنفسهم لولا﴾ هلا ﴿يعذبنا اللَّه بما نقول﴾ من السام أي: إن كان نبيًّا فسيعذبنا اللَّه بما نقول. قال اللَّه: ﴿حَسْبُهم جهنّم يصلَوْنها فبئس المصير﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني: أقروا بالألسنة ﴿إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾ كما صنعت اليهود من هذه النجوى التي ذكر.

﴿إنما النجوى من الشيطان...﴾ الآية تفسير الكلبي: أن المنافقين كانوا إذا غزا رسول اللَّه عليه السلام أو بعث سرية يتغامزون بالرجل إذا رأوه، وعلموا أن له حميمًا في الغزو، فيتناجون وينظرون إليه، فيقول الرجل: ما هذا إلا شيءٌ قد بلغهم من حميمي، فلا يزال من ذلك في غمّ وحزن، حتى يقدم حميمه؛ فأنزل اللَّه هذه الآية[1].

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا﴾ أي: توسّعُوا ﴿في المجلس﴾[2]، تفسير مجاهد: يعني: مجلسَ النبي عليه السلام ﴿وإذا قيل انشزوا

(١) وضع بعدها الناسخ علامة إلحاق، واللحق مطموس بالحاشية.
(٢) قرأ عاصم ﴿المجالس﴾ بألف على الجمع، وقرأ الباقون بغير ألف على التوحيد. النشر(٢/ ٣٨٥) وإتحاف الفضلاء (٥٣٦) وتفسير القرطبي (١٧/ ٢٩٧).

فانشزوا﴾ إلى كل خير من قتال العدو، أو أمْرِ معروفٍ ما كان ومعنى انشزوا: ارتفعوا ﴿يرفع اللَّه الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ في الآخرة على الذين آمنوا، أي[١]: لَيْسوا بعلماء.

يحيى: عن الخليل بن مرة، عن عمران القصير قال: قال رسول اللَّه عليه السلام: «فضلُ العالم على العابد كَفَضْلي على أدْنى رجلٍ من أصحابي»[٢].

يحيى: عن نعيم بن يحيى، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباسٍ قال: «مُعَلِّم الخير يستغفر له كلُّ شيء حتى الحوت في البحر»[٣].

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الناسخ ضرب عليها.

(٢) لم أقف عليه من هذا الوجه، وهو معضل، عمران القصير هو عمران بن مسلم البصري، يروي عن الحسن البصري وابن سيرين ونحوهما، ترجمته في التهذيب (٢٢/ ٣٥١).
وروى الترمذي (٥/ ٤٨ رقم ٢٦٨٥) والطبراني في الكبير (٨/ ٢٣٣-٢٣٤ رقم ٧٩١١) عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. كذا في تحفة الأشراف (٤/ ١٧٧ رقم ٩٠٧) وغيره، وفي نسخة الجامع المطبوعة: حديث غريب. وانظر تخريج الإحياء (١/ ٣٦-٣٧ رقم ٢٦).

(٣) اختلف فيه على الأعمش:
فرواه قبيصة، عن سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه. خرجه البيهقي في المدخل إلى السنن (١/ ٢٧٣ رقم ٣٩٠).
ورواه أبو إسحاق الفزاري - عند الدارمي (١/ ١١٠-١١١ رقم ٣٤٣) - وأبو معاوية- عند ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٥٤٠) ومن طريقه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٤٩٨ رقم ٧٩٦) - عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه.
ورواه معمر، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه. خرجه عبدالرزاق في جامع معمر (١١/ ٤٦٩ رقم ٢١٠٣٠) ومن طريقه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٧٢ رقم ١٨١).
ورواه إسماعيل بن عبدالله بن زرارة الرقي، عن أبي إسحاق الفزاري، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا. خرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٢١٤ رقم ٦٢١٩) =

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ۝١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٣﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة...﴾ إلى قوله: ﴿والله خبير بما تعملون﴾ تفسير قتادة قال: كان الناسُ أَحْفَوْا رسول الله بالمسألة حتى آذَوْه؛ فقطعهم اللَّهُ عنه بهذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ فكان أحدُهم لا يستطيع أن يسأل النبي عليه السلام حاجة؛ حتى يقدمَ بيْن يدي نجواه صدقة فاشتدَّ ذلك عليهم، فأنزل الله هذه الآية فنسختها: ﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يديْ نجواكم صدقاتٍ فإذْ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة...﴾[1] أي: أتموا الصلاة ﴿وآتوا الزكاة﴾ أتموا الزكاة.

= وقال: لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا أبو إسحاق الفزاري.

ورواه البيهقي في المدخل (١/ ٢٧٣ رقم ٣٩١) من طريق أبي قتيبة، عن شمر بن عطية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقال البخاري في التاريخ الكبير (٣/ ٥٠٤): سعيد بن عطية سمع سعيد بن جبير بواسط عن ابن عباس: «معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت» قاله المقري، وقال أبو داود: حدثنا سعيد بن عطية أبو سلمة. اهـ.

ورواه ابن عبدالبر في الجامع (١/ ١٧١ رقم ١٨٠) من طريق أبي حمزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه.

قلت: وللحديث شواهد مرفوعة، منها حديث أبي أمامة السابق، ومنها حديث أبي الدرداء المشهور حديث: «العلماء ورثة الأنبياء». انظر جامع بيان العلم وفضله (١/ ١٦٠-١٧١) وتخريج الإحياء (١/ ٢١-٢٣).

(١) الناسخ والمنسوخ (ص ٩٠) ونواسخ القرآن (٥٢٩-٥٣٣).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين تولوا قومًا غضب اللَّه عليهم...﴾ الآية هم المنافقون تولوا المشركين ﴿ما هم منكم﴾ يقوله للمؤمنين ما هم منكم في باطن أمرهم، إنما يظهرون لكم الإيمان وليس في قلوبهم ﴿ولا منهم﴾ يعني من المشركين في ظاهر أمرهم؛ لأنهم يظهرون لكم الإيمان، ويسّرون معهم الشِّرْك ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون، يحلف المنافقون أنهم مؤمنون وليْسُوا بمؤمنين ﴿اتخذوا أيمانهم جُنَّة﴾ حَلِفَهم اجْتنُّوا بها؛ حتى لا يُقْتَلُوا ولا تُسْبَى ذرِّيتهم، ولا تؤخذ أموالُهم .

﴿يوم يبعثهم اللَّه جميعًا﴾ يوم القيامة ﴿فيحلفون له﴾ أنهم كانوا في الدنيا مؤمنين ﴿كما يحلفون لكم﴾ في الدنيا فتقبلون منهم ﴿ويحسبون﴾ يحسب المنافقون ﴿أنهم على شيء﴾ أي: أن ذلك يجوز عند اللَّه كما جاز لهم عندكم في الدنيا ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ يوم يحلفون له ﴿استحوذ﴾ يعني استولى ﴿عليهم الشيطان فأنساهم ذكر اللَّه﴾ أن يذكروه بالإخلاص له ﴿أولئك حزب الشيطان﴾ شيعةُ الشيطان ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ خسروا

أنفسهم، فصاروا في النار، وخسروا الجنة ﴿إن الذين يحادون﴾ يعادون ﴿اللَّه ورسوله أولئك في الأذلين﴾ (ل٣٥٦) يذلهم اللَّه. ﴿كتب اللَّه﴾ أي: قضى اللَّهُ ﴿لأغلبنَّ أنا ورسلي﴾.

قال محمدٌ: قيل: إن معنى غلبة الرسل على نوعين: فمن بُعِث منهم بالحرب فغالبٌ بالحرب، ومن بُعث منهم بغير حَرْبٍ فهو غالبٌ بالحُجَّة.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿لا تجدُ قومًا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر يوادون﴾ يحبون ﴿من حادَّ﴾ أي: من عادى ﴿اللَّه ورسوله﴾ تفسير الحسن: إنهم المنافقون يوادون المشركين ﴿أولئك كتب في قلوبهم﴾ يعني: جعل في قلوبهم ﴿الإيمان﴾ يعني: المؤمنين الذين لا يوادون المشركين ﴿وأيَّدَهم﴾ أعانهم ﴿بروح منه﴾ بنصرٍ منه على المشركين ﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه﴾ أي: رضوا ثوابه ﴿أولئك حزب اللَّه﴾ جند اللَّه ﴿ألا إن حزب اللَّه﴾ جند اللَّه ﴿هم المفلحون﴾ السُّعداءُ وهم أهل الجنة.

* * *

تفسير سورة الحشر وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿سبح للَّه ما في السمٰوات وما في الأرض وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ يعني: الشام، وهي أرض المحشر ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ يقول: ما ظننتم أن يحكم اللَّه عليهم بأن يجلوا إلى الشَّام ﴿وظنوا﴾ ظن بنو النضير ﴿أنهم مانعتُهم حصونهم من اللَّه﴾ أي: لم يكونوا يحتسبون أن يخرجوا من ديارهم ومن حصونهم ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾ تفسير الكلبي: «لمّا أُمِر النبي ﷺ بالسَّيْر إلى بني النضير، فبلغهم ذلك خرّبوا الأزقة، وحصّنوا الدور، فأتاهم رسول اللَّه فقاتلَهم إحدى وعشرين ليلة، كلما ظهر على دار من دورهم أو درب من دروبهمْ هدمه ليتّسع المقاتِلُ، وجعلوا ينقبون دورهم من أَدْبَارها إلى الدار التي تليها، ويرمون

أصحاب رسول اللَّه بنقضها، فلما يَئسوا من نَصْرِ المنافقين، وذلك أن المنافقين كانوا وعدوهم إن قاتلهم النبي أن ينصروهم فلما يئسوا من نصرِهم سألوا نبي اللَّه الصلح، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة، فصالحهم على أن يجليهم إلى الشام على أنّ لهم أن يحمل أَهْلُ كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من طعام وسقاء، ولنبي اللَّه وأصحابه ما فضل ففعلوا».

﴿فاعتبروا﴾ فتفكّروا ﴿يا أولي الأبصار﴾ يعني: العقول وهم المؤمنون ﴿ولولا أن كتب اللَّه عليهم الجلاء لعذَّبهم﴾ لولا أنّ اللَّه حكم عليهم بالجلاء إلى الشام لعذّبهم في الدنيا بالقتل والسَّبْي.

قال محمدٌ: يقال جَلَوْا من أرضهمْ وأجْلَيْتُهم وجَلَوتُهم أيضًا[١].

﴿ذلك بأنهم شاقوا اللَّه ورسوله﴾ عادوا اللَّه ورسوله.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾

﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها...﴾ الآية، قوله: ﴿فبإذن اللَّه﴾ أي: أَذِن لكم في ذلك، وجعله إليكم أن تقطعوا أو تتركوا فعقر رسول اللَّه يومئذٍ من صنوف التمر غير العَجْوة وترك العجْوة. قال عكرمة: كل ما كان دون العجْوة من النخل فهو لِينَةٌ[٢].

﴿وما أفاء اللَّه على رسوله منهم...﴾ الآية ظن المسلمون أنه سيقسِمُه

---

(١) وأَجلَوْا من أرضهم، وجلّيْتُهم واجْتَلَيتُهم. لسان العرب (جلو).

(٢) وقيل غير ذلك. ينظر لسان العرب (لين)، البحر المحيط (٨/ ٢٤٤)، الدر المصون(٦/ ٢٩٣).

بينهم جميعًا؛ فقال رسول اللَّه للأنصار: إن شئتم أن أقسم لكم وتقروا المهاجرين معكم في دوركم فعلتُ، وإن شئتم عزلتُهم وقسمْتُ لهم هذه الأرض والنخل فقالوا: يا رسول اللَّه، بل أقرّهم في دورنا، واقسمْ لهم الأرض والنخل. فجعلها النبي للمهاجرين.

قال محمدٌ: الإيجاف هو من الوجيف، والوجيفُ دون التقريب[1] من السَّيْر يقال: وَجَفَ الفرسُ وأَوْجَفْتُه[2]. والرِّكاب: الإبل[3]، والمعنى: أنه لا شيء لكم فيه، إنما هو لرسول اللَّه ﷺ خالصًا يعمل فيه ما أحبّ. وهذا الذي أراد يحيى في معنى الآية.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ۝٨﴾

﴿ما أفاء اللَّه على رسوله...﴾ إلى قوله﴿وابن السبيل﴾ تفسير قتادة: لمّا نزلت هذه الآية كان الفيء بين هؤلاء، فلما نزلت الآية في الأنفال(ل٣٥٧) ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنّ للَّه خمسه وللرسول﴾[4] نسخت الآية الأولى فجعل الخمس لمن كان له الفيء، وصار ما بقي من الغنيمة لمن قاتل

(١) التقريب: هو العَدْو دون الإسراع. لسان العرب (قرب).
(٢) لسان العرب (وجف).
(٣) أي: الإبل المركوبة أو الحاملة شيئًا، أو التي يُراد الحمل عليها. لسان العرب (ركب).
(٤) (الأنفال: ٤١).

عليه[1]. قوله: ﴿كيلا يكون دُولَةً﴾ يعني الفيء ﴿بين الأغنياء منكم﴾ فلا يكون للفقراء والمساكين فيه حقٌّ.

قال محمدٌ: (دُولة) من التداول أي: يتداوله الأغنياءُ بينهم[2].

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ نزلت في الغنيمة، ثم صارت بعد في جميع الدين. قال: ﴿وما نهاكم عنه﴾ من الغلول ﴿فانتهوا﴾ وهي بعد في جميع الدين.

قوله: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ أي: وللفقراء، رجع إلى أول الآية ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم أخرجهم المشركون من مكة ﴿يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا﴾ بالعمل الصالح ﴿وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ من قلوبهم.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿والذين﴾ أي: وللذين، هو تبعٌ للكلام الأول ﴿تبوّءوا الدار والإيمان من

(١) الناسخ والمنسوخ (٤٩، ٩٠) ونواسخ القرآن لابن الجوزي (٥٣٤- ٥٣٧).

(٢) وقال الحذّاق من البصريين والكسائي: الدَّولة بالفتح من المُلك بضم الميم، وبالضم- أي (الدُّولة) من المِلك بكسرها - أي الميم - بالضم في المال، والفتح في النُّصرة. الدر المصون (٦/ ٢٩٤)، لسان العرب(دول).

قبلهم﴾ يعني: الأنصار، وقوله: (تبوَّءوا الدار) يعني: استوطنوا المدينة، وكان إيمان الأنصار قبل أن يهاجر إليهم المهاجرون ﴿يحبون﴾ يعني: الأنصار ﴿من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ مما أوتي المهاجرون يعني: ما قُسِم للمهاجرين من بني النضير ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾.

قال أبو المتوكل الناجي: «إن رجلًا من المسلمين عَبر ثلاثة أيام صائمًا يمسي فلا يجدُ ما يُفْطِرُ عليه، فيصبح صائمًا، حتى فطن له رجلٌ من الأنصار يقال له: ثابت بن قَيس، فقال لأهله: إني أجيء الليلة بضيف لي فإذا وضعْتم طعامكم، فليقم بعضُكم إلى السِّراج كأنه يصلحه، فيُطْفِئُه، ثم اضربوا بأيديكم إلى الطعام كأنكم تأكلون، ولا تأكلوا حتى يشبع ضيفنا. فلما أمْسَى وضع أهلُه طعامهم، فقامت امرأته إلى السِّراج كأنها تُصْلحه؛ فأطفأتْه ثم جعلوا يضربون بأيديهم إلى الطعام، كأنهم يأكلون ولا يأكلون، حتى شبع ضيفهم، وإنما كانت خبزة هي قُوتهم، فلما أصبح ثابت غدا إلى النبي ﷺ فقال النبي: يا ثابت لقد عجب اللَّه منكم البارحة ومن ضيفكم، وأُنزلت فيه: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾»[1].

قوله: ﴿ومن يوق شحّ نفسه﴾ تفسير سعيد بن جبير: يعني: وُقِيَ إدخالَ الحرام، ومَنْعَ الزكاة.

يحيى: عن خالد، عن الحسن قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من أدَّى زكاة

---

(١) رواه مسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/ ١٧٠ رقم ٣٧٥٨) وعزاه السيوطي في الدر (٦/ ٢١٦) لابن أبي الدنيا في قرى الضيف وابن المنذر في تفسيره أيضًا.
وروى البخاري (٧/ ١٤٩ رقم ٣٧٩٨) ومسلم (٣/ ١٦٢٤- ١٦٢٥ رقم ٢٠٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه، وسمى الأنصاري أبا طلحة رضي الله عنه.

ماله، فقد أعطى حقّ الله فيه، ومن زاد فهو خيرٌ له»[(١)].

قوله: ﴿والذين﴾ أي وللذين، هو تبعٌ للكلام الأول ﴿جاءوا من بعدهم﴾ يعني: بعد أصحاب النبي إلى يوم القيامة، فلم يبق أحدٌ إلّا وله في هذا المال حقٌّ أُعْطِيَهُ أو مُنِعَه ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ هم أصحاب النبي ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلًّا﴾ حسدًا ﴿للّذين آمنوا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ تفسير الحسن: يعني: قريظة والنضير ﴿لئن أُخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل (ص ١٤١ رقم ١٣٠) والبيهقي في السنن (٤/ ٨٤) من طريق عذافر البصري عن الحسن مرسلًا.
ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ١١٥-١١٦) من طريق عبدالله بن زريق عن الحسن مرسلاً.
ورواه ابن عدي في الكامل (٤/ ٣١٢) من طريق سلام بن أبي خبزة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة عن النبي ﷺ.
قال ابن عدي: لا أعلم يرويه عن سعيد غير سلام هذا.
وقال في آخر ترجمة سلام (٤/ ٣١٦): ولسلام بن أبي خبزة غير ما ذكرت عن ثقات الناس أحاديث، وعامة ما يرويه ليس يُتابع عليه.

فيكم أحدًا أبدًا﴾ يقول المنافقون: لا نطيع فيكم محمدًا وأصحابه ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الأدبار ثم لا ينصرون﴾ فأجْلى رسول الله بني النضير إلى الشام فلم يخرجوا معهم، وقتل قريظة بعد ذلك بحكم سعد بن معاذ، فلم يقاتلوا معهم.

قوله: ﴿لأنتم أشدُّ رهبةً في صدورهم من الله﴾ أي: هم أشدُّ خوفًا منكم منهم من الله يعني: المنافقين.

﴿لا يقاتلونكم﴾ يعني: اليهود ﴿جميعًا إلّا في قرى محصَّنة﴾ أي: لا يقاتلونكم(...)[1] من شدة رعبهم الذي دخلهم منكم ﴿أو من وراء جُدُرٍ﴾ (ل٣٥٨) يعني(...)[1] ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أي: إذا اجتمعوا قالوا: لنفعلن بمحمد كذا ولنفعلن به كذا. قال الله لنبيه: ﴿تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى﴾ أي: مفرقة في قتالكم.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿كمثل الذين من قبلهم﴾ من قبل قتل قريظة. ﴿قريبًا ذاقوا وبال أمرهم﴾ يعني: النضير، كان بين إجلاء النضير وقتل قريظة سنتان، والوبال: العقوبة، المعنى: ذاقوا جزاء ذنبهم.

﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفرْ...﴾ إلى قوله: ﴿وذلك جزاء الظالمين﴾.

---

(١) كلمة مطموسة في الأصل.

قال يحيى: وبلغني أن عابدًا كان في بني إسرائيل قد خرج من الدنيا، واتخذ ديرًا يتعبَّدُ فيه، فطلبه الشيطان أن يزيله فلم يستطع عليه، فلما رأى ذلك الشيطان جاء إلى ابنة الملك فدخل فيها فأخذها، فدَعَوْا لها الأطباء فلم يغْنوا عنها شيئًا، فتكلّم على لسانها، فقال: لا ينفعها شيء إلا أن تأتوا بها إلى فلانٍ الراهب فيدعو لها، فذهبوا بها إليه، فجعلوها عنده فأصابها يومًا ما كان بها، فانكشفت وكانت امرأة حسناء؛ فأعجبه بياضُها وحسنها، فوقع بها فأحْبلها، فذهب الشيطان إلى أبيها وإخوتها فأخبرهم، وقال له: اقتلْها وادفنها لا يُعْلَمُ أنك قتلتها، فقتلها الراهب ودفنَها إلى أصْل حائط، وجاء أبوها وإخوتها وجاء الشيطان بين أيديهمْ، فسبقهم إلى الراهب وقال: إن القوم قد علموا ما صنعْتَ بالمرأة، فإن سجدت لي سجدةً رددتهُم عنك فسجد له، فلما سجد له أخزاه اللَّه وتبرأ منه الشيطان، وجاء أبوها وإخوتها فاستخرجوها من حيث دفنها، وعَمِدوا إلى الراهب فصلبوه، فضرب اللَّه مثل المنافقين حين خذلوا اليهود فلم ينصروهم، وقد كانوا وعدوهم النصرة كمثل الشيطان في هذه الآية ﴿إذ قال للإنسان اكفُرْ فلما كفر قال إني بريءٌ منك إني أخاف اللَّه رب العالمين﴾ وكذب قال اللَّه: ﴿فكان عاقبتهما﴾ عاقبة الشيطان وذلك الراهب ﴿أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ المشركين.

قال محمد: قوله: (خالدين فيها) هو نصب على الحال[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾

(١) وفيها تفصيل نحوي، ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٤٠٢- ٤٠٣)، البحر (٨/ ٢٥٠)، الدر المصون (٦/ ٢٩٩).

لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا اللَّه﴾ يعني: تركوا ذكْرَ اللَّه بالإخلاص من قلوبهم ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ تركهم من أن يذكروها بالإخلاص له قال: ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ وهو فسق الشرك.

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ﴾ على حد ما أنزلناه على العباد من الثواب والعقاب والأمر والنهي ﴿لرأيته خاشعًا﴾ أي: خائفًا ﴿متصدّعًا من خشية اللَّه﴾ يوبّخ بذلك العباد ﴿وتلك الأمثال﴾ يعني: الأشباه ﴿نضربها للناس﴾ يعني: نَصِفُها لهم ﴿لعلهم يتفكرون﴾ لكي يتفكروا فيعلموا أنهم أحق بخشية اللَّه من هذا الجبل؛ لأنهم يخافون العقاب، وليس على الجبل عقاب.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: ما أخفى العبادُ، والشهادة: ما أعلنوا. ﴿الملك القدوس﴾ يعني: الطاهر ﴿السّلام﴾ سلِمَ الخلائق من ظلمه ﴿المؤمن﴾ تفسير الحسن: المؤمن بنفسه قبل إيمان خَلْقه كقوله: ﴿شهد اللَّه أنه لا إله إلا هو...﴾ الآية[1] ﴿المهيمن﴾ تفسير بعضهم: الشهيد على خلقه

---

(١) آل عمران: ١٨ .

﴿العزيز﴾ تفسير الحسن: بعزَّته ذلَّ مَنْ دونه ﴿الجبّار﴾ تفسير بعضهم: القاهر لخلقه بما أراد ﴿المتكبر﴾ الذي يتكبّر على خلْقه ﴿سبحان اللَّه﴾ نزّه نفْسه ﴿عما يشركون﴾ .

﴿هو اللَّه الخالق البارئ المصور﴾ والبارئ هو المصور الذي يصور في الأرحام وغيرها ما يشاء ﴿له الأسماء الحسنى﴾.

يحيى: عن خداش، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «للَّه تسعةٌ وتسعون اسمًا مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة»[1].

قال محمدٌ: من الناس من قال: معنى أحصاها: حفظها، ومنهم من قال: المعنى: من تعبَّد للَّه بها.

﴿يسبح له ما في السمٰوات والأرض وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٤١٧ رقم ٢٧٣٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٢ رقم ٢٦٧٧) من طريق الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، وتقدم في تفسير سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ .

تفسير سورة الممتحنة
وهي مدنية كلها

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١) إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ (٣)﴾

(ل٣٥٩) قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ يعني: في الدين ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ أي: تلقون إليهم المودّة ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم﴾ أي: أخرجوا الرسول وإياكم ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ أي: إنما أخرجوكم من مكة؛ لأنكم آمنتم بالله ربكم. ثم قال: ﴿إن كنتم خرجتم جهادًا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة﴾ كما صنع المنافقون ﴿وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم﴾ أي: ومن ينافق منكم ﴿فقد ضلّ سواء السبيل﴾ قصد الطريق ﴿إن يثقفوكم﴾ يلقَوْكم ﴿يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم﴾ أي: يقاتلوكم ﴿وألسنتهم﴾ أي: ويبسطوا إليكم ألسنتهم ﴿بالسوء﴾ بالشتم.

﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾ بين المؤمنين وبين المشركين؛ فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار ﴿والله بما تعملون بصير﴾ نزل هذا في أمر حاطب بن أبي بَلتعة، تفسير الكلبي: أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة أن محمدًا يغزو، وإني لا أدري إيّاكم يُريدُ أو غيركم فعليكم بالحذر.

قال يحيى: بلغني أنه كتب مع امرأةٍ مَوْلاةٍ لبني هاشم وجعل لها جُعْلًا، وجعلت الكتاب في خمارها، فجاء جبريل إلى رسول الله فأخبره، فبعث رسول الله في طلبها عليًا ورجُلًا آخر، ففتّشاها فلم يجدا معها شيئًا، فأراد صاحبه الرجوع فأبى عليٌّ وسَلَّ عليها السَّيْفَ، وقال: والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبْتُ، فأخذت عليهما إن أَعْطتْهُ إيّاهما ألّا يَرُدّاها، فأخرجت الكتاب من خمارها.

قال الكلبي: فأرسل رسول الله إليه هل تعرف هذا يا حاطبُ؟ قال: نعم. قال: فما حملك عليه؟ قال: أما والذي أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ آمنتُ، ولا أحببْتُهم منذ فارقتهم، ولم يكن من أصحابك أحدٌ إلا وله بمكة من يمنع الذي له غيري، فأحببتُ أن أتخذ عندهم مودة، وقد علمت أن الله منزلٌ عليهم بأسه ونِقْمَته، وإن كتابي لن يغني عنهم شيئًا، فصدّقه رسول الله وعَذَره؛ فأنزل الله هذا فيه[1].

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا

(١) قصة حاطب بن أبي بلتعة رواها البخاري (٦/ ١٦٦-١٦٧ رقم ٣٠٠٧) ومسلم (٤/ ١٩٤١-١٩٤٢رقم ٢٤٩٤) عن علي ﷺ.

وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾

وقال: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون اللَّه كفرنا بكم﴾ أي: بولايتكم في الدين.

﴿وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا باللَّه وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من اللَّه من شيء﴾ أن أُدْخِلَك في الإيمان، ولا أن أغفر لك. يقول: قد كانت لكم في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة إلّا قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن لك، فلا تستغفروا للمشركين.

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة﴾ بليّةً ﴿للذين كفروا...﴾ الآية؛ أي: لا تظهر علينا المشركين، فيقولوا: لو كان هؤلاء على دين ما ظهرنا عليهم، فيفتنوا بنا.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة...﴾ الآية رجع إلى قوله: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ فأمر اللَّه نبيّه والمؤمنين بالبراءة من قومهم ما داموا كفّارًا؛ كما برئ إبراهيم ومن معه من قومهم؛ فقطع المؤمنون ولايتهم من أهل مكّة، وأظهروا لهم العداوة قال: ﴿ومن يتولَّ﴾ عن الإيمان ﴿فإن اللَّه هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ استوجب عليهم أن يحمدوه

﴿عسى اللَّه أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ فلما أسلم أهل مكة، خالطهم أصحاب رسول اللَّه وناكحوهم، وتزوّج رسول اللَّه أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وهي المودّة التي ذكر اللَّه.

﴿لا ينهاكم اللَّه عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم﴾ بالصِّلَة ﴿وتقسطوا إليهم﴾ أي: تعدلوا إليهم في أموالكم ﴿إن اللَّه يحب المقسطين﴾ العادلين.

قال محمد: قيل: إن معنى (تقسطوا إليهم)(ل ٣٦٠): تعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد.

قال يحيى: وكان هذا قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة[1]، كان المسلمون قبل أن يؤمر بقتالهم استشاروا النبي في قرابتهم من المشركين أن يصلوهم ويبروهم، فأنزل اللَّه هذه الآية في تفسير الحسن.

﴿إنما ينهاكم اللَّه عن الذين قاتلوكم في الدين﴾ يعني: كفَّار أهل مكة. ﴿وأخرجوكم من دياركم﴾ يعني: من مكة ﴿وظاهروا﴾ أعانوا ﴿على إخراجكم أن تولوهم﴾.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا

---

(١) أي أن هذه الآية منسوخة، وقد ردَّ هذا القول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري فقال في تفسيره (٢٨/ ٦٦): ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأن بر المؤمن من أهل الحرب من بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح؛ قد بين صحة ما قلنا في ذلك الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها. وانظر نواسخ القرآن (٥٣٧- ٥٣٨).

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠)﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ وهذه في نساء أهل العهد من المشركين، وكانت محنتهن في تفسير قتادة أن يُسْتَحْلفن باللَّه ما أخرجهُنّ النشوزُ، وما أخرجهنّ إلا حُبُّ الإسلام والحرص عليه.

﴿اللَّه أعلم بإيمانهن﴾ أصدقن أم كذبن ﴿فإن علمتموهنّ مؤمناتٍ﴾ إذا أقررن بالإسلام، وحلفن باللَّه ما أخرجهن النشوز، وما أخرجهن إلا حب الإسلام والحرص عليه ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هنّ حلٌّ لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهُنّ﴾ مهورهن ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ يعني: كوافر العرب إذا أبَيْن أن يُسْلِمْنَ أن يُخلّى سبيلُهنّ ﴿واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم اللَّه يحكم بينكم﴾ وهذا حكمٌ حكمه اللَّه بين أهل الهدى وأهل الضلالة، في تفسير قتادة.

قال قتادة: كن إذا فرزْن إلى أصحاب رسول اللَّه وأزواجهن من أهلِ العهد فتزوّجُوهُن، بعثوا بمهورهنّ إلى أزواجهن من المشركين، وإذا فرزْن من أصحاب رسول اللَّه إلى الكفار الذين بينهم وبين رسول اللَّه عهدٌ فتزوجوهنّ، بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن من المسلمين، فكان هذا بين أصحاب رسول اللَّه وبين أهل العهد من المشركين، ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد في براءة فنبذ إلى كل ذي عهدٍ عهده، وقد مضى تفسيره[1].

---

(١) الناسخ والمنسوخ (٩١- ٩٢) ونواسخ القرآن (٥٤٣).

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وإن فاتكم شيءٌ من أزواجكم إلى الكفار﴾ الذين ليس بينكم وبينهم عهدٌ ﴿فعاقبتم﴾ أي: فغنمتم.

قال محمدٌ: المعنى: كانت العقبى لكم فغنمتم.

﴿فآتوا الذين ذهبت أزواجهم﴾ يعني: من أصحاب النبي ﴿مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون﴾ فكانوا إذا غنموا غنيمة أعطوا زوجها صداقها الذي كان ساق إليها من جميع الغنيمة، ثم تُقْسَم الغنيمة بعد، ثم نسخ ذلك مع العهد والحكم بقوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأنَّ للَّه خُمسَه وللرسول﴾[١].

قوله: ﴿ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن﴾ يعني: أن تلحق إحداهن بزوجها ولدًا ليس له ﴿ولا يعصينك في معروفٍ﴾ قال الحسن: نهاهُنّ عن النِّياحة، وأن يحادثن الرجال.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أقروا في العلانية، يعني: المنافقين ﴿لا تتولوا قومًا

(١) الأنفال (٤١).

غضب اللّه عليهم﴾ قال الحسن: يعني: اليهود ﴿قد يئسوا من الآخرة﴾ أي: من نعيم الآخرة، يعني: اليهود زعموا أن لا أكل فيها ولا شُرْب، قد يئسوا من ذلك؛ كما يئس من مات من الكفار من الجنة حين عاينوا النار.

❊ ❊ ❊

تفسير سورة الصف وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾

﴿سبح للَّه ما في السمٰوات وما في الأرض وهو العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿يا أيها الذين أمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ تفسير الحسن: يعني: المنافقين نسبهم إلى الإسلام الذي أظهروا، وهو الإقرار، وكانوا يقولون: نجاهد مع رسول اللَّه، ونؤمن به، فإذا جاء الجهاد بعدوا عنه فقال اللَّه: ﴿كبر مقتًا عند اللَّه أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

قال محمدٌ: ﴿لم تقولون﴾ الأصل (لمَا) فحذفت الألف لكثرة استعمالهم (ما) في الاستفهام، فإذا وقفت عليها قلت: لِمَهْ، ولا وقف عليها في القرآن بالهاء إتباعًا للمصحف، (ل ٣٦١) وينبغي للقارئ أن يصلها[١].

وقوله: ﴿كَبُر مقتًا عند اللَّه أن تقولوا﴾ (أن) في موضع رفع، و(مقتًا) منصوب على التمييز، المعنى: كَبُرَ قولكم: ما لا تفعلون مقتًا[٢].

قال يحيى: ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إن اللَّه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفًا كأنهم بنيانٌ مرصوص﴾ ذكر ثبوتهم في صفوفهم، كأنه بنيانٌ قد

---

(١) مغني اللبيب (١/ ٣٢٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦١)، الدر المصون (٦/ ٣٠٩).

رُصَّ بعضه إلى بعض.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾ يعني: الخاصة الذين يعلمون أنه رسول الله الذين كذبوه وآذوه، فكان فيما آذوه به أن زعموا أنه آدَرُ[1] ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ والزيْغُ: الشرك ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يعني: الذين يلقون الله بشركهم.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿ومبشرًا برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾.

مالك بن أنس، عن الزهري، عن ابن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أحمدُ، وأنا محمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب يعني: الآخر»[2].

---

(١) الأُدْرَةُ بالضم: نفخة في الخصية، يقال: رجل آدر: بين الأَدَر، وهي التي تسميها الناس القيلة. النهاية (١/ ٣١).

(٢) رواه يحيى بن يحيى في الموطأ (٢/ ٧٦٧ رقم ١) عن مالك مرسلًا كما هنا.
قال ابن عبد البر في التمهيد (٩/ ١٥١): هكذا روى هذا الحديث يحيى مرسلاً، لم يقل =

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني: الذين يلقون الله بشركهم

= فيه «عن أبيه» وتابعه على ذلك أكثر الرواة للموطأ، وممن تابعه على ذلك: القعنبي، وابن بكير، وابن وهب، وابن القاسم، وعبد الله بن يوسف، وابن أبي أويس، وأسنده عن مالك: معن بن عيسى، ومحمد بن المبارك الصوري، ومحمد بن عبد الرحيم بن شروس الصنعاني، وعبد الله بن مسلم الدمشقي، وإبراهيم بن طهمان، وحبيب، ومحمد بن حرب، وأبو حذافة، وعبد الله بن نافع، وأبو المصعب، كل هؤلاء رواه عن مالك مسندًا عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه. اهـ

ورواه البخاري (٦/ ٦٤١ رقم ٣٥٣٢) وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٠٥) وابن عبد البر في التمهيد (٩/ ١٥٣) من طريق معن بن عيسى، ورواه الطبراني في الكبير (٢/ ١٢٢ رقم ١٥٣٠) وابن عبد البر في التمهيد (٩/ ١٥٢) من طريق عبد الله بن نافع الصائغ، ورواه الطبراني في الكبير (٢/ ١٢٢ رقم ١٥٢٩) من طريق محمد بن عبد الرحيم بن شروس، ورواه ابن عبد البر (٩/ ١٥٢) من طريق محمد بن المبارك الصوري، كلهم عن مالك، عن الزهري، عن محمد بن جبير، عن أبيه.

ورواه ابن عساكر في تاريخه (٣/ ١٧) من طريق عبد الله بن أسماء عن جويرية عن مالك عن الزهري موصولاً، وقال ابن عساكر: تفرد برفعه عن مالك عن جويرية بن أسماء، ورواه عبد الله بن وهب وبشر بن عمر الزهراني ويحيى بن عبد الله بن بكير المصري عن مالك مرسلاً، لم يذكروا فيه جبيرًا، ورفعه صحيح عن الزهري؛ فقد وصله عنه يونس بن يزيد وشعيب بن أبي حمزة الحمصي وسفيان بن عيينة.

قال ابن عبد البر في التمهيد (٩/ ١٥٣): وكذلك رواه أصحاب ابن شهاب، عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير، عن أبيه مسندًا. اهـ.

قلت: منهم سفيان بن عيينة عند أحمد (٤/ ٨٠) والحميدي (١/ ٢٥٣-٢٥٤ رقم ٥٥٥) وابن أبي شيبة (١١/ ٤٥٧) وابن سعد (١/ ١٠٥) ومسلم (٤/ ١٨٢٨رقم ٢٣٥٤/ ١٢٤) والترمذي (٥/ ١٢٤ رقم ٢٨٤٠) وغيرهم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وشعيب بن أبي حمزة عند البخاري (٨/ ٥٠٩ رقم ٤٨٩٦) ومسلم (٤/ ١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤).

ويونس بن يزيد عند مسلم (٤/ ١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤/ ١٢٥) وابن حبان (١٤/ ٢١٩ رقم ٦٣١٣) والطحاوي في المشكل (٣/ ١٨١ رقم ١١٥٠).

ومعمر عند الإمام أحمد (٤/ ٨٤) وعبد الرزاق (٩/ ٤٤٦ رقم ١٩٦٥٧) ومسلم (٤/ ١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤).

وعقيل بن خالد عند مسلم (٤/ ١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤).

وغيرهم انظر معجم الطبراني (٢/ ١٢٠- ١٢٣) وعلل الدارقطني (٤/ق ٩٩- ب). =

﴿يريدون ليطفئوا نور اللّه بأفواههم﴾ أي: بتكذيبهم وبقتالهم، ونوره: الإسلام والقرآن، أرادوا أن يطفئوه؛ حتى لا يكون إيمان ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ تفسير الحسن: حتى تدين له الأديان كلها، ويحكم على أهل الأديان كلها، وتفسير ابن عباس: حتى يظهر النبي على الدين كله على شرائع الإسلام كلها، فلم يقبض رسول اللّه، حتى أتمَّ اللّه ذلك له.

يحيى: عن عبدالرحمن بن يزيد، عن سُليم بن عامر الكلاعي، قال: سمعتُ المقداد بن الأسود يقول: قال رسولُ اللّه ﷺ: «لا يبقى أهل مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدخله اللّه الإسلام بعزّ عزيز أو بذلّ ذليل، إمّا يعزُّهم فيجعلهم من أهلها، وإمّا يذلّهم فيدينون لها»[(1)].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذابٍ أليم﴾ تفسير الكلبي: إن هذا جواب لقولهم: لو نعلَمُ أحبَّ الأعمال إلى اللّه وأرضاها عنده لعملْنا بها، فقال اللّه: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلّكم على تجارة...﴾ إلى قوله: ﴿ذلك الفوز العظيم﴾.

= قلت: ورواه الإمام أحمد (٤/ ٨١، ٨٣- ٨٤) وابن سعد (١/ ١٠٤) والحاكم (٢/ ٦٠٤) من طريق جعفر بن أبي وحشية، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه.

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور، الآية: ٥٥ .

يحيى: عن المعلَّى بن هلال، عن يزيد بن يزيد، عن مكحول، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تريدون من ربكم إلا أن يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة؟ قالوا: حسبنا يا رسول الله. قال: فاغزوا في سبيل الله»[١].

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صفوان بن سُلَيم، عن عطاء بن يسار، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حُرّمت النار على عين دمعتْ من خشية الله، وعلى عَيْنٍ سهرتْ في سبيل الله»[٢].

يحيى: عن خالد، عن الحسن قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنّ أدنى أهل الجنة منزلةً آخرهُم دخولًا رجلٌ مسّه سفعةٌ[٣] من النار فيُعطى فيقال له: انظر ما أعطاك الله، ويفْسَحُ لهُمْ في أبصارهم، فينظر إلى مسيرة (. . .)[٤] سنة كله له ليس فيه موضع شبْرٍ إلا وهو عامر، قصور الذهب والفضة، وخيام اللؤلؤ

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (١/ ٣٦٥ رقم ٦٣٠) من طريق يزيد بن يزيد بن جابر به.
قال أبو زرعة الرازي: لم يلق مكحول أبا هريرة. المراسيل لابن أبي حاتم (٢١٢ رقم ٧٩٣). وروى الإمام أحمد (٢/ ٤٤٦، ٥٢٤) والترمذي (٤/ ١٥٥ رقم ١٦٥٠) والبزار- كشف الأستار (٢/ ٢٥٨ رقم ١٦٥٢) - والحاكم (٢/ ٦٨) والبيهقي في السنن (٩/ ١٦٠) وفي الشعب (٤/ ١٥ رقم ٤٢٣٠) عن ابن أبي ذباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله».
قال الترمذي: هذا حديث حسن.
وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٢) لم أقف عليه من هذا الوجه المرسل، وفي الباب عن ابن عباس وأبي ريحانة ومعاوية بن حيدة وأنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنه. انظر الترغيب والترهيب (٢/ ٢٤٨- ٢٥١) والجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٤١٣-٤١٩).

(٣) أي: علامة تغير ألوانهم، يقال: سفعت الشيء إذا جعلت عليه علامة، يريد أثر من النار. النهاية (٢/ ٣٧٤).

(٤) طمس في الأصل.

والياقوت، فيها أزواجه وخدمه»[١].

يحيى: عن صاحب له، عن جويبر، عن الضحاك بن مزاحم، عن الحارث، عن علي: «أن الرجل إذا دخل الجنة استخفَّ زوجتَه[٢] الفرحُ فتخرج من الخيْمة تستقبلُه، فتقول: أنت حِبّي وأنا حِبُّك، نحن الراضيات اللاتي لا نسخط أبدًا، ونحن الناعماتُ اللاتي لا نبؤس أبدًا، ونحن الخالدات اللاتي لا نموت أبدًا، المقيمات اللاتي لا نظعن أبدًا، أنت حِبّي وأنا حِبُّك، فتدخله بيتًا أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع مبنيًا على جندل[٣] اللؤلؤ والياقوت طرائق حمرٌ وخضرٌ وصُفر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها، فإذا رفعوا أبصارهم إلى سقف بيوتهم، فلولا أن اللَّه كتب ألا تذهب أبصارهم(ل٣٦٢) لذهبت مما يرون من النور والبهاء في سقوف بيوتهم»[٤].

قال محمدٌ: قوله: ﴿يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ هو جواب ﴿تؤمنون باللَّه ورسوله وتجاهدون﴾ ؛ لأن معناه معنى

---

(١) لم أقف عليه من هذا الطريق، وانظر الترغيب والترهيب (٤/ ٥٠١-٥٠٩).

(٢) أي: تحركت لذلك وخفت، وأصله السرعة. النهاية (٢/ ٥٥).

(٣) الجندل: الحجارة. لسان العرب (جندل).

(٤) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٢٨ رقم ٢٨١) من طريق إسماعيل بن زياد، عن جويبر، عن الضحاك، عن النزال بن سبرة، عن علي مرفوعًا.
ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق ٢- ب) عن محمد بن عباد بن موسى العكلي، عن الضحاك، عن الحارث، عن علي مرفوعًا.
ورواه العقيلي في الضعفاء (١/ ٨٦) من طريق إسماعيل بن عبيدالله بن سلمان، عن أبيه، عن الضحاك به.
وقال العقيلي: حديث غير محفوظ.
وقال المنذري في الترغيب (٤/ ٤٩٥- ٤٩٦): رواه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة عن الحارث وهو الأعور عن علي مرفوعًا هكذا، ورواه ابن أبي الدنيا أيضًا والبيهقي وغيرهما =

الأمر، المعنى: آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا يغفر لكم[(١)].

قوله: ﴿وأخرى تحبونها نصرٌ من اللّه﴾ على أعدائه ﴿وفتح قريبٌ﴾ مكة ﴿وبشر المؤمنين﴾ بأن لهم الجنّة جنات عدْن في الآخرة، والنصر في الدنيا على أعدائهم.

قال محمدٌ: (وأخرى تحبونها): ولكم تجارة أخرى تحبونها، وهي نصْرٌ من اللّه وفتحٌ قريب[(٢)].

= عن عاصم بن ضمرة عن علي موقوفًا بنحوه، وهو أصح وأشهر. اهـ.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٤١-١٤٢) من طريق أبي معاذ البصري عن علي ﷺ مرفوعًا.

قال ابن كثير: روى ابن أبي حاتم ها هنا حديثًا غريبًا جدًا مرفوعًا. فذكره، ثم قال: هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعًا، وقد رويناه في المقدمات من كلام علي ﷺ بنحوه وهو أشبه بالصحة، والله أعلم. اهـ.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٥-٣٦) من طريق السدي، وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٢٧) من طريق حمزة الزيات، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث، عن علي ﷺ موقوفًا.

ورواه عبدالرزاق في تفسيره(٢/ ١٧٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/ ١١٢-١١٤ رقم ١٥٨٥١) وإسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (٥/ ١٣٤- ١٣٥ رقم ٤٥٩٢) - والبغوي في الجعديات (٢/ ٩٢٦-٩٢٧ برقم ٢٦٦٣) وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق٣) والمروزي في زوائد الزهد (٥٠٨-٥٠٩ رقم ١٤٥٠) والطبري في تفسيره (٢٤/ ٣٥) وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٢٣-١٢٧ رقم ٢٨٠، ٢٨١) والضياء في المختارة (٢/ ١٦٠-١٦٣ رقم ٥٤١، ٥٤٢) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي، عن عاصم بن ضمرة، عن علي ﷺ موقوفًا.

وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٥/ ٣٥): هذا حديث صحيح وحكمه حكم المرفوع، إذ لا مجال للرأي في مثل هذه الأمور.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨/ ٢٣٢): رواه إسحاق بن راهويه بسند صحيح، وحكمه حكم المرفوع إذ ليس للرأي فيه مجال.

(١) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦٣)، الكتاب (١/ ٤٤٩)، الدر المصون (٦/ ٣١٣).

(٢) وفيها تفصيل نحوي. ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٤٢٤) مجمع البيان (٥/ ٢٨٢)، البحر (٨/ ٢٦٣-٢٦٤) الدر المصون (٦/ ٣١٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار اللَّه﴾ ولمحمدٍ بالقتال على دينه ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين﴾ وهم أصفياء الأنبياء ﴿من أنصاري إلى اللَّه﴾ أي مع اللَّه[1].

﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ فقاتلت الطائفةُ المؤمنة الطائفةَ الكافرة ﴿فأيدنا﴾ أعنّا ﴿الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ عليهم قد ظفروا بهم.

قال محمد: (الحواريون) أصل الكلمة من التحوير للثياب وغيرها وهو التّبييضُ، تقول: حوَّرتُ الثوب، أي: غسلتُه وبيَّضْته، واحْوَرَّت القِدْرُ ابيضَّ لحمها قبل أن ينضج، والحَوْرَاء من هذا أيضًا وهي الشديدة البياض، وخبز الحُوَّارَى هو من هذا؛ لأنه خالصٌ أبيض نقيٌّ، فكأن الحَوَارِيَّ من الناس الصافي من العُيوب الخالص في دينه النقي[2]، واللَّه أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) أي إن (إلى) بمعنى (مع). ينظر تفصيل الكلام في مغني اللبيب (١/ ٨٨)، الدر المصون (٦/ ٣١٤).

(٢) وقيل: قيل لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون؛ لأنهم كانوا قصَّارين. وقيل: الحواري: الناصر. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (حور).

تفسير سورة الجمعة وهي مدنية كلها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

﴿يسبح للّه ما في السمٰوات وما في الأرض الملك القدوس﴾ تفسير الكلبي: القدوس: الطّاهر.

﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ العرب ﴿رسولًا منهم﴾ كانوا أميين ليس عندهم كتابٌ من عند اللّه كما مع أهل الكتاب، وقد كانوا يخطون بأيديهم ﴿يتلو عليهم آياته﴾ القرآن ﴿ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ تفسير قتادة: الكتاب: القرآن، والحكمة: السُّنَّة، والزكاة: العمل الصالح ﴿وإن كانوا من قبل﴾ أن يأتيهم محمد ﴿لفي ضلال مبين﴾ بيِّن ﴿وآخرين منهم لمّا يلحقوا بهم﴾ تفسير مجاهد: يعني: إخوانهم من العجم، أي بعث في الأميين رسولًا منهم وفي آخرين منهم لما يلحقوا بهم بعد.

﴿ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء﴾ يعني: من رُزِق الإسلام من الناس كلهم.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿مثل الذين حمّلوا التوراة﴾ يعني: اليهود ﴿ثم لم يحملوها﴾ كذّبوا ببعضها، وهو جحودهم بمحمدٍ والإسلام، وما غيروا من التوراة، ومن كفر بحرف من كتاب اللَّه فقد كفر به كله ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارًا﴾ والأسفار: الكتب، شبَّههم بالحمار الذي لو حملت عليه جميع كتب اللَّه لم يَدْرِ ما حمل عليه ﴿واللَّه لا يهدي القوم الظالمين﴾ الذين يلقون اللَّه بشركهم.

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ بأنكم أولياء للَّه من دون الناس.

قال محمد: القراءة (فتمنَوُا الموت) بضم الواو لسكونها وسكون اللام[1] وقد قُرِئت (فتمنوِا الموت) بكسْر الواو لالتقاء الساكنين، والاختيار الضم مع الواو[2] و(اشتروا الضلالة)[3] مثلها.

قال: ﴿ولا يتمنونه﴾ يعني الموت ﴿أبدًا بما قدمت أيديهم واللَّه عليم بالظالمين﴾ بالمشركين ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه﴾ يعني: تكرهونه ﴿فإنه ملاقيكم ثم تُردون﴾ يوم القيامة ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: السر، والشهادة: العلانية.

---

(١) أي لام كلمة (الموت).

(٢) العامة على ضم الواو، وقرأ ابن السميفع وابن يعمر، وابن أبي إسحاق بكسرها. ينظر الدر المصون (٦/٣١٦).

(٣) البقرة: ١٦ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾

﴿فاسعوا إلى ذكر اللَّه﴾ يعني: صلاة الجمعة، وهي في حرف ابن مسعود (فامضوا إلى ذكر اللَّه).

﴿وذروا البيع﴾ تفسير ابن عباس: إذا أذَّن المؤذن يوم الجمعة حرم البيع.

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا﴾ يعني: فتفرقوا في الأرض ﴿وابتغوا من فضل اللَّه﴾ أي: من رزق اللَّه، رخّص لهم أن ينتشروا إذا صلّوا إن شاءوا، وإن أقاموا كان أفضل لهم.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائمًا﴾(ل٣٦٣) تفسير الحسن: كانت عير تجيء إلى المدينة في الزمان مرة فجاءت يوم جمعةٍ، فانطلق الناس إليها فأنزل اللَّه هذه الآية.

قال يحيى: وسمعتُ من يقول: التجارة: العِيرُ التي كانت تجيء، واللّهو: كان دِحْية الكلبي قدم في عير من الشام وكان رجلًا جميلًا، كان جبريل يأتي النبي في صورته، فقدمت عيرٌ ومعهم دحية والنبي يخطب يوم الجمعة فتسلّلُوا ينظرون إلى العير وهي التجارة، وينظرون إلى دحية الكلبي وهو اللّهو، لَهَوْا بالنظر إلى وَجْهه وتركوا الجمعة.

قال قتادة: «أمرهم النبي عليه السلام أن يعُدوا أنفسهم فإذا هم اثنا عشر رجلًا

وامْرأة فقال: والذي نفسي بيده، لو اتبع آخِرُكم أوّلكم لالتهب الوادي عليكم نارًا»(١).

﴿قل ما عند اللَّه خيرٌ من اللَّهو ومن التجارة واللَّه خير الرازقين﴾.

* * *

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٤٥) لعبد بن حميد في تفسيره.

تفسير سورة المنافقين
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٦)﴾

قوله: ﴿إذا جاءك المنافقون...﴾ إلى قوله: ﴿إن المنافقين لكاذبون﴾ أي: إنما يقولونه بأفواههم، وقلوبهم ليست على الإيمان.

﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ اجتنُّوا بها، أي: استتروا، حتى لا يقتلوا ولا تُسْبَى ذراريهم ﴿فصدوا عن سبيل اللَّه﴾ يعني: بقلوبهم ﴿ساء﴾ يعني: بئس ﴿ما كانوا يعملون﴾ ﴿ذلك بأنهم آمنوا﴾ يعني: أقروا بألسنتهم في العلانية ﴿ثم كفروا﴾ أي: بقلوبهم ﴿فطُبع على قلوبهم﴾ خُتِمَ عليها ألا يؤمنوا .

﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ يعني: في المنظر والهَيْئة ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ من قولهم لما أعطوا من الإيمان في الظاهر ﴿كأنهم خشب

مسندة﴾ يعني: أنهم أجسادٌ ليست لهم قلوب آمنوا بها ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ وصفهم بالجُبْن عن القتال، وانقطع الكلام، ثم قال: ﴿هم العدو﴾ فيما أسَرُّوا ﴿فاحذرهم قاتلهم اللَّه﴾ لعنهم اللَّه ﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يُصَدُّون عن الإيمان .

﴿وإذا قيل لهم تعالوْا﴾ أي: أخلِصُوا الإيمان ﴿يستغفر لكم رسول اللَّه لووا رءُوسَهم﴾ أي: أعرضوا ﴿ورأيتهم يصدون﴾ عن دين اللَّه ﴿وهم مستكبرون﴾ مكذِّبون ﴿سواءٌ عليهم أستغفرت لهم. . .﴾ الآية. أخبر أنهم يموتون على النفاق، فلم يستحلّ رسُولُ اللَّه أن يستغفر لهم بعد ذلك.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول اللَّه حتى ينفضوا﴾ تفسير الكلبي: أنها نزلت في عبداللَّه بن أبي بن سلول رأس المنافقين أنه قال لقوم كانوا ينفقون على بعض من كان مع رسول اللَّه ﷺ: لا تنفقوا عليهم؛ حتى ينفضوا عنه. قوله: ﴿وللَّه خزائن السمٰوات والأرض﴾ يعني: علم خزائن السمٰوات والأرض.

﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ هذا قوْلُ عبداللَّه بن أبي بن سلول؛ وذلك أنه قال لأصحابه وهُمْ في غزوة تبوك: عمدنا إلى رجل من قريش فجعلناه على رقابنا، أخرجوه فألحقوه بقومه وليكن علينا

رجلٌ من أنفسنا. قال اللَّه: ﴿ وللَّه العزّة ولرسوله... ﴾ الآية يخبر تبارك وتعالى أنه مُعِزٌّ رسوله ومن معه من المؤمنين.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني: أقروا باللسان نزلتْ في المنافقين ﴿لا تلهكم أمْوَالكم ولا أولادكم عن ذكر اللَّه﴾ عن الإيمان باللَّه ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ يعني: الزكاة المفروضة ﴿من قبل أن يأتي أحدَكُمُ الموت فيقول رب لولا﴾ هلَّا ﴿أخّرْتني إلى أجل قريب فأصّدّق﴾ أي: فأزكي ﴿وأكن من الصالحين﴾ فأحجّ، ومثلها في سورة المؤمنين ﴿حتى إذا جاء أحدَهُمُ الموْتُ قال رب ارجعون﴾ أي: إلى الدنيا ﴿لعلي أعمل صالحًا فيما تركت﴾[١].

قال محمد: ﴿فأصّدّق﴾ جواب «لولا»[٢] فمن قرأ (وأكُنْ) بالجزم فهو على موضع (فأصدق)؛ لأنّ المعنى: إن أخّرْتني أصدّقْ وأكنْ من الصالحين، ومن قرأها (وأكون) فهو على لفظ (فأصدَّقَ) وأكون[٣].

﴿ولن يؤخر اللَّه نفسًا إذا جاء أجلها واللَّه خبيرٌ بما تعْملون﴾

* * *

---

(١) المؤمنون: ٩٩.

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٤٤٠)، البحر (٨/ ٢٧٥)، الدر المصون (٦/ ٣٢٣).

(٣) قرأ أبو عمرو وحده (وأكونَ) وقرأ الباقون (وأكن) ينظر: السبعة (٦٣٧)، النشر (٢/ ٣٨٨).

(ل٣٦٤) تفسير سورة التغابن
وهي مدنيّةٌ كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤)﴾

قوله: ﴿يسبح للَّه...﴾ إلى قوله: ﴿فمنكم كافِرٌ ومنكم مؤمن﴾.

يحيى: عن فطر بن خليفة، عن عبدالرحمن بن سابط قال: «خلق اللَّه الخلق، فكانوا قبضته فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي. فذهبتْ إلى يوم القيامة»(١).

قوله: ﴿خلق السمٰوات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار ﴿واللَّه عليمٌ بذات الصدور﴾ بما في الصُّدور.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦)

---

(١) كذا وقع هذا الحديث هنا مقطوعًا على عبدالرحمن بن سابط، وقد تقدم في تفسير سورة الواقعة، الآية: ٤١، بهذا الإسناد «يحيى، عن فطر، عن عبدالرحمن بن سابط، عن أبي بكر الصديق» فزاد في الإسناد عن «أبي بكر الصديق» وقد تقدم تخريجه هناك.

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾

﴿ألم يأتكم نبأ﴾ خبر ﴿الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال﴾ يعني: عقوبة ﴿أمرهم﴾ هو الذي عذَّب به الأمم السَّالفة في الدنيا حين كذبوا رسلهم، يحذر المشركين أن ينزل بهم ما نزل بمن كفر قبلهم ﴿ولهم عذابٌ أليم﴾ يعني: عذاب جهنّم بعد عذاب الدنيا.

﴿فقالوا أبشرٌ يهدوننا﴾ إنكارًا لذلك.

﴿واستغنى اللَّه﴾ عنهم ﴿واللَّه غنيٌّ﴾ عن خَلْقه ﴿حميدٌ﴾ استوجب عليهم أن يحمدوه.

﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ذلك يوم التغابن﴾ يتغابنون في المنازل عند اللَّه؛ فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ما أصاب من مصيبةٍ إلا بإذن اللَّه﴾ بقضاء اللَّه ﴿ومن يؤمن باللَّه يهدِ قلبه﴾ أي: إذا أصابته مصيبةٌ سلّم ورضي، وعرف أنها من اللَّه.

﴿فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ ليس عليه أن يكرههم على الإيمان.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوًّا لكم...﴾ إلى قوله: ﴿فإن اللَّه غفورٌ رحيم﴾ تفسير الكلبي: إن الرجل كان إذا أراد الهجرة تعلَّق به ولده وامرأته؛ فقالوا: ننشدك اللَّه أن تذهب وتتركنا فنضيع، فمنهم من يطيع أمرهم فيقيم، فحذرهم إياهم ونهاهم عن طاعتهم، ومنهم من يمضي على الهجرة فيذرهم فيقول لهم: أما واللَّه لئن لم تهاجروا معي وبقيتُ حتى يجمع اللَّه بيني وبينكم في دار الهجرة لا أنفعكم بشيء أبدًا، فلما جمع اللَّه بينه وبينهم أنزل اللَّه: ﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن اللَّه غفور رحيم﴾.

﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنةٌ﴾ أي: اختبار؛ لينظر كيف تعملون ﴿فاتقوا اللَّه ما استطعتم﴾ ما أطقتم. قال قتادة: أنزل اللَّه في سورة آل عمران: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللَّه حق تقاته﴾[1] وحق تقاته: أن يطاع فلا يُعْصَى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يُكفر فنسختها هذه الآية ﴿فاتقوا اللَّه ما استطعتم

---

(١) آل عمران: ١٠٢ .

واسمعوا وأطيعوا﴾[1] وعليها بايع رسولُ اللَّه على السَّمْع والطاعة فيما استطاعوا[2].

﴿وأنفقوا خيرًا لأنفسكم﴾ تفسير الحسن: إنها النفقةُ في سبيل اللَّه.

﴿إن تقرضوا اللَّه قرضًا حسنًا﴾ تفسير الحسن: إن هذا في التطوُّع من الأعمال كلها ﴿يضاعفه لكم ويغفر لكم واللَّه شكورٌ حليم﴾ يشكر للعبد العمل اليسير يثيبه عليه الثواب العظيم ﴿عالم الغيب﴾ يعني: السِّرّ ﴿والشهادة﴾ يعني: العلانية ﴿العزيز﴾ في نقمته ﴿الحكيم﴾ في أمره.

❋ ❋ ❋

---

(١) الناسخ والمنسوخ(٩٣).

(٢) وذهب كثير من العلماء إلى أن قوله: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ بيان لمجمل قوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ ليس نسخًا، وهذا قول ابن عباس - في رواية علي بن أبي طلحة عنه- وطاوس، وصحح هذا القول القرطبي في تفسيره (٤/ ١٥٧) فقال: وهذا أصوب؛ لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع، والجمع ممكن فهو أولى.اهـ.
وقال ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص ٢٩٤): وهو الصحيح؛ لأن التقوى هو اجتناب ما نهي عنه، ولم ينه عن شيء ولا أمر به إلا وهو داخل تحت الطاقة كما قال عز وجل: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ فالآيتان متوافقتان، والتقدير: اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم.

تفسير سورة الطلاق وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)﴾

قوله: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ يخاطب بها النبي عليه السلام وجماعة المسلمين. تفسير قتادة: يطلقها في قُبُل عدَّتها طاهرًا من غير جماع واحدة، ثم يدعها، فإن كان له فيها حاجةٌ دعا شاهدين فأشهدهما أني قد راجعتها، وإن لم تكن له فيها حاجةٌ تركها؛ حتى تنقضي عدتها، فإن ندما كان خاطبًا من الخطاب.

قوله: ﴿وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم﴾ أي: فلا تطلقوهن في الدَّم، ولا في الطهارة وقد جامعتموهن، إلا في الطهارة بعدما يغتسلن من الحيض من قبل أن تجامعوهُنَّ ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن﴾ لا تخرج من بيتها حتى تنقضي عدَّتها، وهذا الخروج ألا تتحوَّل من بيتها، وإن احتاجت إلى

الخروج بالنهار لحاجتها خرجت، (ل٣٦٥) ولا تبيت إلا في بيتها ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ تفسير ابن عمر: قال: الفاحشة المبيّنة: خروجها في عدّتها ﴿وتلك حدود اللَّه﴾ أحكام اللَّه ﴿ومن يتعدّ حدود اللَّه﴾ أي: يتجاوز ما أمر اللَّه به ﴿فقد ظلم نفسه﴾ أي: بمعصيته من غير شرْكٍ ﴿لا تدري لعل اللَّه يحدث بعد ذلك أمرًا﴾ يعني: المراجعة رجع إلى أول السورة ﴿فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة﴾ أي: له الرجعة ما لم تنقض العدة في التطليقة والتطليقتين ﴿فإذا بلغن أجلَهُنّ﴾ أي: منتهى العدة ﴿فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾ وذلك أن الرجل كان يطلق المرأة، فيتركها حتى تشرف على انقضاء عدّتها، ثم يراجعها ثم يطلقها؛ فتعتد المرأة تسع حيض، فنهى اللَّه عن ذلك، قوله: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ يعني: على الطلاق والمراجعة ﴿وأقيموا الشهادة للَّه﴾ يعني: من كانت عنده شهادةٌ فليشهد بها.

قوله: ﴿ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ تفسير ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿ومن يتق اللَّه يجعل له مخرجًا﴾ قال: من كل ضيق [﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾][1] من حيث لا يرجو.

﴿إن اللَّه بالغ أمره﴾ أي: يبلغ أمره على من توكل وعلى من لم يتوكل ﴿قد جعل اللَّه لكل شيء قدرًا﴾ أي: منتهى يُنتهى إليه.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾

﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم﴾ شككتم ﴿فعدتهن

(١) طمس في الأصل.

ثلاثة أشهرٍ واللائي لم يحضْن﴾.

قال محمد: سألوا فقالوا: قد عرفنا عدة التي تحيض، فما عدة التي لا تحيض؟ فقيل: ﴿إن ارتبتم﴾ أي: إذا ارتبتم، فعدتهن ثلاثة أشهر.

قوله: ﴿وأولاتُ الأحمال أجلُهنّ أن يضعن حملهنّ﴾ هذه نسخت التي في البقرة ﴿والذين يتوفون منكم ويذرونَ أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرًا﴾(١) نسخ منها الحامل فجعل أجلها أن تضع حملها، وإن لم تكن حاملًا كبيرةً كانت أو صغيرة ومن لا تحيض فعدتُها أربعة أشهر وعشر(٢).

﴿ذلك أمر اللَّه أنزله إليكم﴾ في القرآن.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾

﴿أسْكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ من سعتكم، يعني: أن لها المسكن حتى تنقضي العدة.

قال محمدٌ: يقال: وَجَدْتُ في المال وَجدًا ووُجْدًا وجِدَةً، وَوَجَدْت الضَّالة وِجْدَانًا(٣).

---

(١) البقرة: ٢٣٤.

(٢) وذهب كثير من العلماء أن الآيتين محكمتان؛ وأن آية سورة البقرة عامة، وآية سورة الطلاق خاصة، فهو تخصيص للعموم ليس نسخًا، انظر نواسخ القرآن (٢٤٣-٢٤٦) وتفسير القرطبي (٣/ ١٧٤-١٧٦).

(٣) ينظر لسان العرب (وجد).

﴿ولا تُضاروهن﴾ في المسكن ﴿لتضيقوا عليهن وإن كُنّ أولاتِ حملٍ فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهُنّ﴾ إن كانت حاملًا أنفق عليها حتى تضع إذا طلّقها ﴿فإن أرضعْنَ لكم فآتوهُنَّ أجورهن﴾ أجر الرضاع ﴿وائتمروا بينكم بمعروف﴾ يعني: الرجل والمرأة.

قال محمدٌ: يقول: ليأمُرْ بعضُكم بعضًا بالمعروف في رضاع المولود والرفق به؛ حتى يتفقوا على شيء معلومٍ من أجر الرضاع.

﴿وإن تعاسرتم﴾ في الرضاع ﴿فسترضع له أخرى﴾ أي: فاسترضعوا له امرأة أخرى.

﴿ومن قُدِرَ﴾ قتر ﴿عليه رزقه فلينفق مما آتاه اللَّه﴾ أعطاه اللَّه.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿وكأين﴾ أي: وكم ﴿من قرية عتت عن أمر ربها ورسله﴾ عصت أمر ربها ورسله؛ يعني: أهلها ﴿فحاسبناها حسابًا شديدًا﴾ تفسير السُدي: يعني: فجازيناها جزاءً شديدًا ﴿وعذبناها عذابًا نكرًا﴾ عظيمًا ﴿فذاقت وبال أمْرِها﴾ يعني: العقوبة ﴿وكان عاقبة أمرها خسرًا﴾ خسروا به الجنة ﴿أعدّ اللَّه لهم

عذابًا شديدًا﴾ في الآخرة بعد عذاب الدنيا.

﴿قد أنزل اللَّه إليكم ذكرًا رسولًا﴾ أي: قد أنزل اللَّه إليكم ذِكْرًا بالرسول الذي جاءكم ﴿يتلو عليكم آيات اللَّه مبينات﴾ يبيِّنها رسولُ اللَّه؛ هذا على مقرأ من قرأها مفتوحةَ الياء[1].

﴿قد أحسن اللَّه له رزقًا﴾ يعني: الجنة.

﴿يتنزّل الأمر﴾ يعني: الوحي ﴿بينهن﴾ بين السماء والأرض ﴿لتعلموا﴾ بهذا الوحي ﴿أنَّ اللَّه على كل شيء قدير وأن اللَّه قد أحاط بكل شيءٍ علمًا﴾ لا يخرج عن علمه شيءٌ.

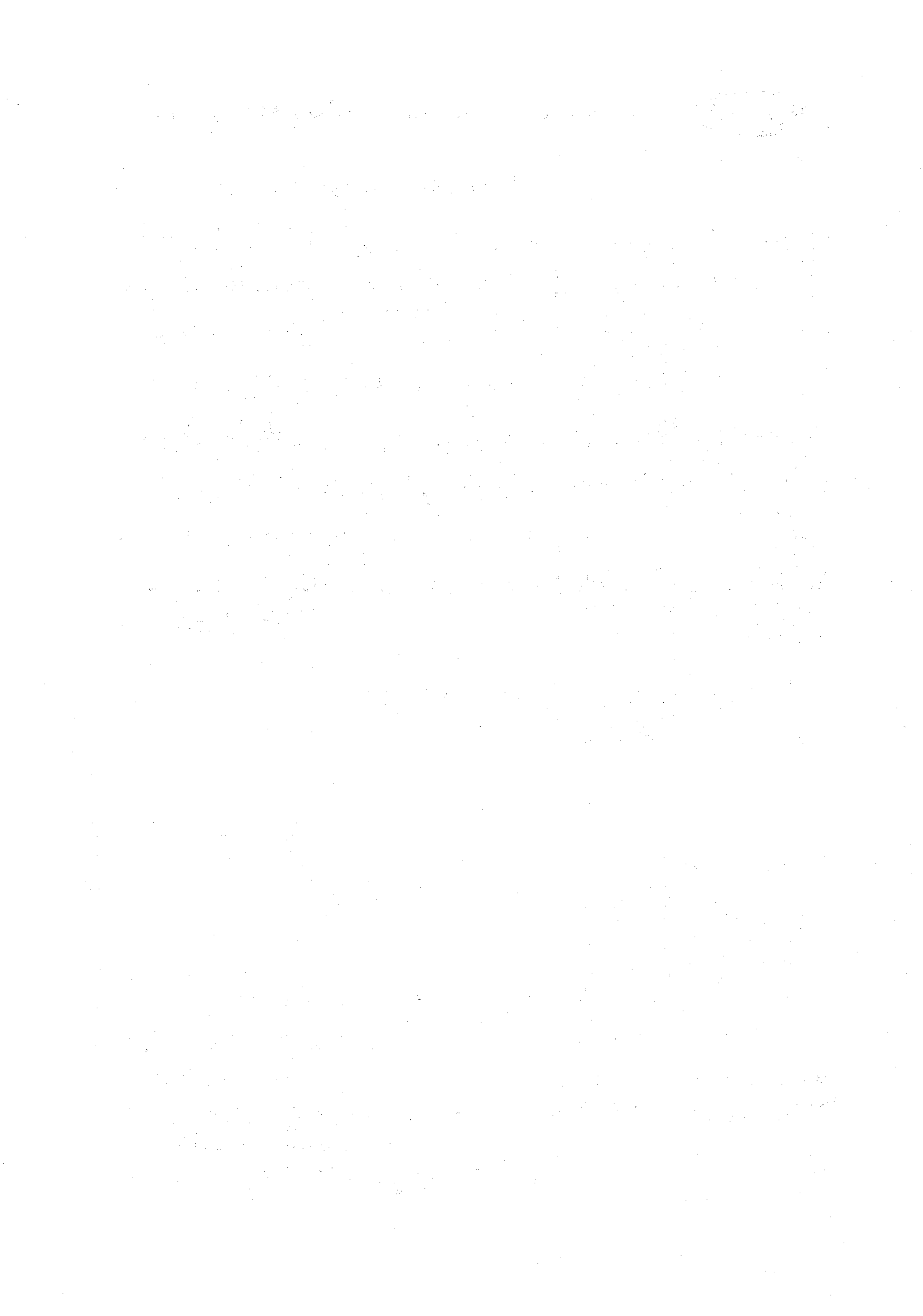
قال محمدٌ: (علمًا) منصوبٌ على المصدر المؤكد، المعنى: قد علم كل شيءٍ علمًا[2].

* * *

---

(١) قراءة العامة بفتح الياء أي: بينها الله، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسرها، أي: يبيّن لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام. تفسير القرطبي (١٨/ ١٧٤) والنشر (٢/ ٢٤٨-٢٤٩) وإتحاف الفضلاء (٥٤٧).

(٢) ينظر: البحر (٨/ ٢٧٨)، مجمع البيان (٥/ ٣١٠).



فهرس الموضوعات

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٢٠٥٥٦٨٨-٤٣٠٧٥٢٦ القاهرة